مجلة
ISSN : 2617 -5894
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن
المجلد (18) العدد (1)
يونيو 2023م

الدولة المدنية في الاجتهاد الإسلامي التعريف والتوظيف.

د. قائد حيدر صالح الوليدي

العموم والخصوص في القرآن الكريم تفسير"أضواء البيان" للشنقيطي أنموذجًا.

د. عزيزة بنت مقعد العتيبي

تعارض المنافع الاقتصادية مع القيم والمبادئ في ضوء بعض أحكام القرآن الكريم.

الباحث/ عبد الله أبوبكر سالم المحضار

الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في الو اقع المدرسي (مدارس مدينة مأرب أنموذجًا).

أ.م.د. يحيى محسن اليريمي

الشيخ علي بن أحمد باصبرين، حياته العلمية وجهوده الدعوية (1228 - 1304 هـ / 1814 - 1887م) دراسة تاريخية.

د. عبد العزيز بن سعيد بن سالم بازرعة

أثر السلوك الدعوي على الداعية في ضوء القرآن الكريم.

د. فايز حسان سليمان أبو عمرة

منهج القرآن في بناء الثقة من خلال مو اقف من قصة موسى عليه السلام.

د. رمزي محمد عبد الله أبو بكر

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المجلد (18) العدد (1)

يونيو 2023م

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية:

موقع الجامعة

معرفة e-Marefa

دار المنظومة DAR ALMANDUMAH الرواد في قواعد المعلومات العربية

شمعة shamaa

EBSCOhost

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام للمجلة

أ.د. غالب عبد الكافي القرشي

رئيس التحرير

أ.د. يحيى مقبل الصباحي

مدير التحرير

أ.د. عبد الحق غانم القريضي

أعضاء هيئة التحرير

أ.م.د. محمد سرحان المحمودي

أ.م.د. أسماء غالب القرشي

أ.م.د. عبد الله أحمد بن عثمان

سكرتير التحرير

م. شوقي صالح بامفروش

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي

أ.د. عبد الله عثمان المنصوري

أ.د. حسن عبد الجليل العبادلة

أ.د. صالح عبد الله الظبياني

أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميسي

أ.د. أحمد صالح قطران

أ.د. علي يوسف عاتي

أ.د. محمد حاتم المخلافي

أ.د. حسن ثابت فرحان

أ.م.د. أحمد صالح بافضل

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان الآتي:

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – الجمهورية اليمنية

جوال: 00967 771161908 algarizi2012@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.uqs-ye.info

البريد الإلكتروني: journals@uqs-ye.info

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

كَبِيرًا ﴾

المجلة علمية محكمة تصدر كل ستة أشهر، وتقبل نشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفقا للشروط والضوابط الآتية:

أولًا: الضوابط العامة:

1. أن يكون البحث أصيلًا، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، وذلك في مجالات (علوم القرآن والعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية).
2. أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومراعياً لقواعد الضبط والإملاء والتنسيق ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت)، ومطبوعاً على الحاسوب.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي وسيلة نشر أخرى، (يقدم الباحث إقرارا بذلك، أو يعتبر اطلاعه على هذه الضوابط إقرارا بذلك).
4. أن يتوفر في البحث دقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.

ثانيًا: الضوابط الفنية:

1. تكتب الأبحاث باللغة العربية بخط (Traditional Arabic)، وبنط (16)، وتكتب الأبحاث باللغة الإنجليزية بخط (Times New Roman) وبنط (14).
2. ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة متضمنة المقدمة والمراجع والملخصات.
3. الهوامش من جميع الجوانب 2.5 سم. والصفحة بحجم: (17x25 سم).
4. تكون المسافة بين الأسطر للأبحاث باللغة العربية والإنجليزية (1.15).
5. يكون حجم الخط للجداول والأشكال للأبحاث باللغة العربية (14)، ويكون حجم الخط للجداول والأشكال للأبحاث باللغة الإنجليزية (11).

6. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم صفحة المجلة.
7. تكتب الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وبحجم الخط (13)، وتوضع بين قوسين مزهرين.
8. . توثق الآيات في صلب البحث، بالسورة ورقم الآية.
9. تكتب الأحاديث النبوية بنفس خط متن البحث وحجمه، وتوضع بين قوسين كهذه « » مسودين مقاس 12. وتشكّل فقط الكلمات التي تحتاج لتشكيل.
10. النقولات العلمية تكتب بين علامتي تنصيص " "، وبحسب أنظمة الاقتباس وأخلاقيات البحث.

ثالثًا: الضوابط العلمية والتوثيق:

1. أن يكتب الباحث ملخصا للبحث في حدود (150ــ 200 كلمة) يوضع في الصفحة بعد صفحة عنوان البحث كفقرة واحدة، بحيث يشتمل على: عنوان البحث، وقضية (مشكلة) البحث، وهدف البحث الرئيس، ومنهج البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم كلمات مفتاحية للبحث من (3 – 5 كلمات)، تلي الملخص مباشرة بنفس الصفحة.
2. أن يترجم الباحث عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية، إن كان البحث باللغة العربية، أو يترجم ذلك باللغة العربية إن كان البحث باللغة الإنجليزية، (مع ملاحظة أن تكون الترجمة معتمدة، وليست من البرامج الإلكترونية، وتكون الترجمة للنسخة النهائية المقبولة من المخلص).
3. أن يترجم الباحث اسمه والمعلومات التي يريد نشرها في صفحة عنوان البحث.

4. أن يحتوي البحث في الأبحاث النظرية على الآتي:

❖ الملخص -المذكور سابقا- عربي وإنجليزي.

❖ مقدمة تتضمن:

- تقديم عن طبيعة البحث، يتدرج من العموم إلى الخصوص.
- أهمية البحث.
- مشكلة البحث، وتساؤلاته.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتساؤلات البحث ومشكلته.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها، وإضافته العلمية والعملية.
- مصطلحات البحث (عند الحاجة لذلك).
- هيكل البحث. (الخطة).

❖ متن البحث ومادته العلمية ويظهر فيها جهد الباحث بعيداً عن النقولات الجامدة دون ربط وتحليل.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتساؤلاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

❖ فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)

5. أن يحتوي البحث في الأبحاث التطبيقية على الآتي:

❖ الملخص (عربي وإنجليزي)

❖ مقدمة تتضمن:

- مشكلة البحث، وتساؤلاته.
- أهمية البحث.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتساؤلات البحث ومشكلته.
- فرضيات البحث (إن وجدت).
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها وإضافته العلمية والعملية.

❖ الإطار النظري.

❖ منهج البحث وإجراءاته.

❖ نتائج البحث ومناقشتها.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتساؤلاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

❖ فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)

6. يكون الاستشهاد في متن البحث بذكر الاسم الأخير للمؤلف وسنة النشر بين قوسين مثل: (المنصوري، 2014)، وفي حالة وجود مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلفين، ثم سنة النشر مثل: (الصباحي والقريضي، 2020)، وعند وجود ثلاثة إلى خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير لجميع المؤلفين عند أول استشهاد مثل: (الشافعي، والكثيري، وسر الختم، 1418هـ)، وعند الاستشهاد بنفس المرجع مرة أخرى في البحث يكتب اسم المؤلف الأول متبوعا بكلمة وآخرون، مثل: (الشافعي وآخرون، 1418هـ)، وعند وجود أكثر من خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلف الأول متبوعا بكلمة وآخرون ثم سنة النشر، مثل: (القرشي وآخرون، 2014)، وفي حالة الاقتباس النصي يتم إضافة رقم الصفحة بعد اسم المؤلف وسنة النشر، مثل: (المحمودي، 2014، 33)، (الرازي، 1998، 201/4).

7. مراجع كتب الحديث النبوي المبوبة تكتب بنفس الطريقة، مع إضافة (الكتاب، والباب، ورقم الحديث) للمراجع المبوبة، مثل: (البخاري، 1990، 1/ 20 رقم: 16، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان.

8. تثبت للمرجع طبعة واحدة فقط، ولا يصح أن تثبت أكثر من طبعة لنفس المرجع، إلا إذا كان هناك مقتضى ضروري لذلك، ويبين ما هو.

9. تثبت المصادر والمراجع بمعلوماتها الكاملة في نهاية البحث، بنظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA6) وذلك على النحو الآتي:

إذا كان المرجع كتاباً: فيكتب اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، ثم تكتب سنة النشر بين قوسين، يلي ذلك عنوان الكتاب (*بخط مائل*)، ورقم الطبعة إن وجدت، ويلي ذلك بلد النشر، واسم دار النشر.

وإذا كان المرجع بحثًا في دورية: فيذكر اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة ثم بقية الاسم، ثم تاريخ النشر بين قوسين، ثم عنوان المقالة، ثم يذكر اسم المجلة (*بخط مائل*)، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد ورقم الصفحات: (.. – ..).

وإذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه: فيكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، ثم يكتب تاريخ الرسالة (بين قوسين)، يتبع بعد ذلك عنوان الرسالة (*بخط مائل*)، ثم يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه *بخط مائل*، القسم، الكلية، اسم الجامعة، البلد.

وترتب المراجع والمصادر ترتيبًا أبجديًّا، وتأتي المراجع العربية أولًا (كتب ورسائل ودوريات)، ثم المراجع غير العربية بعدها (كتب ورسائل ودوريات).

10. تحقيقات المخطوطات تلتزم نفس الضوابط والإجراءات، والتهميش يكون في متن التحقيق (أسفل الصفحات).

رابعًا: إجراءات النشر:

1- تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجمهورية اليمنية، باسم مدير التحرير أو سكرتير التحرير، على البريد المدون أدناه.

2- تُرسل ثلاث نسخ من البحث إلى عنوان المجلة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجاله، والإيميل.. بصيغة word و pdf.

3- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمنًا عنوان الباحث بالتفصيل، بما يسهل التواصل معه.

4- تجري هيئة التحرير التقويم الأولي للبحث وبمساعدة متخصصين.

5- في حالة قبول البحث مبدئيًا، يخطر الباحث بذلك، ويسدد رسوم التحكيم المقررة، ويتم عرض البحث على مُحكِّمَين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها. (من خلال جدول تحكيم خاص بذلك).

6- يُخطَر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال فترة شهر على الأكثر، من تاريخ استلام البحث. وفي حالة رفض البحث يخطر الباحث بذلك مع بيان أسباب الرفض.

7- في حالة ورود ملاحظات من المحكّمين، تُرسل إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن يعاد البحث معدلا للمجلة خلال مدة شهر.

8- يمنح أصحاب البحوث المنشورة نسخة من عدد المجلة المنشورة فيه، ومستلات من بحوثهم.

خامسًا: أخلاقيات النشر:

1. الالتزام بالمعايير الأكاديمية والمهنية في جميع مراحل البحث.
2. الالتزام بمعايير وأخلاقيات النشر العلمي وقواعد الاقتباس، وإسناد المعلومات إلى مصادرها الأصلية.

3. الإخلال بالمعايير العلمية وأخلاق النشر قد يتسبب بعدم نشر البحث أو سحبه من بيانات المجلة.

سادسًا: رسوم النشر في المجلة:

تتقاضى المجلة مقابل تحكيم ونشر البحوث المحكمة الرسوم الآتية:

- من داخل الجمهورية اليمنية: (20,000) عشرين ألف ريال يمني.
- من خارج الجمهورية اليمنية: (50,000) خمسين ألف ريال يمني أو ما يعادلها.
- الصفحات الزائدة عن المقرر يتبع فيه نظام المجلات من حيث الرسوم، (ألف ريال يمني عن كل صفحة).
- البحوث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس المتفرغين للعمل في جامعة القرآن تعامل بحسب لوائح الجامعة.
- الرسوم غير قابلة للإرجاع بعد البدء بإجراءات التحكيم.

سابعًا: ملاحظات مهمة:

- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث بما يتناسب وأسلوبها في النشر، (فنيًّا).
- الآراء الواردة في الأبحاث التي تنشرها المجلة تعبر عن أصحابها دون تحمل المجلة أية مسئولية عنها.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية في التخصصات المشار إليها، على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه. وبنفس الشروط والضوابط.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

جوال مدير التحرير: 00967 771161908

إيميل مدير التحرير: algarizi2012@gmail.com

بريد المجلة: journals@uqs-ye.info

رابط المجلة: http://uqs-ye.info/Journals

إيداع (2013-364)

المحتويات

م	البحث	الباحث	رقم الصفحة
1.	الدولة المدنية في الاجتهاد الإسلامي التعريف والتوظيف.	د. قائد حيدر صالح الوليدي	52–15
2.	العموم والخصوص في القرآن الكريم تفسير "أضواء البيان" للشنقيطي أنموذجًا.	د. عزيزة بنت مقعد العتيبي	85–53
3.	تعارض المنافع الاقتصادية مع القيم والمبادئ في ضوء بعض أحكام القرآن الكريم.	الباحث/ عبد الله أبوبكر سالم المحضار	118–86
4.	الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في الواقع المدرسي (مدارس مدينة مأرب أنموذجًا).	أ.م.د. يحيى محسن اليريمي	171–119
5.	الشيخ علي بن أحمد باصبرين، حياته العلمية وجهوده الدعوية (1228 – 1304 هـ / 1814 – 1887م) – دراسة تاريخية.	د. عبد العزيز بن سعيد بن سالم بازرعة	211–172
6.	أثر السلوك الدعوي على الداعية في ضوء القرآن الكريم.	د. فايز حسان سليمان أبو عمرة	260–212
7.	منهج القرآن في بناء الثقة من خلال مواقف من قصة موسى عليه السلام.	د. رمزي محمد عبد الله أبو بكر	307–261

الدولة المدنية في الاجتهاد الإسلامي
التعريف والتوظيف

د. قائد حيدر صالح الوليدي
أستاذ الفقه المقارن المساعد كلية الشريعة
والقانون – جامعة الحديدة
Qaid777@hotmail.com
a772011277@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/02/03م تاريخ قبوله للنشر: 2023/03/09م

الملخص:

غاية هذا البحث- الدولة المدنية في الاجتهاد الإسلامي التعريف والتوظيف-المقدم من الباحث الدكتور قائد حيدر صالح الوليدي تتبع مصطلح الدولة من حيث التعريف والتوظيف في السياق الاجتماعي المعاصر، فالمدنية تبدأ بالعلاقات الفردية ثم الجماعية والمجتمعية القائمة على القيم والمبادئ والتفاهم والتراضي، وضبط السلوك والوقوف عند الحدود والقانون، والسلطة فيها تُتداول سلميًّا والصلاحيات فيها متوازنة بين السلطات، والحقوق والواجبات متجسدة بالعدل والمساواة كما كانت في العهد النبوي والراشدي.

وقد كان التساؤل المشكل المكوِّن للبحث هو سؤال التعريف وإشكالاته، وسؤال النشأة والتطور في السياق الإسلامي والغربي، وسؤال البناء والتوظيف في الفكر السياسي الإسلامي.

والمنهج المستخدم في البحث الوصفي الاستقرائي التحليلي المقارن.

وقد خرج البحث بنتائج يفيد أبرزها أن المدنية وضعية يحقق فيها الناس المطابقة بين هويتهم وبين متطلبات عصرهم، وقد كان مصطلحًا معروفًا عند العرب وعنوانًا على الاستقرار، وأن الدولة وسيلة بشرية واجتهاد إنساني، وقد نبه التراث الفكري السياسي الإسلامي على مبادئه وقيمه دون مصطلحه، حيث أهم مميزاته تداول السلطة وعدالة الحقوق والواجبات كما مثلته الوثيقة النبوية، التي تحتاج إلى بناء واستثمار كل الموروث التاريخي والواقعي المفيد الصالح.

الكلمات المفتاحية: الدولة المدنية- العقد الاجتماعي-الحضارة.

The Civil State in Islamic Jurisprudence Definition and Employment

Dr. Qaid Haidar Saleh Al –Walidi

Assistant professor of comparative Jurisprudence, Al-Sharia College, Al-Hudeydah Unveracity

Received: 03/02/2023 Accepted: 09/03/2023

Summary:

The purpose of this research – "The civil State in Islamic Ijtihad definition and employment" by researcher Dr. Qaid Haider Saleh Al -Walidi aims to define and employ the concept of the civil state in Islamic Ijtihad in the context of contemporary society. The study examines the definition and employment of the term "state" in relation to individual and collective relations based on values, principles, understanding, compromise, and the law. The research also explores the origin and development of the concept in Islamic and Western contexts, as well as its construction and employment in Islamic political thought. The methodology used is descriptive-inductive-analytical-comparative research. The study concludes that the civil state is a means for achieving conformity between people's identity and the requirements of their time, and that it embodies principles and values such as the circulation of power, justice of rights and duties, and equality as exemplified in the prophetic document. The research emphasizes the need to build and invest in the useful historical and factual heritage of the Islamic intellectual and political tradition.

Key words: The civil state, The social contact, Civilization.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

تعتبر قضايا الدولة من الأمور الاجتهادية التي تتطور وتتغير بحسب الحاجة والموقف القائم على مبادئ العدل وكرامة الإنسان رعاية وحماية، ليكون الحكم منبثقًا من جسم الأمة معبرًا عن حاجاتها وتطلعاتها، يمارس دوره ووظائفه بوصفه جهازًا مدنيًّا، يسعى لإنفاذ تشريعات السماء، وتوفير حاجات ومتطلبات الناس. وهو بهذه الوضعية يستدعي الباحثين للإدلاء برؤاهم النيّرة تبيانًا لمفهومه واستجلاءً لإشكالاته، وتطويرًا لبنائه وتوظيفًا لبنيانه، وهذا البحث يأتي في هذا السياق ويحمل عنوان: الدولة المدنية في الاجتهاد الإسلامي التعريف والتوظيف.

مشكلة البحث وأسئلته:

لقد استخدم علماء الإسلام الأوائل مصطلح دار الإسلام أو الأمصار للإشارة إلى الأقاليم التابعة للسلطة الإسلامية، كما استخدموا مصطلحات الخلافة أو الإمامة أو الولاية للدلالة على الهيئات السياسية المركزية للأمة، وأما مصطلح الدولة فلم يأخذ مفهومه السياسي المحدد إلا بعد مرور قرون عديدة، ثم جاء مصطلح الدولة المدنية ليحدث بعض الإشكال في مفهومه والأخذ والرد في قبوله ورده، والموقف منه، والباحث يحاول الإسهام في تجلية هذا المفهوم وتوضيح موقف معتدل من هذا المصطلح، وذلك من خلال التساؤلات الآتية:

- ماذا يعني مفهوم الدولة المدنية؟
- كيف نشأت المدنية وتطورت في السياق الإسلامي والغربي؟

- ما أهم معاني مصطلح الدولة المدنية وأهم أبعاده؟
- ما أهم الإشكالات المفهومية والعملية للمصطلح؟
- كيف يتم البناء والتوظيف في الفكر السياسي الإسلامي لهذا المصطلح؟

أهداف البحث:

يسعى الباحث –من خلال تناول هذا العنوان– لتحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم الدولة المدنية ونشأة المدنية وتطورها في السياق الإسلامي والغربي.
2. بيان أهم معاني مصطلح الدولة المدنية وأهم أبعاد هذا المصطلح.
3. توضيح أهم الإشكالات المفهومية والعملية للمصطلح.
4. توضيح كيفية البناء والتوظيف في الفكر السياسي الإسلامي لهذا المصطلح.

منهج البحث:

يعتمد الباحث في تناول هذا البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي المقارن من خلال وصف مفهوم ومضمون الدولة المدنية، وعرضها ومقارنتها وتحليلها، والتتبع لأمور جزئية في هذه المفهوم ودراسة الإشكال العلمي تفكيكًا وتركيبًا وتقويمًا.

الدراسات السابقة:

تعددت الرسائل والدراسات والأبحاث حول الدولة المدنية ومن أقرب تلك الرسائل والدراسات التي يراها الباحث ذات صلة وثيقة بعنوان دراسته هي:

1. الدولة المدنية بين الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني د. ماجد الزميع وهي في الأصل رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى جامعة الملك سعود لنيل الدرجة، وقد تناول الباحث الموضوع في تمهيد وثلاثة أبواب، عرّف مصطلح الدولة المدنية والدولة الإسلامية ومؤسسات المجتمع المدني وموقف الاتجاه العلماني المعاصر

من الدولة المدنية وموقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من الدولة المدنية، وقد انتهى إلى أن المفهوم شائك ومتلون وغامض وضبابي، وأن فكرة المجتمع المدني انتقلت من العالم الغربي، وهو يرى التحفظ على أصل الفكرة والمصطلح، ويرى أن التيار العلماني يتخذ موقفه من الدين داخل إطار الدولة المدنية.

2. الدولة المدنية في ضوء السياسة الشرعية، عمار الدويك.. وهي رسالة ماجستير قُدمت استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في القضاء الشرعي في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل، وتكونت من ثلاثة فصول، تناول فيها الباحث تأصيل السياسة الشرعية ومفهوم الدولة المدنية ومدى مشروعية الدولة المدنية بمرجعية إسلامية، وقد انتهى إلى أن الدولة المدنية هي الدولة العلمانية وقد استخدم مصطلح الدولة المدنية وسيلة للالتفاف على رفض الناس للعلمانية.

ويحاول الباحث في هذا البحث توضيح وجهة نظر مختلفة عن الذي انتهت إليهما الدراستان السابقتان بناءً على ما يتوفر من أدلة وبراهين.

خطة البحث: –

تتكون من مقدمة وتمهيد ومدخل وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الدولة المدنية.

المبحث الثاني: المدنية في السياق الإسلامي والغربي.

المبحث الثالث: المعنى والإشكال المفهومي.

المبحث الرابع: البناء المدني للدولة وتوظيفه في الفكر السياسي الإسلامي.

الخاتمة.

تمهيد ومدخل: –

دل مفهوم المدنية في لغة العرب دلالة واضحة على حقيقة المدنية، وانتقالها من سلوك فردي إلى مجتمعي، وصيرورتها نظامًا ودولة، وهي تعنى بالمحتوى الجوهري للحضارة، وقد اشتهرت في الفقه السياسي الإسلامي بمضمون يتنافى مع الدولة العسكرية التي تحتكر السلطة والثروة، والدولة الدينية التي عرفتها أوربا، وقد كانت صناعة المدنية تصورًا وسلوكًا حاضرًا في تعاليم الإسلام وتطبيقاته في عصر النبوة والخلافة الراشدة، فقد بدأت الدولة في الإسلام مدنية وانتهت إلى ملك عاضّ وجبري استبدادي، وبدأت الدولة في الغرب استبدادية وانتهت إلى حالة مدنية؛ بعد حروب وصراع مرير، وهذا المفهوم –وإن قيل إنه وافد ودخيل– لكنه بما فيه من مضمون بضاعتنا ردت إلينا نستطيع الانتفاع بها بما لا يتعارض ومبادئ شريعتنا، وهذا ما سوف نوسع القول فيه في المباحث الآتية.

المبحث الأول: مفهوم الدولة المدنية

مدن فلان مدونًا أتي المدينة، وتمدن وتمدين عاش عيشـــة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة، وتمدن المدائن بناها، والمدنية الحضارة واتساع العمران، والمدينة المصر الجامع جمعه مدائن ومدن..)[1]، والدولة المدنية نســبة إلى المدينة وتدل على نمط الحياة في المدينة، وتســتعمل هذه اللفظة كمقابل للبداوة، فالمدنية مرادفة للحضــارة عند الأكثر، وتســتعمل الحضارة والعمران مقابل للبداوة –أيضًا– ومن ذلك البادية "ولا يسعفنا الاشتقاق اللغوي في التفريق بين الحضارة والمدنية، فالمتحضر هو الذي يسكن الحواضر والمتمدن هو الذي يسكن المدن، لكن حين وجد كثير من المفكرين والباحثين أن ارتقاء حياة الإنســـان ذو بعدين أساسين: بعد شكلي وبعد داخلي، رأوا أن يطلقوا مصطلح المدنية على ما يتم من ارتقاء في مضــامين الحياة الحضــرية، ومصــطلح الحضــارة على الارتقاء الشــكلي الذي يتمحور حول وسائل وأدوات العيش وأدوات الإنتاج وطريقة تنظيم البيئة.

والحضارة تعني في الأصل سكنى الحاضرة، فالإنسان الحضري يسكن في تجمع سكاني كبير نســبيًّا قد يكون مدينة أو قرية، وكلما كان عدد ســكان ذلك التجمع أوفر نظر إليهم على أنهم أعرق في التحضر، كما هو الشأن في نظرة معظم الناس إلى سكان العواصم الكبرى اليوم، ثم اتسع مدلول الحضر والتحضر والحضارة ليدل على نمط من العيش مضاد لما عليه كلمة بداوة وهذا النمط يمتاز عن النمط البدوي، والحضارة في مفهومها العام هي مجموعة من النظم والأساليب والأدوات التي اتخذها الإنسان في تحسين ظروف معيشته، والتمدن هو أهلية الإنســان لاكتشــافات الإمكانات الحضــارية وتطويرها والاســتفادة منها، والمجتمع المدني هو

1 – ابن منظور، محمد بن مكرم ت (711هـــــ)– لســان العرب، مادة مدن :(دار صــادر بيروت ط/1د.ت) وانظر: مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط مادة مدن. (دار الدعوة، مجمع اللغة العربية).

المجتمع الذي تقوم فيه العلاقات على القيم والمبادئ التي يؤمن بها المجتمع، وعلى الأعراف التي أنضجها بالتراضي والتفاهم بين أفراده.

والمدني هو الإنسان المتمدن القادر على ضبط سلوكه ونزواته والوقوف عند الحدود التي تبدأ عندها حقوق الآخرين، أما الإنسان البدائي والمتوحش فيقف عند الحدود التي توصله إليها قوته، مما يجعل الخوف هو الطابع العام للحياة، حتى الجبارين العتاة يظلون يتوقعون المخاطر ممن يظنون أنهم أقوى منهم.

إذا كانت الحضارة هي النمو المطرد في المنظومات المادية والعقلية والروحية التي تنقل المجتمع من البدائية إلى التحضر وتجعله يتجاوز-كما ذكر ابن خلدون- إنتاج الحاجيات إلى الكماليات أو تطوير نوعية إرضاء الحاجات، فإن المدنية هي المبادئ التي تقوم عليها هذه المنظومات أو تشكل نواتها الأولى وإذا كانت الحضارة مرتبطة أساسًا بتنظيم علاقة الإنسان بالطبيعة ودرجة سيطرته عليها وأنماط إنتاجه المادي والروحي، فالمدنية ترتبط بتنظيم علاقات الإنسان الاجتماعية وبدرجة تحول هذه العلاقات إلى علاقات مبنية على التواصل والتبادل السلمي لا على العنف والإكراه.[1]

وتأتي المدنية: كمقابل للعسكرية، والدولة العسكرية هي الدولة التي تحتكر الصلاحيات وترفض التداول السلمي للسلطة، ويتسلط فيها -فرد أو جهاز سري أو فئة أو طائفة أو جماعة- بالاعتماد على القوة العسكرية أو الأمنية أو غيرهما، على مقومات الدولة من الأرض والشعب والثروة والسلطة- تسلطًا شاملًا، ويحارب مبدأ المشاركة، ويلغي كل مضمونه

1 - بكار، عبد الكريم، تجديد الوعي: 124 (دار المسلم للنشر والتوزيع ط/1 1421هـ2000م) بتصرف واختصار. وانظر: غليون، برهان، اغتيال العقل ص150 (المركز الثقافي العربي،2012 م)

الدستوري والسياسي وتدار شؤون الدولة ويتحكم في مسيرتها ومصيرها دون تقيد بدستور أو قوانين.. وتتعدد لهذه الدولة الأشكال والتفريعات والمسميات: عسكرية أو بوليسية أو دكتاتورية أو استبدادية أو شمولية. لكنها تشترك في غاية وسلوك واحد، البقاء الدائم في السلطة والسيطرة الكاملة على الثروة، ونشر الخوف وانتهاك الحقوق والحريّات، واعتماد المعايير الأمنية والولاء المطلق في التعامل مع مواطنيها ومؤسسات المجتمع المدني فيها، وتتغول على السلطة التشريعية والقضائية.

وتأتي المدنية :كمقابل للدينية، والدولة الدينية هي: "الثيوقراطية" [1]التي عرفها الغرب في العصور الوسطى وقد أخذت النظريات الثيوقراطية ثلاث صور: –

الصورة الأولى: تأليه الحاكم فأساس السلطة ومصدرها والمحدد لعلاقاتها هو شخص الحاكم. الصورة الثانية: الزعم بالحق الإلهي المقدس المباشر، وقد عرفت بنظرية الحق الإلهي المقدس، فبعد صراع مرير على السلطة بين الملوك والكنيسة، تحالف الملوك مع الكنيسة وظل الملوك يمارسون السلطة؛ باعتبارهم مختارين بإرادة إلهية مباشرة ومفوضين من لدنها مما دعم حقهم المقدس في الحكم والسيادة.

الصورة الثالثة وهي صورة الحق الإلهي غير المباشر، وليس بين الصورتين سوى فرق شكلي، حيث تأتي السلطة من الله عن طريق الكنسية إلى الحاكم بواسطة الشعب واختياره وتفويضه.

1– قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة ص9–78 :(دار الشروق القاهرة ط/1 1983م).

المبحث الثاني: المدنية في السياق الإسلامي والغربي

المدنية في السياق الإسلامي: –

ورد اسم المدينة والأعراب والبدو والحاضرة والبادية في القرآن الكريم، وخلاصة معاني المدنية في السياق القرآني: الرقي والحضارة والرفاهية والتهذيب والتقويم والإصلاح المادي والروحي والفكري " وفي تيسير وسائل السير في الأرض لطف عظيم، لأن به تيسير التجمع والتعارف واجتلاب المنافع والاستعانة على دفع الغوائل والأضرار، والسير في الأرض قريبًا أو بعيدًا من أكبر مظاهر المدنية الإنسانية.."[1]

وتحقيق المدنية وإقامتها من عمل الصالحات والخصال الحميدة. كما أن الألفة والتآلف والتعارف والمحبة والسلام، والاستفادة من الزمان والجد والعمل والهمة والنشاط، والصلاح الروحي والفكري والإنتاج وغير ذلك هو من مقومات المدنية، والسياسة المدنية هي سلوك راقٍ في التعامل وإدارة التزاحم والخلاف، وهي سبيل الصلاح الجماعي، وقد منّ الله على يعقوب –عليه السلام– وبنيه بنعمة المدينة والتحضر والرقي كما في قصة يوسف عليه السلام، وقد كانت الرسالات السماوية تتجه للقرى وأمهاتها دون البوادي، وأصل الحضارة والتمدن صناعة الملابس والأثاث والمنازل والمساكن.

وجاء في السنة الشريفة –مقابل المدنية –إشارة لنمط البداوة وتأثيراتها وطبيعة الفرق بين العيش في المدن والبوادي، وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من بدا جفا ومن

1 –انظر: – ابن عاشور: محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير: 38/1، 349/2، 9 / 16، 13 /58، 36/14–37، 83/18، 25 / 170 (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997م).

اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد أحد من السلطان قربًا إلا ازداد من الله بعدًا))[1] وفي لفظ ((من سكن البادية جفا))[2] أي غلظ طبعه وقسا قلبه لقلة مخالطة الناس، قال المناوي: "الجفاء بفتح الجيم الغِلظ في العشرة والخرق في المعاملة وترك الرفق في الأمور" [3]، وقال ابن عاشور عن الأعراب:" وهم لتوارثهم أخلاق أسلافهم وبعدهم عن التطورات المدنية التي تؤثر سموا في النفوس البشرية، وإتقانا في وضع الأشياء في مواضعها، وحكمة تقليدية تتدرج بالأزمان، يكونون أقرب سيرة بالتوحش وأكثر غلظة في المعاملة، وأضيع للتراث العلمي والخلقي، ولذلك قال عثمان لأبي ذر لما عزم على سكنى الربذة : تعهد المدينة كيلا ترتد أعرابيا"[4] وقد جاء النهي عن التعرب بعد الهجرة[5] لما في التبدي والانقطاع عن الجماعة ومشاهد العلم والدين من الجفوة.

نشأة المدنية وتطورها:

بدأت المدنية كسلوك فردي قائم على تصورات فكرية مدنية، فالإنسان مدني بطبعه، وهذا يعني وجود مجموعة من العلاقات التعاملية التي تقوم بين أفراد المدينة، مبنية على حرية المبادرات والنشاطات والممارسات الفردية السلمية المهذبة، تنتظم في إطار مؤسّسات

1 –رواه أحمد في المسند 23/18 عن البراء وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم6123

2 –رواه الترمذي في سننه رقم 2256، (523/4) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري. قال الألباني: صحيح

3– المناوي، زين الدين محمد بن الرؤوف(ت1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف ص127) :عالم الكتب القاهرة ط1 1410هـ1990م) وانظر: التيسير بشرح الجامع الصغير 423/2

4– ابن عاشور، التحرير والتنوير 11/11 وانظر: – جواد علي(1408هـ) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام 281/1/ :(دار الساقي ط4 1422هـ2001م)

5– البيهقي، السنن الكبرى، باب ما جاء في التعرب بعد الهجرة) برقم 17569، (19/9).

وتنظيمات تعبّر عن مصـــالحها وعن تطلّعاتها، وهذه العلاقات التعاملية الفردية القائمة على القيم والمبادئ هي جوهر المجتمع المدني، الذي ترتبط نشـــأته وتكوينه وتطوره بظاهرة المدينة بمعناها الوضـــعي العام الذي ترتبط نشـــأته وتقوم عليه الدولة المدنية، وقد" كانت أحوال الجماعات البشـــرية، في أول عهود الحضـــارة، حالات عكوف على عوائد وتقاليد بســـيطة، ائتلفت رويدًا رويدًا على حسب دواعي الحاجات، وما تلك الدواعي التي تسببت في ائتلاف تلك العوائد، إلا دواع غير منتشـــرة لأنها تنحصـــر فيما يعود على الفرد بحفظ حياته، ودفع الآلام عنه، ثم بحفظ حياة من يرى له مزيد اتصـــال به، وتحســـين حاله، فبذلك ائتلف نظام الفرد، ثم نظام العائلة، ثم نظام العشـــيرة.."[1]،وقد صـــار لهذا لاجتماع المدني نمط حياة، يقوم على التزام بترتيبات اجتماعية إنسانية توافقية في الخيارات والقناعات.

وقد صنعت تلك التوافقات والترتيبات حضارة وأسست دولة، تأثرت مسيرتها بالزمان والمكان والتوجهات الفكرية والثقافية والمنهجية، وأنشـــأت حاجة لإدارة أمور المدنية عرفت بـــالسياسة المدنية، وتعرف بأنها تدبير: "المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه" أو "علم بمصـــالح جماعة متشـــاركة في المدينة؛ ليتعاونوا على مصالح الأبدانِ، وبقاء نوع الإنسان"[2] .

وهـذه الترتيبـات هي نوع من الحكمـة:" والمهم من الحكمـة في نظر الـدين أربعـة فصـــول: أحدها معرفة الله حق معرفته وهو علم الاعتقاد الحق، ويســـمى عند اليونان العلم الإلهي أو ما وراء الطبيعة، الثاني ما يصـــدر عن العلم بهِ كمال نفســـية الإنســـان، وهو علم

1 – ابن عاشور التحرير والتنوير 191/3.

2 – ابن خلدون، عبد الرحمن– المقدمة :28 (دار الفجر للتراث ط/1 2004م) وانظر: القنوجي، صديق حسن خان، أبجد العلوم، 246/2 (ت. عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية بيروت 1978م).

الأخلاق، الثالث تهذيب العائلة، وهو المسمى عند اليونان علم تدبير المنزل، الرابع تقويم الأمة وإصلاح شؤونها وهو المسمى علم السياسة المدنية، وهو مندرج في أحكام الإمامة والأحكام السلطانية، ودعوة الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة"[1].

وقد كان " عرب الجزيرة أقدم الأمم مدنية مهذبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم"[2]وقد جاءت البعثة النبوية لتكميل هذه المدنية وتهذيبها وعلّم الإسلام الناس السلوك المدني الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، فركزت المرحلة المكية لبناء الإيمان وتصحيح الفكر والتصور والاعتقاد، فارتقى الإنسان المسلم في إحساسه بالآخرين وصارت تصرفاته أكثر نعومة وأناقة وشفافية، وتكونت روح المدنية في كيانه، وطبعته بطابع خاص في حصوله على حقه، وحله لمشكلاته بالطرق السلمية وفي كل شؤونه، وفي الابتعاد عن العنف وإدارة التعارض بين مصالحه ومصالح الآخرين، واكتشاف الذات والإنسانية والمشاعر والحقوق وتقدير الجهود والمشاركة وتأسيس الثقة والقدرة على السمو وتأجيل الرغبات وتجاوز العقبات" وقد آتى ذلك أكله أشكالًا وألوانًا وتجلى ذلك في التطور الذي دخل على النظم التربوية والسياسية والاقتصادية التي كانت سائدة في الجاهلية، وذلك التطور كان يقوم على تحول داخلي يتمثل في أخلاق الناس وطرق تفكيرهم".[3]

ولما بدأت المرحلة المدنية كانت الهجرة واجبة إلى المدينة، وفي ذلك إشارة لأهمية اجتماع الناس لقيام المدنية والحضارة، وقد كانت الإمكانات الحضارية المادية قليلة لكن

1- ابن عاشور- التحرير والتنوير 3/60-65.

2 - الكواكبي، عبدالرحمن - أم القرى: 22 (دار الرائد العربي لبنان بيروت 1402هـ-1982م).

3- بكار، تجديد الوعي ص129-130 وص131 بتصرف واختصار. وانظر للتوسع: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام 1/261 وما بعدها.

المبادئ والقيم أقامت حضارة عريقة ومدنية زاهية، حيث بنى الرسول صلى الله عليه وسلم دولة للمسلمين في المدينة، فقام بتنظيمات إدارية وسياسية واجتماعية وحربية ومالية وعمرانية، وكتب «وثيقة»[1] تكفل الحقوق والحريات، وبناء مجتمع مدني متعدد متسامح متناسق من جميع جهاته وأطرافه، تحكم العلاقات فيه قواعد عامة ومجردة، وتؤسس لقبول الآخر والمشاركة في المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع غير المسلمين، وهذا ما يمثله مفهوم العقد السياسي، وقد مثلث هذه الوثيقة أول صياغة قانونية حقوقية ومرجعية دستورية لسكان المدينة النبوية، مهمتها تنظيم شؤون سكان المدينة المنورة قانونيًّا، والتبيين لكل مواطن فيها حقوقه وواجباته، حيث لابد للتعددية من عقد اجتماعي ينظم العلاقة ويضمن الحقوق والواجبات، كالحق في الأمن وحرية التنقل الآمن والحق في حرية التدين والاعتقاد وحرية التصرف في أحوالهم الشخصية ومبدأ المساواة بين الناس أمام القانون وحق المواطنة والتعايش والتكافل والتضامن الاجتماعي والسياسي، والتعاون على رفع الظلم والمسؤولية المشتركة للدفاع عن المدينة، ونظمت الوثيقة علاقة الجوار بين المسلمين فيما بينهم، وبين المسلمين وغيرهم من مواطني الدولة.

ثم بعد فترة النبوة قامت دولة الخلافة الراشدة، وفق سلوك وممارسة مدنية على أساس الشورى في اختيار الأمة ورضاها عبر البيعة، يختص فيها الخليفة وجهازه التدبيري بخدمة الأمة وتنفيذ قراراتها، وتطبيق شريعتها في نظام حكم لا مركزي، على أساس العدل والمساواة وفصل

1- أمحزون، محمد- منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ص297-350 (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط1 1423هـ2002م). وانظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص: 57، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة، 1407هـ/1987م.

السلطات، الأمة مالكة السيادة يباشرها عنها الإمام، وهو وكيل عنها، وتلتزم بالعقد بالطاعة وفق عقد البيعة، ويحافظ الإمام على مبدأ المشروعية.

وقد قام الخلفاء الراشدون ببناء دولة على أسس متينة فرسّخوا مفهوم الخلافة كمؤسسة خدمية تنفيذية تقوم على مفهوم البيعة الشرعية ونظرية العقد السياسي الإسلامي، وجعلوا أمر المسلمين لهم جميعًا في اختيار الخليفة ومدة ولايته، وأسسوا مفهومي الإجماع والأغلبية الشوروبين، وجعلوهما مقياسًا لاتخاذ القرار وتنفيذه والمحاسبة عليه، و كرّسوا المفهوم العملي الإسلامي لحرية الرأي والحق والطاعة والشورى وانتقال السلطة سلميًّا.."و لم يسل سيف على خلافة أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، ولا كان بين المسلمين في زمنهم نزاع في الإمامة، فضلًا عن السيف، ولا كان بينهم سيف مسلول على شيء من الدين، لكن كان النزاع حول الإمامة دمويًّا مع الأسف في أزمنة تالية"[1] بعد مرحلة الخلافة الراشدة، فقد جاءت سلطة الغلبة والأمر الواقع والاستيلاء بالقوة على الحكم، واعتبار الخليفة والسلطان والإمام الفرد قطب الدولة ومحورها وولي أمرها الذي يمسك بزمام دنيا الناس وآخرتهم، وبمقتضى هذه الولاية يجب على الكافة: " تفويض الأمور العامة إليه من غير افتئات عليه ولا معارضة له، ليقوم بما وُكل إليه من وجوه المصالح وتدبير الأعمال "[2]، فهي سلطة تُلزم الغير ولو لم يوافق، ولأن الإمامة عقد لا يتم إلا بعاقد، و عدم قيامها يعطل المصالح ويبطل التصرفات الشرعية فقد ذهب بعض الفقهاء إلى ثبوت إمامة المتغلبين وحمل الأمة على طاعتهم، اتقاء الفتنة وتمييز

1-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ) - منهاج السنة النبوية 324/6 (ت محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ط/1 1406هـ1986م، وانظر الخلافة والملك لأبي الأعلى المودودي ص:63-98 وكذلك انظر: عبد الملك منصور- البغي السياسي ص276 وما بعدها.

2- الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ) -الأحكام السلطانية ص39 (دار الحديث القاهرة).

الإمام، وعلى أهل الاختيار عقد الإمامة لهم، فإن توقفوا عن ذلك أثموا، وقد رأى أبو يعلى أنها تثبت بالقهر والغلبة ولا تفتقر إلى عقد، مستندًا إلى رواية عن أحمد : " ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا عليه، برًا كان أو فاجرًا فهو أمير المؤمنين " [1]. واحتج برواية أبي الحارث في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك، فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، أن الجمعة تكون مع من غلب، وبما رواه أحمد عن ابن عمر أنه صلى بأهل المدينة في زمن الحرة وقال: "نحن مع من غلب" [2].

وقال النووي "إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة فجاء آخر فقهره انعزل الأول وصار الثاني إمامًا.. ولو غير أهل لها كصبي وامرأة، بأن قهر الناس بشوكته وجنده وذلك لينتظم شمل المسلمين"، وذهب ابن جماعة: أن كل من تصدى للإمامة وليس من أهلها، وقهر الناس بشوكته وجنوده، بغير بيعة واستخلاف، كان إمامًا شرعيًّا لزمت طاعته، ولا يقدح إمامته كونه فاسقًا أو جاهلًا. وإذا انعقدت الإمامة بالشوكة والغلبة لواحد ثم قام آخر فغلب الأول، انعزل الأول وصار الثاني إماما. " [3]

1- مجموعة باحثين، الجامع لعلوم أحمد 28/13 (دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث/ط1430/1هـ2009م).

2- ابن عبد الهادي، يوسف(744هـ) - إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة ص76 (دار النوايا سوريا/ط1432/1هـ2011م).

3 - النووي، يحي بن شرف (ت 676هـ) - روضة الطالبين وعمدة المفتين 48/10(ت زهير الشاوش المكتب الإسلامي ط3 1412هـ1991م) ابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت.733) تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام- ص55(ت فؤاد عبد المنعم أحمد رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط2 1411هـ1991م).

وله أن يبقى في السلطة طيلة حياته، ولا يجوز عزله إن خيفت الفتنة، أو لم يُقدر عليه، أو كان عزله يؤدي إلى الإضرار بالمصالح، وذهب الباقلاني إلى القول بأن "الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث يقولون: لا ينخلع الإمام بالكفر بعد الإيمان أو ترك الصلاة أو الفسق والظلم، وإنما يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاص" [1].

وقد كان ".. أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان" [2]، وقد أدت إمامة الغلبة والقهر والشوكة إلى فتح باب واسع للفتنة والخيانة وتكريس الاستبداد والتمرد، وغياب الشورى التي تحمي سلطة الأمة ووحدتها، وإلى تمزق البلاد وقيام دويلات في أطرافها، ولم يكن الانقسام الذي تعيشه الأمة اليوم إلا نتيجة وظفها المستعمر، ولعل ما تقدم يبين أن أصل قيام الدولة في الإسلام كان مدنيًّا ثم انتهى إلى أشلاء دول قهر وغلبة وشوكة.

المدنية في السياق الغربي: –

بعد انتهاء الحروب الدينية في أوربا بنهاية العصور الوسطى[3] وبداية عصر النهضة، تبلورت الأفكار المناوئة للنظريات الثيوقراطية في صورة نظريات جديدة عرفت بالنظريات

1- الباقلاني، محمد بن الطيب (ت403هـ) – تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (تحقيق عماد الدين أحمد، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان ط1 1407هـ1987م).

2 – الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت548هـ) –الملل والنحل 22/1(مؤسسة الحلبي، د.ت).

3- الجرف، طعيمة – نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم 47-51 (، دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الخامسة 1978م) وانظر: الجمل، يحيى – النظم السياسية ص 56 (دار النهضة العربية القاهرة بدون تاريخ).

العقْدية، وهي لم تستند فيما انتهت إليه إلى أسس علمية لها سندها التاريخي، في صورة وقائع تاريخية محددة وثابتة، وإنما بنيت على افتراضات هي محض خيال.. وهي في أصل قيامها ردة فعل تجاه مظالم التحالف الثلاثي بين الملكية والكنيسة والإقطاع الذي ظل يحكم فترة طويلة من خلال تصورات ومنطلقات عرفت بالنظريات الثيوقراطية (doctrinnes theocratiques) أو الدينية والتي تعني المذاهب التي تنسب السلطة إلى الله، وهذه المذاهب اجتهادات بشرية خاطئة قال بها الأتباع دون سند شرعي، وإن صدقت على بعض الديانات فلا تصدق على الدولة في الإسلام.

وقد قال بهذه النظريات العقدية هوبز (hobbes) و لوك (LOCKE) وروسو (ROUSSEAU) وقد انطلق هؤلاء من أرضية مشتركة واحدة، وهي القول بوجود حالة فطرية بدائية عاشها الجنس البشري قبل قيام الدولة، إلا أنه بمرور الأيام شعر الأفراد بعدم كفاية تلك الحياة الفطرية البدائية لتحقيق مصالحهم وتلبية رغباتهم، فاتفقوا فيما بينهم على أن يتعاقدوا على الخروج من هذه الحياة الفطرية البسيطة إلى حياة أخرى منظمة بمقتضى عقد اجتماعي.

والإغراق النظري لهذا الفكر الافتراضي ذهب بهم مذاهب مختلفة في تصور كيفية الحياة الفطرية قبل قيام الدولة وتحديد مضمون العقد الاجتماعي وتحديد الأطراف التي اشتركت في العقد الاجتماعي.

أما "هوبز" فالعقد الاجتماعي من وجهة نظره لا يتفق مع وجهة نظر العقدية لكل من "لوك" و "روسو" إلا في القول بالأساس العقدي للسلطة، فالأفراد يتعاقدون فيما بينهم لإنشاء سلطة عامة تتولى ضبط الحركة الاجتماعية، ولابد أن يتنازلوا عن حقوقهم تنازلًا كليًّا، وأن تكون سلطات الملك مطلقة ولا يكون طرفًا في هذا التعاقد.

وأما "لوك" فاشترك مع "هوبز" في تكييف التصور القانوني لأساس السلطة وهو العقد، واختلف معه في تصور الحياة البداية وفي مضمون العقد، فالعقد عنده بين طرفين حاضرين تنازل فيها الأفراد عن بعض حقوقهم مقابل تسيير حياتهم، وبقية الحقوق مكفولة ويلتزم الطرف الآخر باحترامها وعدم المساس بها، وهو بهذا يكبح جماح النظام الملكي ويقيد سلطته، فالشعب هو صاحب السلطة الأصيل وله حق إسنادها إلى الملك ليمارسها على النحو الذي يرتبه صاحب الحق، ولصاحب الحق الأصيل في السلطة أن يستردها من الملك في أي وقت شاء حسبما تنص عليه بنود العقد بين الطرفين.

وأما "روسو" فنظريته تقوم على تنازل الأفراد عن حقوقهم الطبيعية كاملة لمصلحة مجموع الأفراد الداخلين في العقد، وسوف يعوضون عن تلك الحقوق والحريات التي تنازلوا عنها بحريات وحقوق مدنية تقررها الجماعة التي أقاموها، فوظيفة التعاقد لا تقف عند حد الأساس العقلاني المفترض للسلطة، بل تتجاوزه إلى قيام سلطة تعلو الأفراد وتحكمهم وتتجسد فيها السيادة والإرادة العامة، التي لا يتصرف فيها بأي حال من الأحوال، وقد أبدعت نظرية روسو في بروز الديمقراطية، و إعطاء السلطة للشعب بدل إعطائها للفرد المستبد وتطورت بعد ذلك لتصبح مشروع دولة وصولًا إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

ونجد من خلال هذه النظريات أن مضمون الدولة المدنية قد تدرج في رحمها، من النظام الملكي المطلق على أساس عقدي إلى تقييده لصالح الأفراد، إلى نقل السيادة من فرد أو أفراد معينين إلى مجموع الأفراد، ولم يستخدم لديهم للتعبير عن ذلك إلا مصطلح الحضارة (Civilizatio)حيث يعود أصلها الغربي إلى المدينة وهنا يطابق الأصل العربي(الحاضرة) بمعنى المدينة، والمتحضر ساكن الحاضرة وشاع في العربية: سكان الحواضر، وأهل الحواضر، في

مقابل البادية وأهل البادية لكن الاستعمال الغربي للحضارة لم يتبلور قبل القرن الثامن عشر [1].

وهذا الاستعمال الغربي لمفهوم الحضارة، وما تمخضت عنه نظريات العقد الاجتماعي من مضامين، يلتقي مع نظام البيعة في الإسلام، حيث تختار الأمة من خلاله لخدمتها وتنفيذ أمرها من تشاء عن طريق الوكالة ومشاركة الجميع في التدبير العام، وهذا جوهر الدولة المدنية، وتتم هذه النظرية عبر الشورى فلا استبداد ولا تسلط ولا احتكار للسلطة والثروة، وقد "كان الذي عرفه التاريخ الأول من الديمقراطية المباشرة ممارسات سياسية لم يستوعبها تنظير دستوري إلا في نهاية القرون الوسطى حيث اكتشف الفكر الأوربي قاعدة دستورية يعبر بها عن أساس نظري للديمقراطية، وأحسب أنهم إنما تلقوا تلك النظرية التأصيلية للديمقراطية بأثر الاتصال بالفقه الإسلامي السياسي وكان ذلك الفقه قد عرف جوهر الديمقراطية أو حكم الشعب"[2].

1- نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ص33 (سلسلة المفاهيم والمصطلحات (1) ، أمريكا، هيرندن، المعهد العالمي للفكر الاسلامي 1994م).

2- الترابي، حسن الشورى والديمقراطية ص6.

المبحث الثالث: المعنى والإشكال المفهومي

معاني مصطلح الدولة المدنية وأبعاده.

أهم معنى يحمله مصطلح المدنية هو الاستقرار، وكل معاني النظام والعمران والتنعم والتطور المادي تنشأ عن الاستقرار، وارتباط المدنية بالدولة باعتبارها وسيلة تحقيقه، فكل دولة تحقق للمجتمع الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني والقضائي والعلمي والمهني والعمران والرفاهية فهي مدنية، وقد أقام البشر في تاريخهم عدة مدنيات فاسدة وصالحة، وقدمت دولة النبي- صلى الله وسلم- في المدينة ودولة الخلافة الراشدة نموذجًا فريدًا للمدنية الصالحة، والتجربة التاريخية للدولة في الإسلام شاهدة على السعة والمرونة السياسية، حيث حددت مجموعة من القيم والمبادئ الأساسية يجب أن تسود في مؤسسة الدولة، وجعلت شكل الدولة ومسمياتها خاضعة لظروف الزمان والمكان وتحولاته، واختيار الإطار الأنسب للوفاء بتلك القيم والمبادئ الأساسية، والعمل على تنفيذها وتحقيقها في الواقع الخارجي.

وما وصل إليه الفكر السياسي المعاصر من قيم وركائز تقوم عليها المدنية، من خلال التجارب الطويلة والخبرات المتراكمة، لا يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية ولا يصطدم بها، بل قد سبقت إليه فكرًا وتطبيقًا.

إن الدولة المدنية تعني أن الحكم والإدارة يرجع للشعب، فالحاكم وكيل عن الأمة، يتم اختياره بمبايعة أهل الحل والعقد في الأمة عبر ممثليهم في مجلس يختار، أو من الأمة مباشرة باختيار مباشر، ومقتضى الوكالة أن يعمل الوكيل بإرادة وتوجيه الموكل، فلا توارث في نظام الحكم ولا غلبة ولا شوكة، وهذا الاختيار عن رضا ودون إكراه، وهو مقيد باتباع الشريعة،

وعدم الخروج عليها فإذا خرج يكون تقويمه، فإن لم يرجع تجب مقاومته.

وأهل الحل والعقد أو نواب الأمة، هم مؤسسة سياسية وقانونية ومدنية عامة، بعيدة عن هيمنة النزعات الفردية أو الفئوية أو الطائفية أو المذهبية أو غيرها، يتم اختيارها وانتخابها من الأمة.

والقانون والنظام في المجتمع المتمدن والدولة المدنية يكون تجسيدًا لمبادئ المجتمع في الحقوق والواجبات، ولذلك ينعكس واقعًا عمليًّا في تنظيم الحياة العامة، وتطبيق القانون على جميع الناس بغض النظر عن مواقعهم وانتماءاتهم، وعدم معاداة العقائد أو رفضها، ورفض العنف والنزعات المتطرفة، وترسيخ مبدأ المواطنة .

ويظل تطبيق القانون محترمًا في الدولة المدنية، مالم يكن أداة لتأمين مصالح الجهات النافذة، حيث يصبح تطبيقه مظهرًا من مظاهر الانهيار الاجتماعي، وسببًا من أسباب الهلاك لأنه يصبح أداة ظلم وإفساد، وإلى هذا رمى الحديث الشريف ((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم القوي تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد))[1].

الإشكال المفهومي والعملي للمصطلح: –

أهم إشكال في هذا المصطلح: القول بأنه مصطلح وافد ومفهوم قدمته أوربا للعالم بعد أن تخلصت من الحكم الكنسي الديني، وبنته على أسس لا تقبل التشريعات الدينية ولا تميز بين مواطني الدولة، وهو جزء من الليبرالية كفلسفة ومنهج، ونظام شامل للحياة لا يمكن

1 –أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم (3475)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، برقم) 1688، عن عائشة رضي الله عنها.

فصل العوامل الثقافية والنفسية والتاريخية والحضارية، عما يحمله من دلالات ومضامين تناقض جوهر الشريعة الإسلامية وثوابتها.

وهذا التخوف ليس جديدًا، فمنذ بدايات نهضة الفكر الإسلامي المعاصر، كانت تيارات الرفض لكل ما هو غربي من النظم والفلسفات والرؤى حاضرة وصاخبة، وثارت معارك لا تتوقف حول الديمقراطية والاشتراكية واللبرالية والدولة المدنية، ولم يكن الإشكال الشرعي وحده هو العامل الأساسي في إثارة هذه القضايا، بقدر ما كانت نفسية الرفض المتأثرة بالسلوك الديني إزاء الأوضاع القائمة، وهيمنة الظلم الإداري الرسمي بشتى أصنافه السياسية والاجتماعية؛ هي المشكلة لتلك النفسيات الرافضة، "وقد كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- يمنع المسلمين من تقليد بعض أنواع السمات الثقافية للمجتمع الجاهلي، خشية التقليد في العقائد والقيم التي تمثلها، ولكن حين أمن الفتنة على القيم الإسلامية لم يعطِ تلك الأشكال وما ترمز إليها من قيم جاهلية أي اهتمام، كما وجدنا المسلمين وقت عزهم يأخذون بنظم الدواوين والتراتيب الإدارية والعملية، بل وصل الأمر بالحضارة الإسلامية إلى درجة القدرة على أسلمة منظومتين حضاريتين كانتا على درجة كبيرة من العزة والمنعة، وهما الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية، ولا بأس من الاستعانة بكل مصطلح رائج يعبر عن معنى وإدراجه في سياقها ولفه بأطرها وتصوراتها، فالمعاني أهم من المباني والعبرة ليست بالصور والألفاظ وإنما هي بالمعاني والمقاصد"[1].

إن "المسوغ الأول لقيام الدولة إنما هو ما تتضمنه من مذهبية تصورية للعقد الاجتماعي وبمجرد أن يعلن في الدستور أن دين الدولة الإسلام فقد التزمت هذه المؤسسة

1- الترابي، حسن- الديمقراطية والشورى إشكالات المصطلح والمفهوم ص9 بتصرف.

شكليًّا بكل ما يقتضيه هذا الدين [1]، والقول بأن جوهر الدولة المدنية علمانية تفصل الدين عن الدولة إطلاق غير دقيق، بل هي مضـــمون ما في العقد الاجتماعي، وهي مجرد حالة وشـكل يعبر عن الواقع في تقسـيم السـلطات المختلفة والقوانين المنظمة للعلاقات بين الأفراد والهيئات والتجمعات، وليس عند مسـلم إشـكال متعلق بالشـريعة وتطبيقها، لأن الشـريعة صالحة لكل زمان ومكان، المشكل هو اختزال مفهوم الشريعة في الجانب القانوني وفي الحدود والعقوبات على وجه التحديد وهذا تشويه كبير للمراد من المفهوم، فالشريعة في الأساس هي الدين كله قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَـرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية/18)، وتطبيق الشـريعة بهذا الفهم والسـعة ظل قائمًا على امتداد تاريخ الأمة فأكثر من 90% من أحكام الشـريعة يطبقه عامة الناس، والدولة المدنية هي دولة حقوق وقانون وحريات وحين يختارها الناس فهي أفضـل وسـيلة لتطبيق الشـريعة بكفالتها الحقوق والحريات ليطبق الناس 90% منها، وبما هو من شأن مؤسسة الدولة سيكون وظيفتها تنفيذ 10% عبر الخيار الشعبي.[2]

1- الأنصـاري، فريد – البيان الدعوي وظاهرة التضـخم السـياسـي: 123، 146 (دار الكلمة للنشـر والتوزيع، المنصورة ط/1 1425هـ-2004م).

2 – بكار، عبد الكريم أسـاسـيات في نظام الحكم في الإسـلام ص11-13 وانظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى 308/19.

المبحث الرابع: البناء المدني للدولة والتوظيف في الفكر السياسي الإسلامي

واقع البناء المدني للدولة: –

لقد حالت عوائق كثيرة أمام بناء فكر مدني وهوية مدنية للدولة وكان من أهم تلك العوائق النظم السياسية القائمة التي تقف أمام كل حركة تقصد التطوير أو التغيير أو التحرير، وقد ظهرت نتائج الربيع العربي واضـــحة للعيان، فليس هناك إلا فوهات المدافع والبراميل المتفجرة والمرتزقة ودهاليز المعتقلات والتشرد والشتات، للاعتراض على تلك المطالب والمحافظة على تلك الأنظمة التي تمتثل لأوامر الأجنبي، وزاد ذلك ما تراكم من التراث الفكري والتجربة السياسية التي لم تجد توجهًا ورغبة وعزيمة لدراستها وفرزها ونقدها وترشيدها وينظر فيما يتوافق مع مقاصد الشريعة ويتناسب وواقع العصر ويطرد مع كون الدولة مجرد وسيلة بشرية واجتهاد إنساني.

لقد ترك الشارع الحكيم مجالًا واسعًا يحكم فيه الناس بطريق الإنشاء والإبداع والتجديد والاقتباس وبكامل حريتهم، تحت نظر الشريعة قواعد ومقاصد ومصالح؛ هذا المجال جعله الله –عز وجل– ملكًا لهم وتحت سيطرتهم وتسلطهم، وهو المقصود بقوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (الشـورى38) وهذا الحكم الإبداعي التجديدي الإنشـائي يعني تسـلط الناس على أمرهم الدنيوي وهذا هو جوهر منهاج النبوة، وهو ما كان يطبقه الرســول– صــلى الله عليه وسـلم– والراشـدون بعده، إذ جُعل أمر الأمة الدنيوي ملكًا لها تقرر فيه بالشـورى العامة ما تشـاء تحت عين الشـرع وحاكميته، وقد اتضـحت راشـدية الخلافة من بعد النبوة من حيث طريقة اختيار القادة.

واختيار القادة والحكام هو الجانب الشكلي من النظام السياسي الذي تختار فيه الأمة رجال التنفيذ والتدبير والقيادة والسلطة والحكم بواسطة الشورى وتحت حاكمية الشريعة ثم المصلحة العامة، وما هو منطقي من تصرفات العقلاء، أما الجوهري فهو ممارسة السلطة الفعلية قرارًا وتنفيذًا وتسييرًا للمرافق ومراقبة ومحاسبة للمسؤولين، لقد كان همُّ الخليفة الراشد إشعار نفسه بأنه خادم للأمة؛ ينفذ قراراتها ويطبق شريعتها، ويبني في الوقت نفسه مؤسسات الدولة ومرافقها.

لقد كان منتظرًا أن تتطور هذه التجربة الفذة المبنية على الشورى إلا أن الصراع القبلي على السلطة والتنافس عليها، ورواسب التقاليد السياسية والأعراف الاجتماعية والثقافة البدائية الموروثة من عهد الجاهلية، وتأثير النظم السياسية لدى دول الجوار وما كان كامنًا من جماعات أسلمت نفاقا أو انتهازية، وعدم قيام مؤسسات إدارية وتنظيمية للشورى والتدبير العام، اغتال هذه التجربة الوليدة والفريدة والراشدة.

إن المبادئ القويمة للعدالة والمساواة والكرامة، تقتضي ألا يكون بين البشر حاكم ومحكوم وإنما اشتراك في التدبير العام لأمرهم، حسب مقاييس القدرة والخبرة والصلاحية والتوزيع العادل للمهمات، والاستفادة المتوازنة من الخيرات، وهذا ما قرره القرآن الكريم، وأكدته النصوص قطعية الثبوت والدلالة وهذا ما كان عليه أمر المسلمين زمن النبوة الخاتمة، وفي عهد الخلافة الراشدة كما تفرضه قيم الحوار وحرية الفكر والمعتقد.

إن النظم الديموقراطية في الوطن العربي خلال الحقبة الماضية وخصوصًا بعد الموجة الأولى للربيع العربي لم توفر لشعوبها سوى القمع والاستبداد والسجون والمعتقلات والجوع والمرض والجهل والتشريد والشتات والنقص والاحتقار والدمار، في الوقت التي وفرت النظم

الديمقراطية الغربية القائمة لشعوبها الحد الأدنى من الكفاية الاقتصادية والاجتماعية والتكافلية، والوفرة الغذائية والعلاجية والعلمية والكرامة الإنسانية.

إن الممارسة وحدها هي التي تحدد نمط الحكم وطبيعته وليست الشعارات البراقة والمسميات الخادعة، فليس هناك نظم تتيح للشعوب أن تحكم نفسها بنفسها بدل أن تدلي برأيها لمن يحكمها، وأن تقرر في قضاياها بدل أن تُستفتى فيها، وأن تكون لها على أمرها السلطة الكاملة والسيادة الاعتبارية والفعلية، سياسيًّا وقانونيًّا، تقريرًا وتنفيذًا، مراقبة ومحاسبة، لقد صار الاستبداد، صريحًا أو مغلفًا بشكليات الديموقراطية، أيّاً كان مصدره، ولا عبرة بما تلجأ إليه الأنظمة بين الفينة والأخرى من استفتاءات تأكيدية للولاء، أو انتخابات لهيئات نيابية تُطبخ نتائجها، لأن ذلك كله مجرد تمويه على واقع بئيس، ودعاية كاذبة لنظم تُنتهك فيها أبسط المعاني الإنسانية، ولأن القرارات السلطوية الحقة بيد القابعين خلف المجالس والمؤسسات الدستورية التي تُمرر منها هذه القرارات بمختلف ضروب التحايل والشيطنة والمقايضة، إذ المال بيد الحكام والفقر في حياة الشعب، والوفرة لدى النخبة والحاجة لدى العامة، سلاحان رئيسيان للكذب والتدجيل وتزوير الإرادات [1].

التوظيف في الفكر السياسي الإسلامي: –

إن البناء على التجربة الفذة المبنية على الشورى هو المدخل النظري والعملي لتوظيف حكيم لمصطلح الدولة المدنية في الفكر السياسي الإسلامي الراهن، وذلك بعد النظر إلى الدولة المدنية أنها من الحالات التي تمر بها الدولة، لأن المدنية وصف قد يتغير بانقلاب عسكري استبدادي مع بقاء جهاز الدولة واسمها ومؤسساتها كما هو شكلًا، فالغلبة والحركة

1 ينظر: عبد الكريم الحمداوي، فقه الأحكام السلطانية: 79، 213. 236، 357 بتصرف كبير.

والتحول مستمر، وهي في كل الأحوال والمتغيرات مفهوم من المفاهيم الوضعية، يضعه البشر ليعبروا عن تلك الحالة عبر وسيلة تتمثل في جهاز ينظم حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية.

إن "المدنية وضعية يحقق فيها الناس المطابقة بين هويتهم وبين متطلبات معايشة عصرهم بما تفرضه من قيم وأنشطة وردود أفعال، أي أن ثقافتهم الخاصة تكون ثقافة منجبة ومنفتحة وعملية، وحين تعجز الثقافة أو يعجز أهلها عن الدخول في طور المدنية، فإنهم يجدون أنفسهم على طريق خسران الذات، عن طريق التهميش بسبب عدم مشاركتهم وهذا التهميش يؤول الى التحلل الذاتي "[1].

وهذا التوظيف الذي ينظر للدولة المدنية أنها حالة، لا بد أن ينطلق من تصور يؤسس الدولة على العدالة و المساواة في التكاليف الشرعية والواجبات الاجتماعية والوطنية، وفي الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية، وعلى حفظ ضرورات الفرد والمجتمع حياةً وعقلًا ونسلًا ومالًا وديناً وعرضًا ضمن مصلحة الجماعة، التي هي الأمة بصفتها مجموعة مواطنين يكونون دولة على أرض هي لهم جميعًا، وعلى التجرد التام عن الهوى محبة وبغضًا، موالاة وعداوة، وإن اختلفت الأجناس والألوان والأديان والمصالح والمراتب في سلم الجاه والسلطة والثروة والإحسان، ذلك أن" هدي الإسلام أن يؤسس الحكم على عقد مواطنة ونظام سلطان، وأن تسود للأفراد حرمات وحريات ومساواة أساسية كيفما اختلفوا أفذاذًا وجماعات، وألا يتولى أحد السلطة العليا عنوة بل بخيار الرعية انتخابًا حرًا عدلًا، وأن تكون قرارات الأمر العام الكبرى عن شورى بإجماع أو رأي غالب،

1 -بكار، عبد الكريم، تجديد الوعي ص127-128، وانظر: الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين :121

وأن تتفاصل تناظيم السلطة وتتكامل وتتوازن وتتضابط تقاسمًا للسلطة لا احتكارًا، وأن يكون الأصل في العلاقات الدولية السلام أو الدفاع عن العدوان، تلك أحكام إسلامية، كلها معروف مقبول في ميزان الإنسانية كافة مبادئ عليا لازمة لا سبيل في دولة للشذوذ عن بعضها من بعض الرعية، لاسيما أنها تؤسس على الحرية والشورى والعدالة وفيها بوح رأي للملل والطوائف، فإن تجمع أهل ملة في إقليم تباح لهم قسمة من السلطات كلها في سلطان الدولة "[1].

الخاتمة.

بعد هذا العرض الموجز لمفهوم الدولة المدنية يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية: –

1- المدنية وضعية يحقق فيها الناس المطابقة بين هويتهم وبين متطلبات عصرهم، وتحقيق المدنية وإقامتها من عمل الصالحات والخصال الحميدة، ومصطلح المدنية مصطلح معروف عند العرب يحمل معنى الاستقرار واستخدمه العرب في معاني النظام والعمران والتنعم والتطور المادي، وهو مصطلح مشترك بين كل الفلسفات والمناهج، وارتبطت بالدولة باعتبارها وسيلة تحقيقها، ومضمونه إسناد السلطة السياسية للشعب.

2- الدولة وسيلة بشرية واجتهاد إنساني، والدولة المدنية خلاصة مركزة نتجت عن مفاهيم العقد الاجتماعي والدولة الوطنية، وهي في التراث الفكري السياسي الإسلامي جملة من المبادئ والقيم الفكرية ذات الدلالة السياسية الواقعة في حقل المصطلح المستعمل، مع الإقرار بغياب المصطلح بلفظه المتداول في الزمن المعاصر.

1 – الترابي، حسن –السياسة والحكم ص 64.

3- أهم ما يميز الدولة المدنية أن السلطة فيها يتم تداولها سلميًّا، والصلاحيات فيها متوازنة بين السلطات، ويشارك الجميع في إدارة الثروة والسلطة ويتمتعون بالحرية والعدالة، ويحكم فيها نيابة عن الناس وليس عن الله تعالى، والفرق بين القانون في الدولة المدنية وغير المدنية أنه في المدنية يجسد مبادئ المجتمع في الحقوق والواجبات وفي غير المدنية يجسد مصالح الجهات النافذة وأداة للظلم والاستبداد والفساد.

4- مثلث الوثيقة النبوية أول صياغة قانونية حقوقية ومرجعية دستورية لسكان المدينة النبوية، وقام نظام الخلافة الراشدة كمؤسسة خدمية تنفيذية وفق سلوك وممارسة مدنية و أسس متينة ثم جاءت سلطة الغلبة والأمر الواقع والاستيلاء بالقوة على الحكم وقد أدت إلى فتح باب واسع للفتنة وتمزق البلاد وقيام دويلات في أطرافها، وقد بدأت الدولة في الإسلام مدنية وانتهت استبدادية وبدأت الدولة في الغرب استبدادية وانتهت مدنية، وتمثل نظرية البيعة عند المسلمين سابقة لنظرية العقد الاجتماعي عند الغربيين، وهي نظام مشاركة الجميع في التدبير العام عن طريق الوكالة وهذا جوهر الدولة المدنية.

5- أهم إشكال في هذا المصطلح هو القول بأنه مصطلح وافد ومفهوم قدمته أوربا للعالم، بعد أن تخلصت من الحكم الكنسي الديني وبنته على أسس لا تقبل التشريعات الدينية ولا تميز بين مواطني الدولة، والحقيقة الواقعية أن الدولة المدنية ليست دولة علمانية، وليس من الضرورة أن تتجرد من الدين، فهي مجرد حالة وشكل يعبر عن الواقع في تقسيم السلطات المختلفة والقوانين المنظمة للعلاقات بين الأفراد والهيئات والتجمعات.

6- كل مضـامين ومعاني مفهوم الدولة المدنية التي اسـتقر عليها في تطوره وسـياقه التاريخي قد جاء به الإسلام وقررته تعاليمه السمحاء، ومفهوم الدولة المدنية كان واسـعًا وتم تطبيقه عمليًّا واقتبس الآخر مضـمون ومعاني المفهوم وأعادوا تركيبه بما يتناسب مع واقعهم ومشكلاتهم.

7- لابد من اعتبار الدولة المدنية وسـيلة بشـرية واجتهاد إنسـاني، وأنها جزء من الاجتهاد السـياسـي حيث تنعكس فلسـفة التدين ومفهوم الدين على مفهوم الدولة ووظائفها وعلى السلطة وطريقة التعامل معها.

8- أهلية الإنسـان لاكتشـافات الإمكانات الحضـارية وتطويرها والاسـتفادة منها هو مفتـاح المـدنيـة ويبـدأ ذلـك بالعلاقـات القـائمـة على القيم والمبـادئ والتفـاهم والتراضي، وضبط السلوك والوقوف عند الحدود، والبناء على التجربة الفذة المبنية على الشـورى هو المدخل النظري والعملي لتوظيف مصـطلح الدولة المدنية في الفكر السياسي الاسلامي الراهن.

ويوصي الباحث بناءً على ما سبق: –

1. العمل على تطوير مفهوم الدولة المدنية وتحديد وظائفه وأهدافه ونشـره، ليتواضع عليه الناس ويبنون المؤسسات والنظم السياسية بناء على تواضعهم.
2. إحياء الروح المدنية الفردية والجماعية والسلوك المدني في المجتمع والدولة من خلال النظم التربوية والسـياسـية والاقتصـادية. وترسـيخ قيم المدنية والمواطنة والمسـاواة والديمقراطية وتبادل السـلطة سـلميًّا، وتوظيف الوسـائل المتاحة لتضـييق مسـلك الغلبة والقهر والتسلط والإثراء.

3. تحرير مفهوم الدولة المدنية وربطه بالارتقاء الإنساني في إدارة الشأن العام والعناية بالنظم والأساليب والأدوات التي اتخذها الإنسان في تحسين ظروف معيشته المعنوية والفكرية.
4. تطوير نظامي البيعة والشورى في ضوء المقاصد الشرعية والثوابت الكلية والمتغيرات الواقعية وإعادة تركيبه بما يتناسب مع واقع المسلمين ومشكلاتهم.
5. تقنين النظم والأساليب والأدوات التي تحقق تحسين ظروف المعيشة المعنوية والفكرية.
6. العمل على تحقيق الإرادة الحرة للمجتمع والمواطنين من خلال تطبيق القانون والمحاسبة وتحقيق المواطنة والمساواة والديمقراطية وتبادل السلطة سلميًّا.
7. العمل على إحداث نوع من التوافق والتشارك بين كل الاتجاهات والإيديولوجيات المتصارعة لأنها تتفق على العدالة والحرية والمصلحة العامة.
8. توجيه الدولة كجهاز مدني إلى كيفية إنسانية مدنية لتحقيق القيم الكبرى والمبادئ العليا، وفق الترتيبات الاجتماعية الإنسانية التوافقية بين جميع فئات المجتمع بخياراتهم وقناعاتهم.
9. النظر إلى الدولة المدنية أنها من الحالات التي تمر بها الدولة فالغلبة والحركة والتحول مستمر، في تغيير حالاتها.
10. إتاحة الفرصة للناس للمطابقة بين هويتهم وبين متطلبات معايشة عصرهم بما تفرضه من قيم وأنشطة وردود أفعال.

المراجع والمصادر: –

1- أبو الأعلى المودودي، *الخلافة والملك*، تعريب أحمد إدريس، ط/1، 1978م.

2- أبو فهر السلفي، *الدولة المدنية المفاهيم والأحكام*، دار عالم النوادر، ط/1، 2011م.

3- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية ط/: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

4- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *منهاج السنة النبوية*، ت محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط/1 1406هـ1986م.

5- أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، *الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام* ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

6- أحمد بن حنبل، *المسند* ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

7- أحمد الأنصاري، *مفهوم الدولة المدنية في الفكر الغربي والإسلامي*. (بدون معلومات).

8- أحمد قائد الشعيبي، *وثيقة المدينة المضمون والدلالة*، سلسلة كتاب الأمة، قطر، الطبعة الأولى، ذو القعدة 1426هـ، كانون أول 2005، كانون ثاني 2006م.

9- إياد حسين، *جدلية العلاقة بين الدولة المدنية وتطبيق الشريعة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر*.

10- بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، *تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام*- ت فؤاد عبد المنعم أحمد رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط2 1411هـ1991م.

11- برهان غليون، *اغتيال العقل*، المركز الثقافي العربي2012م.

12- حاكم المطيري، *تحرير الإنسان وتجريد الطغيان*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

13- حسن الترابي، *الشورى والديمقراطية*، *مجلة المستقبل العربي*، السنة 8، العدد 25، أيار/مايو 1985.

14- حسن الترابي، -*السياسة والحكم*، الساقي للنشر والتوزيع يناير 2003م.

15- جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*: دار الساقي ط4 1422هـ2001م.

16- جورج باستيد، *المدنية سرابها ويقينها*، ترجمة عادل العوا، جامعة دمشق،ط/2.

17- زين الدين محمد بن الرؤوف المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*، عالم الكتب القاهرة ط1 1410هـ1990م).

18- زين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي، *التيسير بشرح الجامع الصغير* المؤلف: (ت ١٠٣١هـ) الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

19- صديق حسن خان القنوجي، *أبجد العلوم*، ت. عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية بيروت 1978م.

20- طعيمة الجرف، *نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم*، دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الخامسة 1978م.

21- علي أبو الحسن الندوي، *ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين*K الناشر: مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

22- علي بن محمد الماوردي، –*الأحكام السلطانية*، دار الحديث القاهرة.

23- عبد الكريم بكار، *أساسيات في نظام الحكم في الإسلام*، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع 2015م.

24- عبد الكريم بكار، *تجديد الوعي*، دار المسلم للنشر والتوزيع ط/1 1421هـ2000م.

25- عبد الكريم الحمداوي، *فقه الأحكام السلطانية*. موقع المؤلف على الشبكة العنكبوتية.

26- عبد الرحمن بن خلدون، *المقدمة*: دار الفجر للتراث ط/1 2004م.

27- عبد الرحمن الكواكبي، *أم القرى*، دار الرائد العربي لبنان بيروت 1402هـ-1982م.

28- عبد الملك منصور– *البغي السياسي*، مؤسسة المنصور الثقافة للحوار بين الحضارات 2003.

29- عمار الدويك، *الدولة المدنية في ضوء السياسة الشرعية*. جامعة الخليل، كلية القضاء الشرعي.

30- فريد الأنصاري، – *البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي*: دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة ط/1 1425هـ-2004م.

31- مجموعة باحثين، *الجامع لعلوم أحمد*، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث/ط1/1430هـ2009م.

32- مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط* دار الدعوة، مجمع اللغة العربية).

33- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، *الملل والنحل*، مؤسسة الحلبي، د.ت.

34- محمد بن الطيب الباقلاني، *تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل*، تحقيق عماد الدين أحمد، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان ط /1، 1407هـ1987م.

35- محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري* ت: مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق ط/ 5، 1414 هـ - 1993 م.

36- محمد حميد الله، *مجموعة الوثائق السياسية العهد النبوي والخلافة الراشدة*، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة، 1407هـ/1987م.

37- محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر بيروت ط/1د.ت.

38- محمد قطب، *مذاهب فكرية معاصرة* ص: دار الشروق القاهرة ط/1 1983م.

39- محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير*: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997م.

40- محمد ناصر الدين الألباني، *صحيح الجامع الصغير وزياداته* الناشر: المكتب الإسلامي.

41- محمد أمحزون، - *منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة*، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط /1، 1423هـ2002م.

42- محمد محمد أبو عجور، *الدولة المدنية التي نريد*. دار الكلمة.

43- ماجد الزميع، *الدولة المدنية بين الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني* دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع ط/1، 2013م.

44- مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم* ت: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) ط: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

45- نصر محمد عارف، *الحضارة، الثقافة، المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم*، سلسلة المفاهيم والمصطلحات (1)، أمريكا، هيرندن، المعهد العالمي للفكر الاسلامي 1994م).

46- يحي بن شرف النووي، *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، ت زهير الشاوش المكتب الإسلامي ط /3، 1412 هـ1991م)

47- يحي الجمل، *النظم السياسية*، دار النهضة العربية القاهرة بدون تاريخ.

48- يوسف ابن عبد الهادي، *إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة*، دار النوايا سوريا، ط1/1432هـ2011م.

العموم والخصوص في القرآن الكريم
تفسير "أضواء البيان" للشنقيطي أنموذجًا

د. عزيزة بنت مقعد العتيـــبي
أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية
amalotaby@imamu.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 2023/03/09م تاريخ قبوله للنشر: 2023/04/30م

الملخص:

العموم والخصوص من مسائل أصول الفقه المهمة والتي لها ارتباط وثيق بتفسير القرآن الكريم، لتعلق كثير من الآيات بها، ولذلك تناولها المفسرون في تفاسيرهم، خاصة من كتب منهم في أحكام القرآن الكريم، ومن هؤلاء الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي كان له جهدٌ عظيمٌ فيما يتعلق بالعموم والخصوص في عدة مواضع من تفسيره "أضواء البيان"، وهو ما تناوله هذا البحث تحت عنوان " العموم والخصوص في القرآن الكريم تفسير "أضواء البيان" للشنقيطي أنموذجًا"، وذلك من أجل استجلاء منهجه، ومعرفة أنواع العموم والخصوص وضوابط ذلك وصيغه، وأسباب اختيار الشنقيطي للقول بالعموم أو الخصوص في بعض المواطن، ومنهج هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع ما تناوله الكتاب، ثم اصطفيت بعض الأمثلة لدراستها، وجاءت الدراسة في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، أما التمهيد فجاء فيه بيان مفهوم العموم والخصوص، وتناول المبحث الأول: أنواع العموم والخصوص عند الشنقيطي، والمبحث الثاني: قواعد العموم والخصوص التي ذكرها الشنقيطي، والمبحث الثالث: الفرق بين التخصيص والنسخ عند الشنقيطي، والمبحث الرابع: أسباب اختيار الشنقيطي للقول بالعموم أو الخصوص، وقد توصل البحث لعدة نتائج من أهمها: أن الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– ضبط ألفاظ العموم ودلالة كل منه في مواضع كثيرة من تفسيره. وأن ضبط باب العموم والخصوص وتحريره يعين الباحث والفقيه في ضبط كثير من المسائل وتحرير محل النزاع فيها.

الكلمات المفتاحية: العام – الخاص – اللفظ – القواعد – النسخ.

Generalization and specification in Holy Quran

"Adwaa Al-Bayan" exegesis by Al-Shanqeeti as a case in point

Dr. Aziza bint Miqd Al-Otaibi

Assistant professor at Quran and Its science Department - Imam Muhammad Bin Saud Islamic University- Kingdom Of Saudia Arabia

Received: 09/03/2023 Accepted: 30/04/2023

Abstract:

Generality and specificity are among the important issues in the principles of jurisprudence, which are closely related to the interpretation of Holy Qur'an, Many verses have been associated with it, and commentators dealt with it in their interpretation, especially the authors of the provisions of Holy Qur'an, And Sheikh Muhammad had a great effort in that, as he studied this issue in several placements in "Adwaa Al-Bayan.", Therefore, this research sought to study its approach to this issue, under the title "Generalization and specification in Holy Quran, "Adwaa Al-Bayan" exegesis by Al-Shanqeeti as a case in point." To clarify his approach, and to know the types of generality and specificity, the controls and formulas for that, and the reasons for his choosing saying that he is general or specific in some places. In that, I followed the inductive approach to collect the points that I dealt it with in the book, and then selected some examples to study, The study consisted of an introduction, four chapters and a conclusion, As for the preamble, it states the concept of generality and specificity, Then the first topic: the types of generality and specificity according to Al-Shanqeeti, and the second topic: the

rules of generality and specificity mentioned by Al-Shanqeeti, and the third topic: the difference between customization and copying according to Al-Shanqeeti, and the fourth topic: Grounds for generalization and specifications, according to Al-Shanqeeti in some places, the most important of which is that Sheikh Al-Shanqeeti, controlled the general terms and the significance of each of them in many places of his interpretation. And that controlling and editing the general and specific chapter helps the researcher and the jurist in controlling many issues and editing the disputed issue.

Keywords: general - specific - pronunciation - grammar - transcription.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن أبرز مسائل علوم القرآن مسائل العموم والخصوص التي أولاها المفسرون عناية خاصة، ونصوا على ورودها في كثير من الآيات، ولأجل ذلك قعَّدوا عدة قواعد أصيلة متعلقة بها تساعد على فهم كتاب الله تعالى، ومن تلك القواعد، قاعدة: الأصل في الأحكام والأخبار القرآنية أنها على العموم، وقاعدة: تعميم اللفظ القرآني على العموم الأعم دون التقييد بسياق الآية، وقاعدة: أسباب النزول لا تُخصِّص الألفاظ العامة للآية، وقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وترجع أهمية دراسة العموم والخصوص إلى إعانة الناظر في كتاب الله على الفهم الصحيح للآيات القرآنية، الأمر الذي يساعد على الوقاية من الوقوع

في الأهواء والبدع، والتوفيق بين الآيات والأحاديث من حيث ورود بعضـــها عامًا والآخر خاصًا.

والغرض من هذا البحث مناقشة بعض مما تناوله العلماء من مسائل العموم والخصوص بعناية شديدة فيما مضى، ولا زالوا يولونها عناية فائقة حتى اليوم.

وعنوان هذا البحث هو: " العموم والخصوص في القرآن الكريم تفسير "أضواء البيان" للشـــنقيطي أنموذجًا "، وأســـأل الله ســـبحانه وتعالى أن ينفع به، وأن يجعله خالصًـــا لوجهه الكريم.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في عدة مسائل منها:

1- تدبر كتاب الله تبارك وتعالى، ومعرفة معانيه وأســـراره، وفهم مراد الله تعالى من عباده.

2- تنطلق هذا العلاقة بين أصول الفقه بالقرآن الكريم، لذا تناولت المسألة من خلال تفسير الشنقيطي أحد علماء أصول الفقه الأفذاذ.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في احتمال اللفظ القرآني للعموم والخصوص في بعض المواضع؛ حيث إن اللفظ القرآني في بعض الأحيان يكون عامًا باقيًا على عمومه، وفي أحيان أخرى يراد به الخصوص، أو يكون عامًا مخصوصًا، الأمر الذي أدى لاختلاف المفسرين، ولا شك أن هذا الاختلاف قد انعكس بشكل مباشر على الوقوف على منهج الشنقيطي في العموم والخصوص، الأمر الذي أدى لمزيد من البحث والتنقيب، والدراسة العميقة لاستجلاء منهج الشنقيطي فيه.

أسئلة البحث:

1. ما أنواع العموم والخصوص عند الشنقيطي؟
2. ما ضوابط العموم والخصوص عند الشنقيطي؟
3. ما صيغ العموم والخصوص عند الشنقيطي؟
4. ما الفرق بين التخصيص والنسخ عند الشنقيطي؟
5. ما العلل الموجبة للتخصيص عند الشنقيطي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. معرفة منهج الشنقيطي في العموم والخصوص؛ من خلال دراسة المسائل التي تُجلي منهجه فيه في تفسيره.
2. معرفة أنواع العموم والخصوص، وضوابطهما، وصيغهما عند الشنقيطي.
3. معرفة الفرق بين التخصيص والنسخ عند الشنقيطي.
4. معرفة العلل الموجبة للتخصيص عند الشنقيطي.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي من خلال تتبع المسائل التي تناولها الشنقيطي ودراستها بشكل موسع.

ولأن طبيعة البحث لا تحتمل إثبات الكثير من الأمثلة؛ فإنني سأكتفي بالأمثلة الواردة بالبحث، وذلك بعد استقراء غيرها من الأمثلة.

الدراسات السابقة:

وقفت على بعض الدراسات في العموم والخصوص، ومن ذلك:

1. العموم والخصوص في التشريع الإسلامي، دراسة تطبيقية مقارنة، د نادية بنت محمد شـريف العمري، مؤسـسـة الرسـالة والدار العامرة، الطبعة الأولى 1431 هـــ – 2010م.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في دراسة مسألة العموم والخصوص، وتختلف معها في موضعين:

أ– أنها تتناول العموم والخصـوص كمسـألة أصـولية، أما دراسـتي فإنها تنصـب حول العموم والخصوص في القرآن الكريم.

ب– أنها تتناول العموم والخصوص بصفة عامة، أما دراستي فإنها تتناول جهود الشيخ الشنقيطي– رحمه الله –في هذه الباب.

2. دلالة العام والخاص في القرآن الكريم، وآراء محمد الأمين الشـنقيطي في القضـية من خلال مؤلفاته، عبد القادر جلول دواجي، مجلة جسور المعرفة، المجلد السابع، العدد الخامس، 2001م.

وتتفق هذه الدراسات مع دراستي في عدة جوانب هي:

1. أنها تتناول العموم والخصوص في القرآن الكريم.

2. أنها تسـلط الضـوء على جهود الشـيخ –رحمه الله– في هذه المسـألة من خلاله مؤلفاته.

وتختلف معها في عدة نقاط أهمها ما يلي:

أ– أنها تتناول المسألة في جميع مؤلفات الشيخ الشنقيطي التي هي مظان لهذه المسألة، أما دراستي فإنها تتناولها من خلال تفسيره فقط، ولم أتعرض لمؤلفاته الأخرى إلا في التعريفات الأصولية.

ب- أن دراستي تناولت مباحث لم تتعرض لها الدراسة السابقة مثل مبحث: أسباب اختيار الشنقيطي للقول بالعموم أو الخصوص.

ج- أن تخصيص الدراسة في أضواء البيان يعطي مساحة كبيرة للدراسة العملية للمسألة، كما أن يلقي الضوء على هذه المسألة من خلال علمي التفسير وأصول الفقه.

3- صيغ العموم وأنواعه، دراسة تطبيقية على آيات الأحكام في سورة النساء، عواطف بنت محيل بن مسفر الزايدي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإدارية، جامعة أم القرى، 1432 هـ - 2011م.

وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراستي في دراسة باب العموم والخصوص من خلال القرآن الكريم.

واختلفت معها في موضعين:

أ- أنها تتناول العموم وصيغه، أما دراستي فتتناول دراسة العموم والخصوص وأنواعه، وما يتعلق به من القواعد والفرق بين التخصيص والنسخ، وأسباب التوقف في ذلك الباب.

ب- أن هذه الدراسة تناولت آيات الأحكام في سورة النساء، أما دراستي فلم تقتصر على سورة بعينها، وإنما في عموم القرآن.

ج- أن هذه الدراسة عامة لم تقتصر على تفسير معين أما دراستي فكانت من خلال تفسير أضواء البيان وجهود الشيخ الشنقيطي رحمه الله فيه.

كما وقفت على بعض الدراسات حول جهود الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- ومنهجه في التفسير، ومن ذلك ما يلي:

1- منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم

القرى، 1410 هـ.

2- الشنقيطي رحمه الله ومنهجه في التفسير، في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، أحمد سعيد حسنين إسماعيل الشيمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1422 هـ، 2001م.

وتتفق هاتان الدراستان مع دراستي في تناول جهود الشيخ الشنقيطي في كتابه أضواء البيان وتختلفان معها في أنهما عامتان في دراسة منهج الشيخ الشنقيطي في التفسير، أما دراستي فإنها تنصب حول مسألة أصولية واحدة وهي العموم والخصوص.

خطة البحث:

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة وفيها: أهمية البحث، مشكلة البحث، أسئلة البحث، أهداف البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، هيكل البحث.

التمهيد: في بيان مفهوم العموم والخصوص.

المبحث الأول: أنواع العموم والخصوص عند الشنقيطي.

المبحث الثاني: قواعد العموم والخصوص التي ذكرها الشنقيطي.

المبحث الثالث: الفرق بين التخصيص والنسخ عند الشنقيطي.

المبحث الرابع: أسباب اختيار الشنقيطي للقول بالعموم أو الخصوص.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على فهرس المراجع والمصادر.

التمهيد

في بيان مفهوم العموم والخصوص

العموم لغة:

هو الشمول، يقال: عم الشيء عمومًا؛ أي: شمل جماعته، ويقال: عمهم بالعطية؛ وهو مِعم -بكسر أوله- خير؛ يعم بخيره وعقله (الفيروزآبادي، 1426هـ، 1141).

ويقال: عمهم الأمر يعمهم؛ أي: شملهم، وكل ما كثر واجتمع وطال، يقال له: عميم، ويقال: عامٌ طامٌّ؛ أي: انتشر وشاع (ابن منظور، 1414هـ، 426/12).

يظهر من ذلك أن العموم في اللغة هو: الشمول والكثرة والجمع والاستغراق والتعدد والشيوع والانتشار.

العموم اصطلاحًا:

يُعرف العام بأنه: اللفظ الموضوع أصله للدلالة على كل ما يصلح له من الأفراد فردًا فردًا، على سبيل الاستغراق بغير حصر (الجرجاني، 1403هـ - 1983م، الزركشي، 1421هـ - 2000م).

وعرَّف الشنقيطي بأنه: اللفظ الذي يستغرق جميع المعاني الصالحة له أو الصالح هو للدلالة عليها دفعة من غير حصر. (الشنقيطي، ب ت، 79).

وألفاظ العموم خمسة أقسام، وهي:

القسم الأول: المعرف بالألف واللام التي لغير العهد، وهو ثلاثة أنواع:

1- ألفاظ الجموع كالمسلمين والمشركين والذين.

2- اسم الجنس، وهو ما لا واحد له من لفظه؛ كالناس والحيوان والماء والتراب.

3- لفظ الواحد كالسارق، والسارقة، والزاني والزانية.

ويدخل فيه المثنى، كما في قوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» (البخاري، 1422هـ، رقم: 31؛ مسلم، (ب ت)، رقم 2888)؛ فإنه يَعُمُّ جميع المسلمين.

القسم الثاني: أدوات الشرط: كـــ(من) فيمن يعقل، و(ما) فيما لا يعقل، وأي في الجميع، وأين، في المكان، وأيان، ومتى في الزمان...

القسم الثالث: ما أضيف من هذه الأنواع الثلاثة إلى معرفة؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: 18]، وقوله: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور: 63]؛ الآية.

القسم الرابع: كل، وجميع، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [الأنبياء: 35]، وقوله ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۚ﴾ [يونس: 49]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: 16].

القسم الخامس: النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط؛ فمثال النكرة في النفي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: 255]، ومثال النكرة في سياق النهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: 24]، ومثال النكرة في سياق الشرط: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ﴾ (ابن قدامة المقدسي، 1423هـ، 10/2؛ الشنقيطي، 2001م).

الخصوص لغة:

الخصوص ضد العموم، ومعناه: الانفراد بِالشَّيْءِ. يقال: خصه بشيء؛ أي: أفرده به دون غيره. ويقال: اختص فلان بالشيء إذا انفرد به (ابن منظور، 1414هـ، الزَّبيدي، 1414هـ).

الخصوص اصطلاحًا:

يُعرف الخصوص في الاصطلاح بأنه: قصر العام على بعض أفراده، بدليل مستقل مقترن (علاء الدين البخاري، ب ت، 306/1).

وعرفه بعضهم بأنه: إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام، أي: قَصْرُ الحكم على بعض

أفراد العام لقرينة تفيد ذلك (إسماعيل، 1419 هـ - 1999 م).

وينقسم المخصص إلى متصل ومنفصل:

أما المتصل فهو خمسة أقسام:

1- الاستثناء، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: 4] إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النور: 5].

2- الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: 11].

3- الصفة، نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: 25].

4- الغاية، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: 222].

5- بدل البعض من الكل، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97]. (الشنقيطي، 2001 م).

وأما المخصص المنفصل؛ فهو ما يستقل بنفسه دون العام من لفظ أو غيره، وهو ثمانية أقسام:

1- الحس: نحو قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 23]. لأن من تتبع أقطار الدنيا قد يشاهد بالحس بعض الأشياء التي لم تؤتها ملكة سبأ.

2- العقل، نحو قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62].

3- الإجماع: كإجماع المسلمين على أن الأخت من الرضاع لا تحل بملك اليمين، فيلزم منه تخصيص قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المعارج: 30].

واعترضه الشنقيطي بأن الإجماع هنا يدل على مستند للتخصيص، ومستند الإجماع

هو قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: 23].

4- القياس، كقياس العبد على الأمة في تشطير الحد، فإن قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 2]، استثنى منه الأمة بالنص وهو قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: 25]، ثم قيس العبد على الأمة في تشطير الحد.

واعترضه الشنقيطي بأن التخصيص في الحقيقة هو ما دل عليه قوله: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من أن الرق مناط تشطير الحد (الشنقيطي، 2001م).

5- المفهوم وهو إما مفهوم موافقة، وإما مفهوم مخالفة.

فالخصيص بمفهوم الموافقة تخصيص مثاله تخصيص قوله ﷺ: «لي الواجد ظلمٌ يُحِلُّ عرضه وعقوبته» (أبو داود، (ب ت)، رقم: 3628؛ النسائي، 1986م، رقم: 4689؛ ابن ماجه (ب ت)، رقم: 2427) بمفهوم الموافقة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23] الآية. فإنه يفهم منه منع حبس الوالد في دَين ولده.

والتخصيص بمفهوم المخالفة مثاله تخصيص قوله ﷺ: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة» (البخاري 1422هـ، رقم: 1454) بمفهوم المخالفة؛ فمفهوم السائمة أنه لا زكاة في المعلوفة.

6- العرف المقارن للخطاب، ومثاله: حديث «الطعام بالطعام مثلا بمثل» (مسلم (ب ت)، رقم: 1592)، فمن يقول: بأن علة الربا غير الطعم خصص عموم إطعام في هذا الحديث بالشعير للعرف المقارن للخطاب (الزركشي، 1998م).

7- نص آخره يخصص العموم، وهذا النوع أربعة أقسام؛ لأن كلا من المخصص والمخصص باسم الفاعل والمفعول تارة يكون كتابًا وتارة يكون سنة، فتفصيلها على النحو التالي:

1- تخصيص القرآن بالقرآن، كتخصيص عموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: 228] الآية، بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ [الطَّلاق: 4] الآية.

2- تخصيص القرآن بالسنة؛ كتخصيص قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: 11] الآية، بحديث: «لا نُورَثُ، ما تركنا صدقة»، (البخاري، 1422هـ، رقم 3093 ؛ مسلم (ب ت)، رقم: 1758).

3- تخصيص السنة بالسنة كتخصيص حديث «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًّا العُشْر، وما سقي بالنضح نصف العُشْر» (البخاري 1422هـ، رقم 1483) بحديث: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» (البخاري، 1422هـ، رقم 1447؛ مسلم (ب ت)، رقم: 979).

ويدخل في هذا النوع التخصيص بفعله ﷺ أو تقريره لأن التقرير فعل ضمني، وفعله من سنته ﷺ.

ومن تخصيص القرآن بفعل النبي ﷺ تخصيص قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة: 222] بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضا، فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها، ثم يباشرها (البخاري، 1422هـ، رقم: 302؛ مسلم (ب ت)، رقم 293).

4- الرابعة: تخصيص السنة بالقرآن، كتخصيص حديث «ما قطع من حي، فهو ميت» (ابن ماجه (ب ت)، رقم: 3217). فإن عمومه مخصص بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا﴾ [النحل: 80] الآية (الآمدي، (ب ت)؛ الزركشي 1994 م، الشنقيطي، 1393 هـ).

المبحث الأول

أنواع العموم والخصوص عند الشنقيطي

ينقسم العام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العام الذي لا يدخله التخصيص.

الثاني: العام الذي يدخله التخصيص.

الثالث: العام المراد به الخصوص.

وقد وردت هذه الأقسام الثلاثة في تفسير الشنقيطي، ومن أقسام ذلك ما يلي:

1- العام الذي لا يدخله التخصيص:

وهو العام الذي لا يمكن تخصيصه، وهذا النوع قليل جدًّا؛ إذ الأصل في العموم أن يقبل التخصيص (الزركشي، 1998م، 182/4؛ إسماعيل، 1419هـ - 1999م، 223).

ومنه:

أ- قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: 48].

قال الشنقيطي: "وقوله: ﴿نَصَبٌ﴾ نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب، فتدل الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والمشقة " (الشنقيطي 1995م، 279/2).

فكلمة ﴿نَصَبٌ﴾ نكرة في سياق النفي، فهي تفيد العموم، ولم يرد ما يخصص هذا العموم.

ب- قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الفتح: 21].

قال الشنقيطي: "فقوله: لم تقدروا عليها في معنى: لا قدرة لكم عليها، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة؛ لأن النكرة في سياق النفي تدل على عموم السلب، وشموله لجميع الأفراد

الداخلة تحت العنوان، كما هو معروف في محله.

وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم، ولكن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم" (الشنقيطي 1995م، 52/3).

فقرر الشيخ الشنقيطي نفي القدرة عنهم بكل أنواعها، لكن الله تعالى أقدرهم عليها، وهذا عموم غير مخصص.

2- العام الذي يدخله التخصيص:

وهو العام الذي يمكن تخصيصه، وهو الذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق العموم، وعليه مدار اختلاف العلماء في تخصيصه أو بقائه على عمومه (الزركشي، 1998م، 205/2؛ الرومي، 2003م، 414).

ومنه:

أ- ذكر الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: 28]، ما يستحب في الهدي الذي يهدى إلى الحرم، ومن ذكر استحباب إشعار البُدْن، أي: جرحها في صفحة سنامها، وسلت الدم عنها.

وقد نهى أبو حنيفة رحمه الله عن الإشعار، معللًا ذلك بأنه مُثْلَةٌ (أبو يوسف، (ب ت).

وأجاب الشيخ الشنقيطي عن هذا بجوابين:

الأول: أن الأحاديث الصحيحة الواردة بالإشعار تخصص عموم النهي عن المثلة.

الثاني: أنه لا يسلم أنه مثلة، فهو جرح لمصلحة: كالفصد والختان، والحجامة، والكي، والوسم. (الشنقيطي، 1995).

فذكر الشيخ- رحمه الله- أن النهي عن المثلة عام، ومما ورد فيه حديث عبد الله بن زيد

ﷺ: «**نهى النبي ﷺ عن النهبى والمثلة**» (البخاري، 1422 هـ، رقم: 2474)، فالمثلة معرف بأل، فيدل على العموم، لكن خصصه ما رد من الأحاديث في جواز ذلك في الإشعار، من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فتلت قلائد بدن النبي ﷺ بيدي، ثم قلدها وأشعرها وأهداها، فما حرم عليه شيء كان أحل له» (البخاري 1422 هـ، رقم 1696؛ ومسلم، رقم: 1321)، فأحاديث الإشعار تخصص عموم النهي عن المثلة.

ثم في الجواب الثاني ذكر أنه وإن كان فيه جرح إلا أنه ليس فيه مثله، لكونه أُمِرَ به لمصلحة، وفيه من الحكم:

1. الإعلام بأنها صارت هديًا ليتبعها من يحتاج إلى ذلك.
2. حتى لو اختلطت بغيرها تميزت أو ضلت عُرفت أو عطبت عرفها المساكين بالعلامة فأكلوها.
3. من تعظيم شعار الشرع وحث الغير عليه. (ابن حجر، 1379هـ).

3- العام المراد به الخصوص:

وهو لفظ عام لكنه ليس على عموم، وإنما أُريد به بعض أفراده، وهو بخلاف العام المخصوص، وهو اللفظ العام الذي دخله التخصيص (الزركشي، 1998؛ أمير باد شاه، 1932).

ومنه:

أ- قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣**﴾ [آل عمران: 173].

قال الشنقيطي: "قال جماعة من العلماء: المراد بالناس القائلين: إن الناس قد جمعوا لكم، نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة" (الشنقيطي، 1995م، 217/1).

فلفظ الناس عام لأنه معرف بأل، إلا أنه لا يراد به عمومه، وإنما يراد به شخص واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة.

ولفظ الناس في الموضع الثاني أيضًا يدل في العام المراد به الخصوص؛ إذا المراد بالناس أبو سفيان ومن معه من أهل مكة الذين أجمعوا على العودة إلى المدينة لقتال النبي صلى الله عليه وسلم. (الطبري، 2000م، السهيلي، 2000م).

ب- قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: 39]، فالمراد بالملائكة هنا: جبريل عليه السلام (الطبري، 2000)؛ فقد "أراد بعموم الملائكة خصوص جبريل، وإسناد الفعل للمجموع مرادا بعضه " (الشنقيطي، 1995م).

وقد عبَّر فيه الآية عن الواحد بصيغة الجمع، مراعاة للَّفظ، وفي قراءة حمزة والكسائي «فناداه» (الثعلبي، 2015م؛ ابن خالويه، 1401هـ).

المبحث الثاني

قواعد العموم والخصوص

ترتبط بالعموم والخصوص مجموعة من القواعد، ذكرها الشنقيطي في تفسيره، وهي على النحو الآتي:

1- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

فإذا ورد دليل بلفظ عام مستقبل ولكن على سبب خاص، فجمهور العلماء من الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو قول بعض المالكية ورواية عن أحمد، وصححه الجويني عن الشافعي، فهذه القاعدة المشهورة هي على قول جمهور أهل العلم من تقديم عموم اللفظ على خصوص السبب الذي ورد فيه هذا اللفظ (الرازي، 1997؛ ابن قدامة، 2002م).

من ذلك:

أ- قول الشنقيطي في آيات صفات المنافقين في صدر سورة البقرة: "والآية التي نحن بصددها وإن كانت في المنافقين، فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب" (الشنقيطي، 1995، 1/ 15).

والمقصود أن ما فيها من تخويف وزجر عام في جميع المكلفين، وإن كان نزولها في المنافقين خاصة.

ب- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: 54].

فسر الشيخ رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ بأن أن معناه كثرة خصومة الكفار ومماراتهم بالباطل ليدحضوا به الحق، بناءً على السياق الذي وردت فيها

الآية، ثم بيَّن أن هذا لا ينافي عموم لفظ «الإنسان»، حتى وإن ورد في سياق خاص، ودليل ذلك حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 54]. (البخاري 1422هـ، رقم 1127؛ مسلم (ب ت)، رقم 775)؛ فالحديث دليل على عموم الآية وشمولها لكل خصام وجدل (الشنقيطي، 1995م).

2- لا يتعارض العام والخاص:

فالخاص يقضي على العام -كما هو مذهب الجمهور-، فما أخرجه دليل خاص خرج من العموم، وما لم يخرجه دليل خاص بقي داخلا في العموم (الشنقيطي، 1995م).

ومن ذلك في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، دليل لعدم تعذيب أهل الفترة. وأجاب القائلون بتعذيب عبدة الأوثان من أهل الفترة: بورود أدلة صحيحة في تعذيب شخص معين من أهل الفترة، كحديث أنسٍ، أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار» (مسلم، (ب ت)، رقم: 203) ولا تعارض بينهما؛ لأن الخاص يقضي على العام، والآية عامة والأحاديث خاصة (الشنقيطي، 1995م).

3- العلة تعمم معلولها:

ومعنى ذلك أن العلة قد تعمم معلولها لعموم العلة، وقد تخصصه لخصوصها (الشنقيطي، ب ت).

ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ [المائدة: 95]؛ حيث استدل الشنقيطي على جواز قتل السباع العادية في الحرم وللمُحْرِم، على أنها ليست من جملة الصيد، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «خمس من الدواب، كلهن فاسق، يقتلهن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور» (البخاري، 1422هـ، رقم: 1829؛ مسلم، (ب ت)، رقم 1198).

فالعلة تعمم معلولها، و"قوله صلى الله عليه وسلم: «العقور» علة لقتل الكلب، فيعلم منه أن كل حيوان طبعه العقر كذلك" (الشنقيطي، 2001م، 1/ 436).

4- نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، والعكس بالعكس:

ومعنى ذلك أن المثبت العام والمنفي الخاص ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم (الشنقيطي، 1996م، 92).

ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود: 46].

ذكر الشنقيطي أنه سبحانه قد نفى أن يكون ابن نوح الغارق من أهله، فلم يقل: أنه ليس ابنك، والأهل أعم من الابن، فلم ينتفي الأخص وهو البنوة بنفي الأعم وهو الأهلية (الشنقيطي، 1995م).

5- ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يكون مخصصًا:

وهذا عند عامة العلماء، وذكر الشنقيطي- رحمه الله- أن ذلك قد يقع في نص واحد أو في نصين (الشنقيطي، 1995م، 355/1).

فما وقع في نص واحد: مثل قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾

[البقرة: 238]، وما وقع في نصين مثل قوله ﷺ: «**إذا دبغ الإهاب فقد طهر**» (مسلم (ب ت)، رقم 366)، مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وجد النبي ﷺ شاة ميتة، أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة، فقال النبي ﷺ: «**هلا انتفعتم بجلدها؟**» قالوا: إنها ميتة: قال: «**إنما حرم أكلها**» (البخاري 1422 هـ، رقم: 1492؛ مسلم (ب ت)، رقم: 363)، "فذكر الصلاة الوسطى في الأول، وجلد الشاة في الأخير لا يقتضي أن غيرهما من الصلوات في الأول، ومن الجلود في الثاني ليس كذلك" (الشنقيطي 1995هـ، 355/1).

واستدل الشنقيطي بأن ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يكون مخصصًا، على عدم تخصيص التربة بالتيمم؛ أن التربة فرد من أفراد الصعيد، وقد ذكر بحكم العام، فالصحيح دخول غيره من أنواع الصعيد، مثل: الحجارة والرمل (الشنقيطي، 1995م).

6- العام يبقى على عمومه ولا يخصص إلا بدليل:

وهذا ما درج عليه الشنقيطي في كل ما خص من العمومات أنه لا يحكم بالتخصيص إلا بدليل يصرف هذا العام عن عمومه، وقد أنكر في عدة مواضع من تفسيره تخصيص العمومات بغير دليل، ومن ذلك:

أ- كلامه في مسألة حياة الخضر، فذكر الأدلة على عدم حياة الخضر في وقت بعثة النبي ﷺ، ومن ذلك الاستدلال بعدم حضوره المشاهد مع النبي ﷺ، فلو كان الخضر حيًّا لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته، وأعظم غزواته، ثم قال الشنقيطي: "فهل يقال إنه كان حاضرًا في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه؟

فالجواب: أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات" (الشنقيطي 1995م، 332/3).

فدفع الشنقيطي هذا الاعتراض استدلالًا ببقاء العموم على عمومه لعدم وورد دليل

يخصصه؛ لأن هذا الاعتراض هو مجرد توهم بلا بينة.

ب- قوله في حكم ميتة البحر، أنه حلال كلها ما قتله الإنسان وما طفا على الماء وما حسره البحر، ويدخل في ذلك كلب الماء وخنزير الماء، استدلالًا بالعموم قوله ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (أبو داود، (ب ت)، رقم 83؛ الترمذي، 1975م، رقم: 69؛ النسائي، 1986م، رقم 59؛ ابن ماجه (ب ت)، رقم 386؛ الشنقيطي، 1995م).

المبحث الثالث

الفرق بين التخصيص والنسخ عند الشنقيطي

النسخ لغةً مصدر من نسخ ينسخ نسخًا، يقال: نَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ وانْتَسَخَتْهُ: أزالته. ونَسَخَتِ الريحُ آثارَ الدارِ: غَيَّرتها، ونَسْخُ الآيةِ بالآيةِ: إزالة مِثل حكْمها، فالثانية ناسِخَةٌ والأولى منسوخةٌ (الجوهري، 1987م، 433/1).

ويقال: نسخت الكتاب؛ كتبته، فهو من قبيل المشترك اللفظي (الغزالي، 1993م).

واصطلاحًا: عُرِّف بأنه "الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه "، (الغزالي، 1993م، ص86).

وعُرِّف أيضًا بأنه "أن يرد دليل شرعي متراخيًا عن دليل شرعي، مقتضيًا خلاف حكمه؛ فهو تبديل بالنظر إلى علمنا، وبيان لمدة الحكم، بالنظر إلى علم الله تعالى" (الجرجاني، 1983م، ص240).

وهما متفقان في أن كل منها يوجب اختصاص بعض متناول اللفظ (ابن قدامة، 2002م، 226/1).

ويختلفان فيما يلي:

1- أن النسخ يشترط فيه التراخي، ولا يشترط في التخصيص بل يجوز فيه الاقتران.

2- أن النسخ يدخل في الأمر بمأمور واحد، بخلاف التخصيص.

3- أن النسخ لا يكون إلا بخطاب، والتخصيص يجوز بأدلة العقل والقرائن.

4- أن النسخ لا يدخل في الأخبار، والتخصيص بخلافه.

5- أن النسخ لا يبقى معه دلالة اللفظ على ما تحته، والتخصيص لا ينتفي معه ذلك.

6- أن النسخ رفع لحكم كان ثابتًا، أما التخصيص فليس رفعًا للحكم ولكنه بيان له، حيث يدل المخصص على أن المخصوص غير مراد باللفظ. (ابن حزم، ب ت؛ ابن قدامة، 2002م؛ الزركشي، 1994م).

وقد تكلم الشنقيطي في أوجه الاتفاق والاختلاف بين النسخ والتخصيص تحت تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [النحل: 101، 102]؛ فذكر ما يلي:

1- أن النسخ نوعٌ من التخصيص، وعلى هذا قال بعض العلماء -كأبي مسلم الأصفهاني-: أن النسخ تخصيص لزمن الحكم بالخطاب الجديد ؛ لأن ظاهر الخطاب الأول: استمرار الحكم في جميع الزمن. والخطاب الثاني دل على تخصيص الحكم الأول بالزمن الذي قبل النسخ ؛ فليس النسخ عنده رفعا للحكم الأول.

2- ذكر أن النسخ لا يكون إلا بوحي من الكتاب أو السنة، فلا يقع النسخ بالعقل ولا بالإجماع؛ وهذا بخلاف التخصيص الذي يكون بالكتاب والسنة والعقل والإجماع وغير ذلك من الأدلة.

كما أشار في غير موضع من التفسير إلى افتقار النسخ والتخصيص إلى دليل فلا يصح النسخ أو التخصيص بمجرد الدعوى أو التوهمات (الشنقيطي، 1995م).

المبحث الرابع

أسباب اختيار الشنقيطي للقول بالعموم أو الخصوص

بيَّن الشنقيطي في مواضع من أضواء البيان أنه لا يجوز فيها القول بالعموم، أو لا يجوز فيها التخصيص بناء على عدة أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

1- عدم الدليل:

مثل قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: 28]؛ أن ظاهر الآية العموم في الأيام المعلومات، وأنها جميعًا ظرف لذكر الله تعالى، ولا يجوز تخصيص بعضها؛ لعدم وجود الدليل. (الشنقيطي، 1995م).

2- تطرق الاحتمال إلى دليل التخصيص:

مثل قول الشنقيطي في تخصيص القرطبي حديث عامر بن سعد، أن سعدًا ركب إلى قصره بالعقيق؛ فوجد عبدًا يقطع شجرًا، أو يخبطه، فسلبه، فلما رجع سعد، جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم -أو عليهم- ما أخذ من غلامهم، فقال: «معاذ الله أن أرد شيئًا نفلنيه رسول الله ﷺ، وأبى أن يرد عليهم» (مسلم (ب ت)، رقم 1364)، مستدلًا بقوله: «نفلنيه» (القرطبي، 1964 م)؛ فذكر الشنقيطي أن هذا لا يكفي دليلًا في التخصيص، لاحتمال أنه نفل كل من وجد قاطع شجر، أو قاتل صيد بالمدينة ثيابه، كما نفل سعدًا، وهذا هو الظاهر (الشنقيطي).

3- بطلان الدليل:

اعترض الشنقيطي على تخصيص التراب بالطهورية في التيمم المفهوم من قوله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها

مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا، إذا لم نجد الماء» (مسلم (ب ت)، رقم 522)، بأن الحديث في سياق الامتنان مما يمنع فيه اعتبار مفهوم المخالفة (الشنقيطي، 1995م).

4- الاشتراك في الحكم:

حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الكهف: 46]، أن الباقيات الصالحات ترجع إلى جميع الأعمال التي ترضي الله تعالى، مثل الصلوات الخمس، كما روي عن بعض المفسرين، و(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، كما قال جمهور المفسرين وجاءت به أحاديث صحيحة، فلا يخصص لفظ الباقيات الصالحات بشيء منها دون الآخر، لأنها كلها مشتركة معها في الحكم، وهو أنها:

أ- باقية لصاحبها، غير زائلة، ولا فانية كزينة الحياة الدنيا.

ب- أنها صالحة لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله تعالى (الشنقيطي، 1995م).

5- عموم اللفظ:

حيث قال بعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: 61].

فلفظ (دابة) نكرة في سياق النفي وقد زيد قبلها (من)، فهي نص صريح في العموم، فلا يقال بخصوصيته في الطالح دون الصالح، كما ورد في الأحاديث الصحيحة وقوع العذاب على الصالح والطالح جميعًا ثم في الآخرة يبعثون على نياتهم، مثل قوله ﷺ: «**إذا أنزل الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم**» (البخاري، 1422هـ، رقم: 7108؛ مسلم (ب ت)، رقم 2879) (الشنقيطي، 1995م).

كما استدل الشيخ- رحمه الله- بعموم اللفظ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم

مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [الروم: 21]، على عدم جواز المناكحة بين الجن والإنس، فالنكرة في سياق الامتنان تدل على العموم، و﴿أَزْوَاجًا ﴾ جمع منكر في سياق الامتنان فيدل على العموم في جميع الأزواج الذين من أنفسنا وإذا عم دل ذلك على حصر الأزواج المخلوقة لنا فيما هو من أنفسنا، أي: من نوعنا وشكلنا (الشنقيطي، 1995م).

الخاتمة

الحمد لله في البدء والمنتهى، والصلاة والسلام على نبي الهدى، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وبعد:

فمن خلال هذا البحث حول **منهج الشنقيطي في العموم والخصوص من خلال تفسيره "أضواء البيان"**، والذي طفت من خلاله في تفسير أضواء البيان دراسة لإحدى المسائل الأصولية التي حررها الشنقيطي في مواضع كثيرة من تفسيره، توصلت لعدة نتائج أهمها:

1- أن الشنقيطي عالم موسوعي، يحرر المسائل ويضبطها بالأصول والقواعد، ويعتبر تفسيره أضواء البيان من التفاسير الشاملة العامة في مختلف العلوم الشرعية واللغوية.

2- أن ضبط باب العموم والخصوص وتحريره يعين الباحث والفقيه في ضبط كثير من المسائل، وتحرير محل النزاع فيها.

3- أن الشيخ الشنقيطي- رحمه الله- قد ضبط ألفاظ العموم ودلالة كل منها في مواضع كثيرة من تفسيره.

4- تناول الشنقيطي في تفسيره النسخ والتخصيص وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

5- رفض الشنقيطي في مواضع من تفسيره القول بالعموم أو التخصيص يرجع إما لعدم الدليل أو لعدم صحة الاستدلال أو غير ذلك من الأدلة.

6- تأثر الشنقيطي في تفسيره بمراقي السعود، وكان كثير الاستشهاد به في المسائل الأصولية.

التوصيات:

1- أوصي الباحثين بدراسة العلاقة بين أصول الفقه وتفسيره من خلال كتب التفسير، ومن ذلك كتاب تفسير "فتح القدير" للإمام الشوكاني.

2- أوصي الباحثين بدراسة استشهادات الشيخ الشنقيطي في تفسيره بمراقي السعود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع:

1. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (1379)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت: دار المعرفة.

2. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ب ت)، *الإحكام في أصول الأحكام*، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

3. ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (1401 هـ)، *الحجة في القراءات السبع*، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، ط4، بيروت: دار الشروق.

4. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (1419 هـ -1998 م)، *اللباب في علوم الكتاب*، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية.

5. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (1423 هـ - 2002 م)، *روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، ط2، القاهرة: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع.

6. ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ب ت)، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

7. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ب ت)، *سنن أبي داود*، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.

8. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ب ت)، *اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى*، عني بتصحيحه والتعليق عليه: أبو الوفا الأفغاني، ط1، الهند: لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند.

9. الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ب ت)، *الإحكام في أصول الأحكام*، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، بيروت: دمشق المكتب الإسلامي.

10. أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (1351 هـ - 1932 م)، *تيسير التحرير*، مصر: مصطفى البابي الحَلَبِي.

11. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (1422هـ)، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، المحقق: محمد

زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة.

12. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (1395 هـ - 1975 م)، *سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

13. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (1436 هـ - 2015 م)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، ط1، جدة - المملكة العربية السعودية: دار التفسير.

14. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (1403هـ -1983م)، *التعريفات*، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

15. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (1407 هـ - 1987 م)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين.

16. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (1418 هـ - 1997 م)، *المحصول*، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة.

17. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، (1424 هـ - 2003 م)، *دراسات في*

علوم القرآن الكريم، ط15، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

18. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (1418 هـ - 1998 م)، *تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي*، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع، ط1، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية.

19. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (1414هـ - 1994م)، *البحر المحيط في أصول الفقه*، ط1، دار الكتبي.

20. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (1421هـ/ 2000م)، *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

21. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، (1415 هـ - 1995 مـ)، بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

22. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (1417هـ - 1996م)، *دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب*، ط1، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

23. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ب ت)، *نثر الورود شرح مراقي السعود*، المحقق: علي بن محمد العمران، جدة - السعودية: مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي.

24. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (2001

م)، مذكرة في أصول الفقه، ط5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

25. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (1420 هـ - 2000 م)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

26. عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، (ب ت)، *كشف الأسرار شرح أصول البزدوي*، دار الكتاب الإسلامي.

27. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (1413 هـ - 1993 م)، *المستصفى*، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

28. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (1384هـ - 1964 م)، *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.

29. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (1426 هـ - 2005 م)، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

30. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ب ت)، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

31. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (1406 هـ - 1986م)، *سنن النسائي = المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي*، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

تعارض المنافع الاقتصادية مع القيم والمبادئ في ضوء بعض أحكام القرآن الكريم

الباحث/ عبد الله أبوبكر سالم المحضار

باحث دكتوراه

abbaker234@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/05/15م تاريخ قبوله للنشر: 2023/06/01م

الملخص:

تحدث البحث عن موضوع تعارض المنافع الاقتصادية والقيم، في ضوء بعض أحكام القرآن ومنهجه في التعامل مع هذا التعارض، وهو تقديم القيم على المنافع الاقتصادية؛ إذ أن منافع الحفاظ على القيم له أثر وقيمة في المجتمع تفوق الآثار التي تحققها المنافع الاقتصادية، وإطلاق المصالح الاقتصادية بدون ضوابط تحول الناس إلى مجتمع أناني، ويصبح طلب المال والربح العنصر الأهم في التعاملات الاقتصادية. تحدث عن منهج القرآن في تقديم القيم على منافع عامة، عندما حرم الربا والخمر والميسر رغم وجود منافع فيها بنص القرآن إلا أن ضررها أعظم من نفعها؛ لما تحدثه من أضرار بالفرد والمجتمع، فحرمها القرآن تقديمًا للقيم. ثم تحدث عن تقديم العبادات على المنافع الاقتصادية، والانشغال بتلك المنافع على حساب العبادات سواء الصلوات أو الجمعة، وتحدثت عن تحريم دخول المشركين المسجد الحرام ويومها قلق المسلمون لذلك خوفًا على تضرر اقتصاد مكة، فنزل القرآن مبينًا منهجه بمنع المشركين من دخولها، وتناولت تحريم الإكراه على البغاء من أجل المال، فنزل القرآن محرمًا هذا العمل؛ صيانة للعرض، وحفظًا لكرامة الإنسان. ثم تناولت ترغيب الفقراء في الزواج وعدم خشية الفقر، فحث القرآن على الزواج. وتحدثت عن إمهال المعسر إلى ميسرة، فقدم القرآن قيمة مراعاة حق الفقراء رغم أن الدائن له حق لا يجوز انتقاصه بل لا يجوز مطله.

الكلمات المفتاحية: منافع، اقتصاد، القيم، المصالح.

Economic benefits conflict with values and principles in the light of some provisions of Holy Quran

Abdulah Abobakr Salim Al-Mehdhar
PhD researcher Doctor

Received: 15/05/2023 Accepted: 01/06/2023

Abstract:

The research talked about the issue of conflict between economic benefits and values, in the light of some provisions of Qur'an and its approach in dealing with this conflict, which is to give priority to values over economic benefits. Since the benefits of preserving values have an impact and value in society that outweighs the effects achieved by economic benefits, and the release of economic interests without controls turns people into a selfish society, and the demand for money and profit becomes the most important element in economic transactions. When usury, wine, and gambling were forbidden, despite the presence of benefits in them in the text of Qur'an, their harm is greater than their benefit; Because of the harm it causes to the individual and society, Qur'an forbids it as values before it. Then he talked about offering worship for economic benefits and preoccupation with those benefits at the expense of worship, whether prayers or Friday, and I talked about the prohibition of the polytheists entering the Sacred Mosque, and on that day the Muslims worried about that for fear of harming the economy of Makkah, so Qur'an was revealed, indicating its approach to preventing the polytheists from entering it, and it dealt with the prohibition of coercion into prostitution. For the sake of money, so Qur'an was revealed, forbidding this work. Maintenance of display, and preservation of human dignity. Then it dealt with the desire of the poor to marry

and not to fear poverty, so Qur'an urged them to marry. And I talked about granting respite to the insolvent until it is easy, so Qur'an presents the value of observing the right of the poor, although the creditor has a right that cannot be diminished, but rather does not possess its length.

Key words: benefits, Economy, values, interests.

المقدمة:

الحمد لله أحمد ربي وأستغفره وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد خلق الله الإنسان وفضله، وكرمه وأودع في الأرض قوام معيشته وأسباب بقائه، واستخلفه لعمارتها، وأنزل شرعه القويم ليكون قانونًا حاكمًا لهذا الإعمار ومرجعًا لضبط ما قد يشكل على الإنسان من أمور هذا الاستخلاف؛ وذلك أن المرء في سعيه لعمارة الأرض قد يلتبس عليه ما يُقدم وما يُؤخر منها، وقد تتعارض منافع الإنسان الاقتصادية مع القيم والمثُل؛ فتتجه رغباته في تقديم تلك المنافع على قيم الدين أو الإنسانية، والقرآن الكريم الذي راعى تلك المنافع ودعا إلى إيجادها والسعي للحصول عليها، والمحافظة على ديمومتها، قد جعل للقيم أولوية فيما تعارض منها مع تلك المنافع؛ كون هذا التعارض لا يحدث إلا إن وجد وجه من وجوه الضرر العام أو الخاص في تلك المصالح، ومنهج القرآن يرجح تقديم إزالة الضرر على إيجاد النفع إذا تساوت المنافع والأضرار كيف وإن كان الضرر هو الغالب؟

وفي زماننا هذا مع تأثر بعض الناس بالأفكار الرأسمالية القائمة على المصالح المادية

الصـــرفة، وعدم الأخذ بالقيم وجعلها تابعًا لا متبوعًا لتلك المصـــالح؛ أدى ذلك التأثر إلى الابتعاد عن منهج القرآن في تقديم القيم والمبادئ عند ممارسـة أي نشـاط اقتصـادي، وجعل الكسـب والربح وتحصـيل المصـالح هو الأصـل الذي تنطلق منه قيم التجارة المتجردة من أي قيمة إنسانية أو شرعية.

من أجل ذلك جعلت هذا البحث الموجز في منهج القرآن الكريم في التعامل مع تعارض المنافع الاقتصادية والقيم والمبادئ؛ لعله يكون ضوءًا لبحث موسع وشامل للمسألة من جميع جوانبها، وقد اقتصرت في هذا البحث على منهج القرآن دون السنة النبوية حتى لا يطول البحث ويخرج عن مقصده.

مشكلة البحث

تتضح مشكلة البحث من خلال الإجابة عن هذين السؤالين:

1. كيف يتعامل المسلم عند تعارض مصالحه الاقتصادية مع القيم والمبادئ؟
2. هل تقدم المبادئ والقيم أم تقدم المصالح الاقتصادية عند التعارض؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كيفية تعامل المسلم عند تعارض مصالحه الاقتصادية مع القيم والمبادئ التي دعا إليها الإســلام، والإيضــاح أن القيم مقدمة على المنافع الاقتصــادية؛ كون المصــالح الاقتصــادية خاصــة أما المبادئ والقيم فهي عامة، وقد يكون لتقديم المصــالح ضــرر ظاهر أو خفي، والمصـــالح الاقتصـــادية أغلبها نفعها خاص أو منقوص بينما المبادئ والقيم يعود نفعها على الأمة قاطبة.

أهداف البحث

1. بيان منهج القرآن في التعامل مع تعارض المنافع الاقتصادية والقيم والمبادئ.
2. معرفة سر تقديم القرآن للقيم على المنافع.
3. بيان بعض الأحكام التي قدم القرآن فيها القيم على المنافع.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث ومشكلته وأهدافه.

المبحث الأول: تقديم القيم العامة على منافع عامة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحريم الربا.

المطلب الثاني: تحريم الخمر والميسر.

المبحث الثاني: تقديم العبادات على المنافع الاقتصادية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحريم البيع أثناء الجمعة.

المطلب الثاني: عدم الاشتغال بالتجارة عن العبادات.

المطلب الثالث: تحريم دخول المشركين المسجد الحرام.

المبحث الثالث: تقديم قيم عامة على منافع خاصة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحريم الإكراه على البغاء.

المطلب الثاني: ترغيب الفقراء في الزواج وعدم خشية الفقر.

المطلب الثالث: إمهال المعسر إلى ميسرة.

الخاتمة.

المبحث الأول: تقديم القيم العامة على منافع عامة

معنى القيم لغة واصطلاحًا:

القيم: جمع قيمة، أي قيمة للأشياء، التي تصلح بها أموركم وتقومون بها قيامًا. وقال الأخفش: المعنى قائمة [1].

القيمة: هي صفة في شيء تجعله موضع تقدير واحترام أي أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه [2].

تعريف المنافع

يقال: نفعه نفعًا أفادهُ وأوصل إِلَيْهِ خيرا فهُو نافِع ونفاع [3].

وتطلق المنفعة في اصطلاح الأصوليين على المصلحة، التي هي في الأصل جلب المنافع، أو دفع المضار، وتتحصل مصلحة العباد ومنافعهم بالمحافظة على مقصود الشارع، والذي يتم بالحفاظ فيه على الكليات الخمس، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال [4].

(1) الحميري، نشوان بن سعيد، (1420 هـ - 1999 م). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط1، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر: دمشق - سورية، (5693/8).

(2)القيم الإسلامية، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات (1).

(3) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (942/2).

(4) الغزالي، أبو حامد محمد عبد السلام عبد الشافي، (1413هـ - 1993م) المستصفى، ط1، دار الكتب العلمية، (286/1).

المطلب الأول: تحريم الربا

تعريف الربا لغة: ربا الشيء زاد [1].

تعريف الربا شرعًا: زيادة في أشياء ونسأ في أشياء، وقيل: إن ربا الفضل هو التفاضل في بيع كل جنس بجنسه مما يجري فيه الربا، وربا النسيئة تأخير القبض فيما يجري فيه الرباً [2].

تقديم القيم والمبادئ على منافع الربا الاقتصادية:

مما لا شك فيه أن في الربا منافع اقتصادية لأرباب الأموال، وهذا ما دعا الأنظمة غير الإسلامية إلى التعامل معه؛ كون نهجها يبحث عن المنافع الاقتصادية بغض النظر عما قد تسببه من ضرر على فئات أخرى مادام صاحب المال مستفيدًا من هذه المعاملة، وسبب انتشار الربا في التعاملات في كل البنوك والشركات المالية غير الإسلامية، إذ أن نظامها (حيثما تكون المصالح المالية فثم حرية الإنسان في العمل)، وشريعة الإسلام ومنهج القرآن يرفض كل معاملة مالية ومصالح اقتصادية تعود بالضرر على أي جزء من المجتمع فقد راعى مصالح الغني وأباح له حرية التصرف مادامت منضبطة بعدم الإضرار بغيره، "ومن المبادئ الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي، مبدأ التوجيه الإداري للنشاط الاقتصادي، وهذا المبدأ مؤسس في أصوله على نظرية التوازن الاجتماعي التي يعتمدها الإسلام أسلوبًا وهدفًا لتحقيق العدالة الاجتماعية"[3] لكن أن تتحول مصالحه إلى ضرر يلحق الفقير ويستغل حاجته وظرفه ويكبله بأرباح قروض لم يكن هو مستفيدًا من تلك الأرباح، وإنما

(1) الرازي، مختار الصحاح، (267).
(2) ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، (392/8).
(3) وزارة الأوقاف السعودية، الاقتصاد الإسلامي، (12).

استفاد من رأس المال ليرده عند تمام الأجل كاملًا غير منقوص، وفي تشريع الربا ظلم يلحق بالمجتمع ويقسمه إلى جزأين: غني في البطالة مفسد، وفقير مدقع مكبل بقيود القروض وفوائدها، وتتسع الهوة بين أفراد المجتمع ما يسبب الحقد والبغضاء والحسد وتتفكك الروابط الإنسانية لشعور الفقير أنه ليس جزءًا من أجزاء المجتمع فلا يشفق عليه أحد، وينظر إليه الغني على أنه آلة من آلات الكسب سيظل يسعى وراء قضاء ديونه فلا يكاد يدرك قضاءها، ويحصل الغني على أرباح لم يبذل فيها جهدًا عدا استغلال حاجات المحتاجين.

"إن الربا عمل يتنافى مع الشرع الإسلامي، يقوم على الاستغلال، والمرابي لا يجعل الله في حسابه ولا يراعي المبادئ والغايات والأخلاق، وإنما الغاية عنده هي تحصيل المال بأي طريق وأية وسيلة، ويؤدي هذا إلى إنشاء نظام يسحق البشرية ويشقيها أفرادًا وجماعات، دولًا وشعوبًا، لمصلحة شرذمة قليلة من المرابين لا يرعون عهدًا ولا ذمة لأحد من الناس، وللربا في المجتمعات التي تتعامل به آثارٌ وخيمة على الفرد وحده وعلى المجتمع بأسره"[1].

من أجل ذلك حرم القرآن الربا وشنع عليه وتوعد بالحرب على فاعله ومحقه، ودعا إلى الصدقة على الفقير، والقرض الحسن وإمهال المعسر إلى ميسرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(1) الحربي، فهد بن مبارك، آثار الربا الاقتصادية والاجتماعية، (1).

وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٥ – ٢٨١).

فقد أخبرنا الله تعالى في هذه الآيات عن حال آكلي الربا يوم القيامة، ومحق البركة من أموالهم في الدنيا، ودعا المؤمنين إلى اجتنابه وترك ما بقي منه، وتوعد بحرب على فاعليه، ومن رفض تركه، وذكر في الآيات بالصدقة والصلاة والزكاة؛ كون الزكاة والصدقة تنافي الربا، وتقلل من الفقر، وتعين الغارم على قضاء دينه، والصلاة قربة إلى الله يتقرب بها العبد إلى ربه فتزيل منه الطمع والجشع، وتلين قلبه وتحبب إليه إخوانه المسلمين الذين يصلي إلى جانبهم كل يوم عدة مرات، وحث على إمهال المعسر لعل الله ييسر أمره، وختم الآيات بالتذكير بالآخرة والرجوع إلى الله حيث توفى كل نفس ما كسبت في الدنيا، وذكر الكسب في الآية لينبه الإنسان على ترك الكسب من الربا؛ لأنه كسب غير مشروع وحسابه عسير يوم القيامة.

إن في الربا كما أسلفنا منافع لأهل الأموال فحرمها القرآن من أجل مصلحة عامة أعظم منها وهي الحفاظ على نسيج المجتمع، ومنع استغلال حاجات الناس، وردم الهوة بين أهل الغنى وأهل الفقر، قال المودودي: " المرابي يضع يده على معظمها قبل، وذلك مما لا يفسد أخلاقهم وينجرف بهم إلى ركوب الدنايا واقتراف الجرائم فحسب، ولا يحط من مستوى معيشتهم ومستوى التعليم والتربية لأولادهم فحسب، بل من نتائجه أيضًا أن الهموم والأحزان لا تزال تهجم على العمال وتؤثر في كفاءتهم ونشاطهم الذهني والبدني فلا يكادون ينشرحون صدرًا بأعمالهم ويقومون بها في نشاط كامل. فمن هذه الوجهة ليس هذا النوع من التعامل

الربوي بظلم فحسب، بل فيه أعظم ما يكون من الضرر على الاقتصاد الاجتماعي" [1].

ولما كانت في الربا مصلحة قالت العرب: "إنما البيع مثل الربا" ورد الله على هذا القياس الفاسد وبيّن أن البيع له منافع متحققة لابد منها لوصول الإنسان إلى حاجته التي في يد غيره، أما الربا فهو استغلال حاجة الإنسان وفيه مصالح لفئة الأغنياء دون سواهم وهذا يترتب عليه ضرر عام يصيب المجتمع، "إن الربا لا يساهم في تقدم الاقتصاد، بل هو على العكس من ذلك سبب أساسي في الأزمات الاقتصادية، وسبب رئيس أيضًا في تقسيم المجتمع إلى أغنياء وفقراء، وهو لا يخدم إلا فئة قليلة لا يهمها سوى الربح وجمع المال، وحتى هذه الفئة تكون فائدتها مؤقتة لأن خلل الاقتصاد الذي يسببه الربا سوف يصيبها لا محالة"[2]، وقال وهبة الزحيلي: "وإنما يأخذ الزيادة عن أصل الدين وقت حلول أجل الوفاء بدون مقابلة شيء، بل إن المصارف اليوم تشبه في عملها أفعال الجاهلية بتجميع الفوائد المتراكمة أو المركبة، وأخذ الفائدة وفائدة الفائدة مع مرور السنوات، فصار حملة أسهم المصرف يأكلون الربا أضعافًا مضاعفة، وأخذ هذه الزيادة وتوابعها ظلم موجب للإثم والمعصية الكبيرة"[3].

إن في الربا منافع اقتصادية تتعارض مع قيم الدين في استغلال حاجة الفقير وتزيد من الأعباء عليه لذلك قدم الله قيم الدين في حماية حق الفقير على مصلحة الغني الجشع.

(1) المودودي، أبو الأعلى، الربا، (2/15).

(2) زيدان، رغداء، الربا وبدائله في الإسلام، (2).

(3) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1418 هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر: دمشق، (87/3).

المبحث الثاني: تحريم الخمر والميسر

تعريف الخمر لغة: (خمرة) و (خمر) و (خمور) مثل تمرة وتمر وتمور. قال ابن الأعرابي: سميت (الخمر) خمرا لأنها تركت (فاختمرت) و (اختمارها) تغير ريحها [1].

تعريف الخمر شرعًا: الخمر كل ما أسكر سواء كان عصيرًا أو نقيعًا من العنب أو غيره مطبوخًا أو غير مطبوخ [2].

تعريف الميسر لغة: (الميسر) الْقمار وهُو قمار الْعرب بالأزلام أو اللعب بِالْقداحِ فِي كل شيْء وكل شيْء فِيهِ قمار [3].

الميسر شرعًا: هو القمار، واشتقاقه من اليُسر بمعنى السهولة، لأنه كسب بلا مشقة ولا كد، أو من اليسار وهو الغنى، لأنه سببه للربح، أو من اليَسْر بمعنى التجزئة والاقتسام [4].

تقديم القيم على منافع الخمر والميسر:

في الخمر والميسر منافع ظاهرة لكنها لا تماثل المفاسد الحاصلة بسببهما، فأضرار الخمر والميسر على الفرد والمجتمع كثيرة ومتعددة ولكن حديثي هنا عن المفاسد الاقتصادية دون سواها، ولاشك أن الشارع الحكيم نظر إلى المصالح والمفاسد مجتمعة عند التشريع، فالخمر بالنظر إلى مفاسده ومنافعه الاقتصادية المجردة دون النظر إلى ما سواها من المفاسد هو بيع

(1) الرازي، مختار الصحاح، (97).
(2) ابن السيد، أبو مالك كمال، صحيح فقه السنة وأدلتها وتوضيح مذاهب الأئمة، (74/4).
(3) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (1064/2).
(4) ابن السيد، أبو مالك كمال، صحيح فقه السنة وأدلتها وتوضيح مذاهب الأئمة، (292/4).

وشراء وتصنيع، وهذا في حد ذاته مصالح ظاهرة وإيجاد فرص عمل، لكن الشارع نظر إليه نظرة عامة وأن المصالح المالية المتحققة من التجارة والعمل فيه لا تعدل الأضرار التي يحدثها على الفرد والمجتمع؛ فكان منهج القرآن تحريمه وتحريم كل أوجه التعامل معه، بما فيها الجوانب الاقتصادية.

ويُجمل القول: إن في الخمر منفعة اقتصادية لكن كون الخمر يتنافى مع القيم الإسلامية فقد قدم القرآن تلك القيم على المنافع الاقتصادية التي قد تتحقق لمن يتاجر في الخمر، فحقوق المجتمع وصيانته أحق بالحماية من حق من يعمل في الخمر، لأن الأعمال كثيرة وأبواب الرزق مفتوحة؛ فلا يسمح بالمتاجرة على حساب قيم المجتمع وإلحاق الضرر به من أجل حماية مصلحة تاجر أو صانع لا يبالي بقيم الشرع ولا يهمه النفع أو الضرر العام بقدر ما يهمه ما يكسب. وكل بيع يعود بالضرر على أحد طرفي البيع أو بضرر عام فإن الشرع يحرمه حفاظًا على المصالح المجتمعية وقيم الإنسان وحقوقه المادية والنفسية منعًا لإلحاق أي ضرر به. حسب قاعدة "يتحمل الضرر الْخاص لدفع الضرر الْعام"[1]

أما الميسر فإنه في الأصل تعامل مالي لكن لا يقوم على أساس سليم من الأسس المشروعة للكسب، بل على أسس غير سوية فقد يكسب فاعله مبالغ طائلة في لحظة دون بذل أي جهد، وفي المقابل يخسر تلك المبالغ شخص آخر يقف على الجانب الآخر من طاولة القمار، وقد يكسب لاعب القمار أموالًا لا حصر لها ثم يخسر قبل أن يقوم من مقامه، وهذا عبث لا يقبل الشرع به من أوجه متعددة، أجملها فيما يأتي:

1. إنه كسب من غير بذل جهد بل بلعب ومجازفة.

(1) الزرقا، مصطفى، شرح القواعد الفقهية، (197).

2. فيه ضرر نفسي ومالي على من يقوم بلعب القمار قبل اللعب وأثناءه ويستمر بعده، فكم من ممارس لهذا العمل فقد عقله بعد فقد ماله.
3. فيه ضرر على أسرة من يمارس هذا الفعل فقد يخرج الرجل من بيته غنيا ويعود إليه فقيرًا معدمًا لا يمتلك حتى المنزل الذي خرج منه.
4. فيه ضرر اجتماعي بتحول المجتمع إلى مجتمع غير منتج يسعى إلى كسب المال بصورة سريعة تحمل في طياتها المغامرة بالمال وربما بالنفس والعقل.
5. يتحول المجتمع الممارس للميسر إلى كتلة من الأحقاد والضغائن، يسعى بعضهم للتخلص من بعض لأنه خسر ماله وكرامته بسبب الميسر.
6. والقمار يساهم في وجود فجوة بين الفقراء والأغنياء ويزيد من عدد الفقراء، وهو جزء من الأسباب التي أدت إلى الأزمة العالمية "هذا ما حصل في الأزمة المالية الراهنة، فلقد اكتظت الأسواق المالية بتجارة المخاطر المبنية على الميسر والقمار، فأصبح لا يمكن التفريق بين المعاملات الحقيقية وبين المقامرة التي تتسم اقتصاديا بأنها مباراة نتيجتها صفر، لأنها على المستوى الجزئي لطرفيها لا تولد قيمة، إذ إن ما يربحه طرف يساوي تمامًا ما يخسره الآخر، أما على مستوى الاقتصاد كله فإنها مباراة نتيجتها سالبة، بسبب ما تولده من حوافز ضارة اقتصاديا ذات مخاطر أخلاقية"[1].

من أجل ذلك حرم الإسلام هذا التعامل المفضي إلى هذه الأضرار حتى وإن كانت في ظاهره فيه منافع اقتصادية قد تعود على من يمارسه فيظن أن الشرع قد حرمه حقا من حقوقه في الكسب بينما الشرع قد حمى حقوقه وحقوق غيره من المجازفة والضياع محافظًا على القيم

(1) الجهني، أحمد بن محمد، تحريم القمار في الشريعة الإسلامية وأثره في علاج الزمة العالمية المعاصرة، (2/2).

العامة والحقوق الخاصة ومبقيًا على سلامة الصدور من الأحقاد عامرة بالألفة والمحبة، وفي الميسر غرم متحقق وغنم محتمل وهذا تعامل جائر لا يرتضيه الشرع فالأصل في التعامل أن يكون الغنم متحققًا أو على الأقل الغنم والغرم محتملين. قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٩).قال ابن كثير: "وكذا بيعها (أي الخمر) والانتفاع بثمنها، وما يربحه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله، ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين"(1). وقال الشوكاني: "وأما منافع الخمر: فربح التجارة فيها وقيل: ما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان، وإصلاح المعدة، وقوة الباءة ... ومنافع الميسر: مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعب ولا كد، وما يحصل من السرور والأريحية عند أن يصير له منها سهم صالح"(2) وقال أيضًا: "وإثمهما أكبر من نفعهما أخبر سبحانه: بأن الخمر والميسر وإن كان فيهما نفع فالإثم الذي يلحق متعاطيهما أكثر من هذا النفع، لأنه لا خير يساوي فساد العقل الحاصل بالخمر، فإنه ينشأ عنه من الشرور ما لا يأتي عليه الحصر وكذلك لا خير في الميسر يساوي ما فيها من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر، واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم"(3).

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (1419 هـ). تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، (434/1).

(2) الشوكاني، محمد بن علي، (1414 هـ) فتح القدير، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (253/1).

(3) المصدر نفسه (254/1).

فالخمر والميســـر فيهما منافع اقتصـــادية ظاهرة، لكنها تتعارض مع مبادئ الدين في الحفاظ على العقل والأموال؛ لذلك حرمها الشـــارع الحكيم وقدم القيم الشـــرعية على تلك المصالح.

المبحث الثاني: تقديم العبادات على المنافع الاقتصادية

المطلب الأول: تحريم البيع أثناء الجمعة

البيع من أفضل طرائق الكسب كما جاء في الحديث: عن رافِعِ بنِ خدِيج ﷺ قال: قِيل: يا رسول اللهِ، أي الكسبِ أطيب؟ قال: "عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور"[1] [2]، مع ذلك فإن حق العبادات التقديم على البيع الحلال الذي هو من أفضل طرائق الكسب، لأن البيع من الأعمال الدنيوية التي لا تقدم على العبادات إلا لضرورة، وصلاة الجمعة من أفضل العبادات، وحث الله على المبادرة إليها وترك كل ما يشغل عنها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ (الجمعة: 9 – 11).

وحذر النبي ﷺ عن التخلف عنها كما في الحديث: عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: "لقد هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم"[3]

ومن الآيات والحديث يتضح خطر ترك الجمعة؛ وقد يكون من أسباب تركها أو التأخر عنها الانشغال بالتجارة والتساهل بأمرها، فكان منهج القرآن الكريم إزاء ذلك واضحًا

(1) ابن حنبل، أحمد، (1421 هـ – 2001م). مسند أحمد، ط1، مؤسسة الرسالة، رقم (502/28).

(2) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "فيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح" (ج/ص).

(3) صحيح مسلم، باب فضل صلاة الجمعة (ج/ص) برقم (254) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

في تقديم هذه العبادات ومنها صلاة الجمعة على حق الإنسان في ممارسة البيع مع أهميته وهذا التقديم له مبررات منها:

1. أن الأصل تقديم العبادات على المعاملات حين تتعارض.
2. أن وقت العبادة وخاصة الجمعة مضيق ووقت البيع موسع ومتاح في أغلب الوقت لذلك يجب تقديم ما كان وقته مضيقًا على ذي الوقت الموسع، وبذلك يستقيم ترتيب الإنسان لأمور حياته.
3. تفرغ الإنسان للعبادة وترك البيع حين يحين وقتها دليل على تقديم ما طلبه الله منه على ما ترغب فيه نفسه وذلك من كمال الإيمان، وبه تسمو روحه بعد انغماسها في متطلبات الدنيا لساعات، فكأنه يعطي الروح استراحة من عناء الدنيا كما يعطي جسده راحة بعد التعب.

والقرآن قدم السعي إلى صلاة الجمعة على البيع رغم حله وذلك لتقديم العبادات على المنافع الاقتصادية المتمثلة هنا في البيع ويكون ترك البيع بوقت كافٍ للاستعداد للصلاة، فإذا انقضت الصلاة أذن الله في البيع وعودة الإنسان لممارسة نشاطه التجاري؛ لأن المانع قد زال، إنما المنع جاء لتقديم العبادة على التجارة، فإذا انقضت الصلاة زال المنع.

فالبيع فيه منافع اقتصادية معلومة وإغلاق المحلات التجارية لوقت الخطبة والصلاة يفوت على التجار وقتًا من أوقات البيع لكن قيم العبادات ومنها صلاة الجمعة وسماع خطبتيها قدم على تلك المصالح الاقتصادية.

المطلب الثاني: عدم الانشغال بالأموال عن العبادات

في المطلب السابق تحدثنا عن تحريم البيع أثناء صلاة الجمعة، وهو أمر خاص بالجمعة ووقت معين، أما في هذا المطلب فالحديث عام عن عدم الانشغال بالتجارة على حساب

العبادات ومنها ذكر الله عز وجل، وقد يكون الانشغال بدنيًّا أو فكريًّا، فيشغل المرء نفسه بالتفكير في التجارة فلا يذكر الله إلا قليلًا.

وقد فُطر الإنسان على حب الأموال والأولاد؛ فهي زينة الحياة الدنيا وبهجتها، وهي ثمرة جهد الإنسان ونتيجة سعيه، لذلك تتعلق بها القلوب، وتميل إليها النفوس، وتطمئن بها المُهج، ويشعر الإنسان بتأمين حياته بحيازة المال؛ وهذا قد يلهي الإنسان عن العبادة وينشغل عنها بتحصيل الأموال والسعي وراء جمعها، أو أنها تصل به إلى مرحلة الطغيان والاستغناء، متناسيا مصدر تلك النعم.

ومن الانشغال بالمال، الانشغال بالتجارة، وفي التجارة _لا شك_ مصالح عظيمة للإنسان، وقوام معيشته تتوقف عليها، ممارسًا لها أو مستفيدًا منها بتوفير ما يحتاجه من مُتع الدنيا وزاد الحياة، وأصبحت التجارة اليوم الرافد الأعظم للرأس مال العالمي، وتأوي إليها كل أعمال الإنسان الأخرى من صناعة وزراعة وثروات طبيعية، كلها تمر عبر التجارة وتدخل تحت حكمها، والشارع الحكيم أعطاها حقها من الاهتمام؛ رعاية لمصالح الإنسان وقوام حياته التي لن تستقيم دون التجارة، غير أنه لا ينبغي أن يصل الإنسان بالانشغال بممارسة التجارة إلى ترك العبادة أو السهو عنها، أو التراخي في أدائها، سواء كانت تلك العبادات صلوات أو زكاة أو صيام أو مجرد ذكر لله عز وجل، فعقل التاجر إذا كان مشغولًا بحساب تجارته منهمكًا في ربحه وخسارته؛ فينغلق القلب عن الله ويثقل اللسان عن ذكره، ويبخل بإخراج الزكاة من ماله ظنًّا منه بنقص المال إن هو أداها، غافلًا على أنها نعمة من الله امتن الله عليه بها، وامتحنه بتحصيلها كما امتحنه بنفقتها، عند ذلك يتعرض لخسارة آخرته.

ومنهج القرآن العظيم، المنهج القويم، والصراط المستقيم فيما يصلح الخلق في دينهم

ودنياهم، لم يحرم الإنسان من حقه في كسب المال الحلال ولا في ممارسة التجارة والعمل بها فضلًا عن أن يحرمه من حقه فكل ذلك من فطرة الإنسان التي يستحيل أن يمنعها الشرع الحنيف؛ غير أن منهج القرآن يقدم حق أداء العبادات في وقتها وبهيئتها الكاملة وإخراج ما يجب عليه من الزكاة على الانشغال بالتجارة واللهو بالمال أو التلهي به، فذكرُ اللهِ المشار إليه في الآية هي الصلوات، ثم دعا بعدها إلى النفقة مذكرًا بحق العبادة الأخرى وهي الزكاة. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ ﴾ (المنافقون: ٩ – ١٠). قال الطبري: "عني بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس"[1] وحكى هذا القول عن الضحاك [2] ونقل الشوكاني عن ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) الآية، قال: هم عباد من أمتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وعن الصلوات الخمس المفروضة[3].

إذًا في المال منافع لا حصر لها في حياة الناس، فهو قوام الحياة لكن المال والتعاطي معه كسبًا وإنفاقًا لا ينبغي أن يقدم على عبادة الله عز وجل لأنها المهمة الأسمى التي خلق لها الخلق قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ (الذاريات: 56).

(1) الطبري، ابن جرير، (1420 هـ – 2000م). جامع البيان (تفسير الطبري)، ط1، مؤسسة الرسالة: (410/23).

(2) المصدر نفسه (410/23).

(3) الشوكاني، فتح القدير، (279/5).

المطلب الثالث: تحريم دخول المشركين المسجد الحرام

لقد كانت مكة المكرمة قبل الإسلام مركزًا دينيًّا وتجاريًّا وثقافيًّا لا تضاهيها في ذلك مدينة عربية، وسبب ذلك توجه الناس إليها سنويًّا من أجل العبادة بالحج أو العمرة، وكذلك ما أنعم الله عليها بالأمن، وهذان السببان جعلاها تحظى بهذه الميزة، فقد قال الله عنها ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (القصص: 57). أي أن الله تعالى مكن لهم أسباب الرزق في بلد لا زرع فيه، ولا صناعة لأهله فكانت تأتيهم العرب متاجرة من كل مكان، قال ابن كثير: عن تفسير الآية يجبى إليه ثمرات كل شيء " أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة"[1]، جلب هذه الثمار والأمتعة إلى مكة جعلها مركزًا تجاريًّا عربيًّا، وكان لذلك فوائد اقتصادية جمة تعود على قريش بالنفع، واستمر هذا الوضع حتى ظهور الإسلام، بل إلى فتح مكة وعودتها إلى ملة التوحيد، عندها جاء الأمر الرباني بمنع دخول المشركين إلى حرم الله لتبقى طاهرة من أرجاس الكفر وظلماته، منارة للتوحيد والإشعاع الإيماني، لا يطمح كافر حتى في الولوج إليها، غير أن هذا الأمر قد بعث شيئًا من القلق عند بعض المسلمين، ومبعث هذا القلق اقتصادي صرف، لأن منع المشركين من دخول مكة بعد فتحها وهم الأكثرية في جزيرة العرب، وهم من يملكون أغلب رأس المال؛ سيؤدي إلى كساد التجارة في مكة، وقد ينضب ينبوعها الاقتصادي الذي كانوا يعولون عليه، هنا يأتي القرآن ليقرر منهجه في تقديم القيم والمبادئ على المصالح الاقتصادية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ

(1) تفسير ابن كثير، (19/2).

﴿خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (التوبة: 28). هكذا يقرر القرآن منع المشركين من دخول الحرم حتى لو أدى هذا الأمر إلى ضرر اقتصادي محتمل أو متحقق؛ لأن القيم في منهج القرآن حقها التقديم على المنافع الاقتصادية، وفي ذلك إشارة إلى أن من يقدم شرع الله على منافعه الاقتصادية، أن الله يعوضه خيرًا مما ترك وبذلك يكون قد حفظ دينه ونال ما أراد من مصالحه مصداقًا لقوله ﷺ «إنك لن تدع شيئًا اتقاءً لِلهِ إلا أعطاك اللهُ خيرًا مِنهُ»[1]، وروي بلفظ "ما ترك عبدٌ شيئًا لِلهِ لا يترُكُهُ إلا لهُ إلا عوضهُ اللهُ مِنهُ ما هُو خيرٌ لهُ فِي دِينِهِ ودُنياهُ"[2]، وجاء في تفسير الآية عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتاجرون به، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت قال المسلمون: فيمن أين لنا الطعام؟ قال: فأنزل الله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [3].

لقد كان في منع المشركين من دخول مكة مضار اقتصادية للمسلمين، ودخولهم يجلب رؤوس أموال وتزدهر التجارة ولكن تلك المنافع لم يكن لها التقديم على المبادئ الإسلامية في تحريم دخول المشركين إلى مكة وتطهيرها من الشرك لتبقى مكانًا خاصًّا بالمسلمين تؤدى فيه عباداتهم.

(1) مسند أحمد، برقم (1168).

(2) الأصفهاني، أبو نعيم، (1394هـ - 1974م). حلية أولياء وطبقات الأصفياء، السعادة: بجوار محافظة مصر، (196/2).

(3) الرازي، أبو حاتم، (1419 هـ). تفسير ابن أبي حاتم، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، (1777/6). الجوزجاني، سعيد بن منصور، (1417 هـ - 1997م). التفسير من سنن أبي سعيد بن منصور، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، (244/5).

المبحث الثالث: تقديم قيم عامة على منافع خاصة

يقرر الإسلام أن "مصلحه الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد في حدود العدل والإنصاف، في هذه الخاصية نرى الترابط الوثيق بين المصلحتين. فمصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجماعة في نفس الوقت، ولكن المصلحة الجماعية في الحقيقة لها دورها الكبير في هذا المجال لأنها مصلحة الأمة بأسرها "[1].

المطلب الأول: تحريم الإكراه على البغاء

من العادات السيئة التي كانت في الجاهلية إكراه الجواري على البغاء من أجل التكسب، رغم ذم العرب لتلك العادات فقد جاء عنهم مقولة "تجوع الحرة ولا تأكل من ثديها"[2]، فكيف يرضون إكراه الجواري على البغاء من أجل أن يكسبوا من بغيها بينما يلومون الحرة على التكسب المشروع، ذلك يفسر التناقض الغريب في موازين العيب التي نصبتها العرب للحكم على عاداتها، وقد يكون ذلك ازدواجًا في التعامل مع طبقات المجتمع بينما يتكسبون من البغي بالإماء فإنهم يلومون الحرائر على مجرد أخذ الأجر على الرضاعة.

التكسب من البغي بإجبار الإماء على البغاء حدث في العهد المدني من قبل عبدالله ابن أبي بن سلول فقد كان يجبر إماءه على ممارسة البغي بحثًا عن المال عن جابِر ﷺ قال: "كان عبدُ اللهِ بنُ أُبي ابنُ سلُول يقُولُ لِجارِية لهُ: اذهبِي فابغِينا شيئًا، فأنزل اللهُ عز وجل: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (النور: 33)"[3]. وعنه ﷺ أن جارِيةً لِعبدِ اللهِ بنِ أُبي ابنِ سلُول

(1) برناوي، محمد إبراهيم، خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، (207).
(2) ابن سلام، أبو عبيدة القاسم، (1400هـ- 1980م). الأمثال، ط1، دار المأمون للتراث، (196).
(3) صحيح مسلم، كتب التفسير باب ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء برقم (3029).

يُقالُ لها: مُسيكة، وأخرى يُقالُ لها: أُميمة، فكان يُكرِهُهُما على الزنا، فشكتا ذلِك إلى النبِي ﷺ فأنزل اللهُ: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (النور: 33)"[1].

هكذا يقرر القرآن منهجه بكل وضـــوح في تقديم المبادئ والقيم على هذا النوع من التكســب الذي يخالف كل القيم والأعراف، ويحول حياة الإنســان المكرمة إلى حياة بهيمية، ولا يراعي الشـخص في هذا الكسـب إلا مصـلحته المالية فقط، ويقدم مصـلحته المالية على القيم والأعراف، وعلى مشـاعر غيره من البشـر، ويقوم بإكراههم على هذا الفعل الذي تأنفه نفوسـهم، ويأتي منهج القرآن هنا منسـجمًا مع منهجه في الحفاظ على كرامة الإنسـان وتحريم كل ما من شأنه امتهان هذه الكرامة، فلا يقر القرآن تعاملًا قائمًا على مصلحة فرد يتسبب في هدم قيم المجتمع والحط من كرامة الإنسان، فلا مراعاة لكسب هذا شأنه، ولا بقاء لمصلحة قائمة على ضـــرر. ليرفع القرآن بهذا النهي من قيمة الإنســـان وكرامته، ويحافظ على شـــرفه، ويصـون عرضـه، معليًا بذلك القيم والمبادئ على كل تصـرف من طبيعته الانتقاص من تلك القيم والمبادئ.

المطلب الثاني: ترغيب الفقراء في الزواج وعدم خشية الفقر

الزواج من سـنن المرسـلين، ومتنفس الغريزة لكل كائن حي، به يُحفظ النسـل، ويُصـان العرض، وتحصـل العفة، وجاءت شـريعة الإسـلام مشـجعة عليه، حاثة على فعله والسـعي في تكوين أسرة مبنية على أسسه، فنظم الإسلام علاقة الرجل بالمرأة أيما تنظيم؛ وذلك من كمال هذا الدين، وحسـن تشـريعه. عن عبدِ اللهِ بن مسـعود رضي الله عنه قال: كُنا مع النبِي ﷺ فقال: «منِ استطاع الباءة فليتزوج، فإِنهُ أغض لِلبصرِ، وأحصنُ لِلفرجِ، ومن لم يستطِع فعليهِ بِالصومِ، فإِنهُ

(1) المصدر السابق، الكتاب والباب نفسه.

لهُ وِجاءٌ» [1].

وقد يتأخر بعض الشـــباب عن الزواج أو يعزف عنه بســـبب ظروفه المادية أو أنه لا يستطيع تحمل أعباء الزواج سيما في أزمنة الاضطرابات التي تؤثر على الوضع الاقتصادي وينصرف تفكير الشباب عن الزواج، وهنا يدعو القرآن إلى تطمين هؤلاء وحثهم على الزواج، والله عز وجل سيفتح لهم أبواب رزقه، وسيغنيهم من فضله، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (النور: ٣٢ – ٣٣).

قال وهبة الزحيلي: "هذا وعد بالغنى للمتزوج، فلا تنظروا إلى مشكلة الفقر، سواء فقر الخاطب أو المخطوبة، ففي فضل الله ما يغنيهم، والله غني ذو سعة، لا تنفد خزائنه، ولا حد لقدرته، عليم بأحوال خلقه، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على وفق الحكمة والمصلحة"[2] وقال ابن كثير: "وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره، ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صـــداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن. والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله"[3].

فمن أراد الزواج وخاف الفقر فليعزم على الزواج ففضل واسع وقد وعد بالغنى والعون

(1) صحيح البخاري، كتاب الصوم باب الصوم لمن خشي على نفسه العزوبة برقم (1905). صحيح مسلم، كتاب النكاح باب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة. برقم (1400).
(2) الزحيلي، وهبة، (1418 هـ). التفسير المنير، ط2، دار الفكر المعاصر: دمشق، (232/18).
(3) تفسير ابن كثير (48/6).

لمن أراد العفاف قال ﷺ «ثلاثةٌ حق على اللهِ عونُهُم: المجاهِدُ فِي سبِيلِ اللهِ، والمكاتبُ الذِي يُرِيدُ الأداء، والناكِحُ الذِي يُرِيدُ العفاف» [1] حسنه الألباني [2].

من هنا يتبين منهج القرآن الكريم في الترغيب في الزواج وتقديمه حتى لمن كان فقيرًا من أجل تلك القيم السامية التي تتحقق بالزواج ولا تتحقق بسواه، وللقضاء على ما قد ينتج عن ترك الزواج من الفواحش التي تظهر نتيجة لترك الزواج والعزوف عنه، أو حتى تنتج عن تأخيره لاسيما في بعض المجتمعات التي كثر فيها التبرج والسفور وأصبحت المرأة تنافس الرجل في كل مكان، مع قلة الحياء والحشمة وضعف الغيرة؛ فتكون الفاحشة قريبة من الرجل قريبة من المرأة مع كثرة المغريات وقلة الموانع.

وإذا كان منهج الإسلام حث الفقير على الزواج؛ فمن باب أولى حث الغني القادر على تكاليفه، فهو أقدر على فعله وقد زالت موانعه المادية، هذا هو منهج الإسلام في تقديم قيم الزواج وصيانة المجتمع على المصالح الاقتصادية، إما بدافع الفقر والاعتقاد بعدم القدرة على القيام به أو تركه مع القدرة على فعله.

المطلب الثالث: إمهال المعسر إلى ميسرة

لما حرم الله الربا وحث على القرض الحسن لما فيه من مراعاة للفقير؛ فإن المدين قد يحل ما عليه من دين وهو في حالة عسر لا يستطيع الوفاء بدينه، وحقًا للدائن أن يحصل على دينه في وقته، ولا يكافأ على إحسانه بالقرض بتأخير حصوله على حقه، ومطله ظلم ففي الحديث عن أَبِي هُرَيرة ﷺ عنِ النبِي ﷺ قال: «مطلُ الغنِي ظُلْمٌ، ومن أُتبِع على ملِي

(1) الترمذي، محمد بن عيسى، (1395 هـ - 1975م). سنن الترمذي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، برقم (1655).
(2) صحيح وضعيف الترمذي برقم (1655).

فليتبع»[1]، ومع ذلك كله في حق الدائن في الحصـــول على حقه، فإن الله دعاه وحثه على إمهال المعسر إلى ميسرة إكمالًا لإحسان المحسن وعدم المشقة على المعسر قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ (البقرة: 280)، وهذه الآية قد جاءت بعد آيات تحريم الربا والتحذير منه وإعلان الحرب على فاعله، وقبل آية الدين، وفي هذا إشارة إلى ربط هذه الأربع القيم: تحريم الربا، وتشريع الدين بقرض حسن، وإمهال المعسر إلى ميسرة، وقبل ذلك وبعده تقوى الله عز وجل. ولم يتوقف الأمر عند إمهال المعسر بل جاء الأمر الرباني بالدعوة إلى إسقاط دينه بالتصدق عليه ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ قال الطبري: "يعني جل وعز بذلك: وأن تتصـــدقوا برؤوس أموالكم على هذا المعسر، خير لكم أيها القوم من أن تنظروه إلى ميسرته، لتقبضوا رؤوس أموالكم منه إذا أيسر إن كنتم تعلمون موضع الفضل في الصدقة، وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه"[2].

والتيسير على المعسر فضيلة من الفضائل التي حث الإسلام عليها ورغب فيها؛ لما فيها من الرحمة والشفقة بالخلق، ومراعاة المعسرين فقد جاءت أحاديث كثيرة في التيسير على المعسرين منها: حديث كعبِ بنِ عُجرة الأنصارِي ﷺ قال: قال رسُولُ ﷺ «من أنظر مُعسِرًا أو يسر عليهِ أظلهُ اللهُ فِي ظِلهِ يوم لا ظِل إلا ظِلهُ»[3]. وعن مِحجن، مولى عُثمان، عن عُثمان

(1) صـحيح البخاري، في أكثر من موضـع منها كتاب الحوالات، باب إذا أحال على ملئ ليس له رد، وكتاب في الاستقراض وأداء الديون باب مطل الغني ظلم برقم (2287). صحيح مسلم، كتاب المساقاة باب تحريم مطل الغني برقم (1564).

(2) تفسير الطبري (35/6).

(3) الطبراني، (1405 – 1985م). المعجم الصـغير، ط1، المكتب الإسـلامي، دار عمار: عمان، (349/1).

ﷺ قال: سمِعتُ رسُول اللهِ ﷺ يقُولُ: «أظل اللهُ عبدًا فِي ظِلهِ يوم لا ظِل إلا ظِلهُ أنظر مُعسِرًا أو ترك لِغارِمٍ» [1].

في إمهال المعسر إلى ميسرة ودعوة القرآن لذلك، يتبين منهج القرآن القويم في تقديم هذه القيمة الإنسانية في الرأفة بالفقراء والمساكين على المصالح المادية رغم أن المقرِض له كامل الحق في المطالبة بماله، إلا أن الله حثه على انتظار المعسر وإمهاله، وجعل ذلك من الفضائل التي يثاب عليها المرء، ومن القرب إلى الله تعالى، يقول القرضاوي: "وإذا كان الإسلام قد عُنِي بالمجتمع عمومًا، فإنه عُنِي عناية خاصة بالفئات الضعيفة فيه، وهذا سر ما نلاحظه في القرآن الكريم من تكرار الدعوة إلى الإحسان باليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب، يستوي في ذلك مكي القرآن ومدنيه"[2].

هذا هو منهج القرآن الكريم في مراعاة القيم الإنسانية وجعل الأولية لها ولو أدى ذلك إلى تأخير حصول صاحب الحق على حقه؛ لأن ذلك فضيلة نفعها يفوق الضرر الذي يحدثه تأخير حصول الدائن على حقه؛ ولأن صاحب الدين له حق ظاهر لم يحرمه القرآن من هذا الحق، لكنه دعاه إلى ما هو خير منه وما يحصل به على ثواب الأخرة الذي هو أبقى من ثواب الدنيا.

والخلاصة أن المقرِض له الحق في استرداد ماله عند انقضاء فترة الدين لما في ذلك من المنافع له شخصيًّا والتجارة في هذا المال، لكن طلبه لدينه من معسر يسبب المشقة على المعسر فدعا الشارع إلى إمهاله إلى ميسرة، وفي ذلك تقديم مصلحة عامة من مراعاة ظروف المجتمع على المصلحة الخاصة للمقرض؛ ولأن المقرض صاحب حق فإن الأمر جاء للحث

(1) مسند أحمد (548/1).

(2) فقه الزكاة، يوسف القرضاوي (1/1).

وليس للأمر اللازم.

الخاتمة:

ختامًا لهذا البحث الذي كان في تعارض المنافع الاقتصادية مع القيم والمبادئ في بعض أحكام القرآن الكريم، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

1. تقديم القرآن الكريم للقيم والمبادئ على المنافع الاقتصادية عند التعارض.
2. تحريم الربا رغم ما فيه من المنافع الاقتصادية بسبب تعارضه مع القيم والمبادئ الإسلامية التي تحافظ على حق الفقير في العيش دون استغلال لحاجته.
3. منع لعب الميسر، وشرب الخمر وبيعها والمتاجرة فيها؛ حتى ولو وجدت في ذلك مصلحة لأنها تعارض القيم والمبادئ في الحفاظ على العقل والمال وهي من الكليات الخمس.
4. تحريم الانشغال بالبيع والشراء أثناء الجمعة أو الانشغال بالأموال عن ذكر الله وعن العبادة؛ كون العبادة قيمة مقدمة على التجارة ومنافعها فالعبادة هي المهمة الأساسية للإنسان والوظيفة التي خلق لها.
5. حرم الله إكراه الجواري على البغاء حماية للمجتمع وصونًا لكرامة المرأة وتقديمها على مصلحة من يجبرهن من أجل المال.
6. حث القرآن على الزواج ودعا إليه، رغم أن فيه تكاليف مالية على الشباب، لكن ذلك من أجل إحصان أكبر عدد من الشباب والشابات ويعم العفاف المجتمع ويتمتع كل بالحلال، وعليه قدمت تلك المصلحة العامة على مصلحة الشاب الذي لا يرغب في نفقات النكاح.

أوصي في نهاية البحث:

1. أن يتحرى المسلم تقديم القيم على المنافع عند التعامل مع غيره، فنفع القيم يعم المجتمع كله.
2. بالبحث بصورة أكبر في هذا المجال.

المصادر والمراجع

القرآن العظيم.

1. ابن حنبل، أحمد، (1421هـ 2000 م). *مسند أحمد*، ط1، مؤسسة الرسالة.
2. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (1419 هـ). *تفسير القرآن العظيم*، ط1، دار الكتب العلمية: منشورات محمد علي بيضون – بيروت.
3. الأصفهاني، أبو نعيم، (1394هـ - 1974م). *حلية أولياء وطبقات الأصفياء*، السعادة: جوار محافظة مصر.
4. الألباني، محمد ناصر الدين، *صحيح وضعيف سنن الترمذي*.
5. البابرتي، جمال الدين، *العناية شرح الهداية*، دار الفكر، د. ط (69/2).
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، *صحيح البخاري*، ط1. دار طوق النجاة الطبعة: الأولى،
7. برناوي، محمد إبراهيم، (1401هـ). *خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي*، مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.
8. بن سلام، أبو عبيدة القاسم، (1400 هـ - 1980م). *الأمثال*، ط1، دار المأمون للتراث.
9. الترمذي، محمد بن عيسى، (1395 هـ - 1975 م) *سنن الترمذي*، ط2، شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر.

10. الجهني، د. أحمد بن محمد بن عايد الرفاعي، *تحريم القمار في الشريعة الإسلامية وأثره في علاج الأزمة الاقتصادية المعاصرة*، المصدر: الشاملة الذهبية

11. الجوزجاني، سعيد بن منصور، (1417 هـ - 1997 م). *التفسير من سنن أبي سعيد بن منصور*، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع.

12. الحربي، فهد بن مبارك، *آثار الربا الاقتصادية والاجتماعية*، الشاملة الذهبية.

13. الحميري، شوان بن سعيد، (1420 هـ - 1999 م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، (ت: 573هـ) المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، ط1، دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان.

14. الخراشي، *شرح مختصر خليل*، دار الفكر بيروت، د. ط.

15. الرازي، أبو حاتم، (1419 هـ). *تفسير ابن أبي حاتم*، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية.

16. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (1415 هـ- 1995م) *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت تحقيق: محمود خاطر.

17. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1418هـ)، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط2، دار الفكر المعاصر: دمشق.

18. زيدان، رغداء، *الربا وبدائله في الإسلام*، الشاملة الذهبية.

19. السيد سالم، أبو مالك كمال، (2003 م). *صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة*، المكتبة التوفيقية: القاهرة – مصر.

20. الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ). *فتح القدير*، ط1، دار الكلم الطيب:

دمشق، بيروت.

21. الطبراني، (1405 – 1985م). *المعجم الصغير*، ط1، المكتب الإسلامي، دار عمار: عمان.

22. الطبري، ابن جرير، (1420 هـ - 2000 م). *جامع البيان*، ط1، مؤسسة الرسالة.

23. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (1422 - 1428 هـ)، *الشرح الممتع على زاد المستقنع*، ط1، دار ابن الجوزي.

24. الغزالي، أبو حامد، (1413هـ - 1993م). *المستصفى*، ط1، دار الكتب العلمية.

25. القرضاوي، يوسف، *فقه الزكاة*، ط16.

26. المقدسي، ابن قدامة، (1405هـ). *المغني*، ط1، دار الفكر: بيروت.

27. المودودي، أبو الأعلى بن أحمد حسن، *الربا*، الشاملة الذهبية.

28. النووي، محي الدين، *المجموع شرح المهذب*، دار الفكر. د. ط.

29. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

30. الهيتمي، نور الدين، (1412هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر: بيروت.

31. وزارة الأوقاف السعودية، *الاقتصاد الإسلامي*، بدون بيانات.

32. وزارة الأوقاف السعودية، *القيم الإسلامية*، موقع الوزارة بدون بيانات.

الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في الواقع المدرسي

(مدارس مدينة مأرب أنموذجًا)

أ.م.د. يحيى محسن اليريمي

الأستاذ المشارك في قسم أصول التربية بكلية التربية جامعة إقليم سبأ

أمين عام الجامعة اليمنية وعميد كلية التربية الجوف سابقا،

رئيس قسم الأصول بكلية التربية بمأرب حاليًا

anasyahiaobadi12@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/05/10م تاريخ قبوله للنشر: 2023/05/24م

ملخص الدراسة:

هدف الدراسة التعرف إلى الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس مدينة مأرب، وأثر متغيرات الدراسة. استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأداة الاستبانة، بلغت العينة (252) معلمًا ومعلمة، توصلت الدراسة إلى: الموافقة المتوسطة للممارسات التسلطية في المجالات إجمالًا، وبمتوسط (3.19) مع تفاوت تلك الموافقة من مجال لآخر، حيث تصدر مجال الفعاليات المدرسية تلك المجالات، وبمتوسط (3.55) واحتل مجال علاقة المدرس بطلبته المرتبة الثانية، بمتوسط (3.06) وفي المرتبة الأخيرة جاء مجال علاقة الإدارة المدرسية بمنتسبيها، وبمتوسط (2.97). أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند قيمة (0.05) تبعا لمتغير نوع المدرسة ولصالح المدارس الحكومية، وسنوات الخبرة، ولصالح من كانت خبرتهم أكثر من عشر سنوات. بينما لا توجد فروق ذات دلالة تبعا لمتغير الجنس عند قيمة دلالة (0.25).

الكلمات المفتاحية: الممارسات التسلطية، التربية المدنية، التعليم المدرسي.

Authoritarian practices that hinder civic education in school Reality (Ma'rib city schools as a model)

Dr. Yahya Mohsen Al-Yarimi

Associate Professor, Department of Fundamentals of Education, Faculty of Education, University of Saba Region, General Secretary of Yemeni University and former Dean of the College of Education, Al-Jawf, currently Head of the Fundamentals Department of the College of Education in Marib

Received: 10/05/2023 Accepted: 24/05/2023

Study summary:

The study aimed to identify the authoritarian practices that hinder civic education in Marib city schools, and the impact of the study variables. The researcher used the descriptive approach and the questionnaire tool. The sample was (252) male and female teachers. The study found:

Moderate approval of authoritarian practices in the domains as a whole, with an average of (3.19), with that approval varying from one domain to another, as the field of school activities topped those domains, with an average (3.55) The field of teacher-student relationship ranked second. With an average of (3.06), and in the last place came the field of the school administration's relationship with its employees, with an average of (2.97). The study showed that there were statistically significant differences at the value of (0.05) according to the school type variable in favor of government schools and years of experience, and in favor of those with more than ten years of experience. While there are no significant differences according to the gender variable at significance value of (0.25).

Keywords: Authoritarian practices, civic education and school education.

مقدمة الدراسة:

يعيش المجتمع اليمني اليوم حالة من البؤس والركود، نتيجة الصراع والتنازع على السلطة، كادت تعصف به أو قاربت، وتراجعت مظاهر الحياة المدنية في جوانب الحياة المختلفة ومنها الجانب التعليمي، وتبددت الكثير من الآمال في التحول نحو الديمقراطية نتيجة إفرازات الحروب وتعثر الحل السياسي، فلم يعد هنالك رؤية وطنية مدنية جامعة لكل أبناء

اليمن، ولم يلح في الأفق حل سلمي للخروج من دوامة هذا الصراع السياسي الذي ألقى ظلاله البائسة على جوانب حياة المواطن اليمني، فقد تجاوزت الرؤى للفرقاء السياسيين الحالية الفكر الوطني الموحد إلى ما سواه من جهوية وحزبية وعنصرية ومناطقية تحت قوة السلاح، ومحاولة القضاء على الآخر، مما أدى إلى تراجع المدنية، وعاودت ثقافة السلطوية وبقوة تفرض نفسها على الفرد والمجتمع اليمني في المؤسسات الرسمية والمدنية، كون الثقافة المدنية بقيمها ومبادئها السامية هي واحدة من الثقافات التي تأثرت نتيجة انتكاسة الديمقراطية اليمنية وتغير الموازين. الجدير ذكره أن اليمن فيما ما مضى وقبل سنوات الحرب الحالية كانت قد خطت خطوات إيجابية نحو الحياة المدنية والديمقراطية – ولو نظريًّا – مع بعض التطبيقات في جزئية الجانب السياسي والجانب التعليمي وجانب مؤسسات المجتمع المدني، (فقد تعززت المشاركة الديمقراطية واتسع مجال الحريات بعد تحقق الوحدة اليمنية، ووصلت إلى آفاق أرحب كان آخرها الانتخابات على مستوى رئاسة الجمهورية) (الشعيبي، 2001،971) إذ كنا في الوقت الذي نتطلع فيه الى تحول شامل لبلدنا من مجتمع تسوده القيم القبلية والمذهبية والمناطقية والعنصرية إلى مجتمع تسوده ثقافة المؤسسية والمدنية والديمقراطية، وكنا نحلم في غرس مضامين تلك الثقافة في عقل وروح وشخصية الفرد اليمني، لينشأ جيل جديد متسلح بالعلم والوعي في ظل دولة يحكمها القانون وتسودها الحرية وتصان فيها الحقوق وتتحقق فيها العدالة وتسودها القيم المدنية، حدثت تلك الانتكاسة الديمقراطية والمدنية وحل الحرب محل السلام.

فالحياة المدنية تضعها كثيرٌ من المجتمعاتِ المتقدمة في مقدّمة مطالبها، وتجعلها من أهم أهدافها، وتسعى نحو تحقيقها، بعد أن كانت ترزح تحت وطأة الأنظمة والسياسات المتعسّفة التي جهدت في ترسيخ التسلّط ومظاهره ، لكون المدنية تؤسّس لمبادئ الحرية، والعدالة، والمساواة، والحوار الهادئ، والنقد البنّاء، كان ينبغي تطبيقها في مؤسّسات التنشئة الاجتماعية

والمدرسة واحدة من أهمّها ؛ بغية الحدّ من ظاهرة التسلّط وآثارها التي تسبّبت في وجودها السياسات التربوية الخاطئة وفلسفتها غير الدقيقة ، والقيم الثقافية السيئة التي ورثتها المجتمعات التقليدية.(الفتلاوي،2021،،87).

ومما لا شك فيه أن التربية المدرسية في هذا الصدد معنية بغرس وتنمية السلوكيات والمفاهيم التي تؤكدها الثقافة المدنية في نفوس الطلبة وبما يتناسب مع البيئة المدرسية تمهيدًا لتمثل قيمها ومبادئها وتطبيق آلياتها الحياة العامة، بناءً على العلاقة الديناميكية بين المدنية والتربية فلا مدنية بدون أن يكون لها تأصيل تربوي ولا تربية سليمة ما لم تقم على أسس وقواعد خالية من التسلط وآثار القيم التقليدية (وطفة، 1999م، 98).

ونتيجة للانتكاسة المدنية والديمقراطية في الواقع السياسي والاجتماعي، والخلل في واقع الحياة السياسية وتحولها إلى منظومة قيم يسودها التسلط والاستبداد وإذكاء الصراع وإقصاء الآخر، وبقوة السلاح، ما يلزم تتبع آثار ذلك كله على التربية المدرسية، باعتبارها المؤسسة الأكثر تأثيرًا في شخصية الفرد وواقعه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

لقد كانت هنالك الكثير من الجهود العامة في اليمن قبل الحرب والصراع القائم، إذ بذلت العديد من الجهود الرسمية والشعبية للتربية المدنية في كافة الأوساط وبمختلف الوسائل، ومن ذلك ما استحدث من قرارات تخص الشباب لتساعد على التربية المدنية في أوساطهم، كقرار إنشاء برلمان الأطفال وآخر للشباب، إلى جانب إقرار مؤسسات المدنية الموجودة في المدارس كاتحادات الطلبة والجمعيات العلمية والأدبية والنوادي والجوالات والمنظمات الشبابية المختلفة والتي يتدرب الطلبة من خلالها على ممارسة آليات وقيم الثقافة المدنية تمهيدًا

لممارستها في الحياة السياسية المدنية المنبثقة من التوجهات الجديدة والتي يجب أن تنهجها مدارسنا، كون ذلك هو مفتاح التوافق المجتمعي والتقارب الوطني للخلاص من ويلات الصراعات والحروب التي دمرت الهوية القومية واللحمة الوطنية. وهذه الدراسة هي مساهمة علمية لمحاولة سد ثغرة في مجال دراسة الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية، وهو جهد متواضع قد يسهم في التعرف على تلك الممارسات، وتقصي أبعادها للخروج بتوصيات ومقترحات من خلال تناول الموضوع على المستويين العملي والنظري، تسهم في التمهيد للتربية المدنية في مدارسنا، وهي دراسة علمية وافية تشمل الجانبين لم يتم –حسب علم الباحث – دراستها مسبقًا.

وبناء على ما سبق فإن مشكلة الدراسة تتمحور في السؤال الرئيس الآتي: ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في التعليم المدرسي بمدينة مأرب، ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

1. ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق بمجال علاقة الإدارة المدرسية بمنتسبيها؟
2. ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق مجال علاقة المدرس بطلبته؟
3. ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق بمجال الفعاليات المدرسية؟
4. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات إجابات أفراد العينة تبعا لمتغيرات: الجنس (ذكور، إناث) ونوع المدرسة (حكومي،

أهلي)، وسنوات الخبرة (أقل من عشر سنوات، أكثر من عشر سنوات)؟

أهداف الدراسة:

هدف الدراسة إجمالًا التعرف على الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في المدرسة، ويتفرع منه الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعرف على الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مجال علاقة الإدارة المدرسية بمنتسبيها.
2. التعرف على الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مجال علاقة المدرس بطلبته.
3. التعرف على الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مجال الفعاليات المدرسية.
4. التعرف على أثر متغيرات الجنس (ذكور، إناث) ونوع المدرسة (حكومي، أهلي)، وسنوات الخبرة (أقل من عشر سنوات، أكثر من عشر سنوات) على إجابات أفراد العينة.

أهمية الدراسة:

نظرًا لهذا التعثر في هذا التحول نحو المدنية في الواقع التعليمي، فإن هذه الدراسة ستساعد في الكشف عن الممارسات التسلطية في الوسط التعليمي التي تعيق التربية المدنية، ليكون ذلك إسهامًا في تصحيح المسار المدني عمومًا للارتباط الوثيق بين السلوك المدني ووظيفة التعليم. وقد تلفت هذه الدراسة انتباه مخططي المناهج والفعاليات المدرسية التعليمية لأهمية تضمين قضايا الثقافة المدنية في مناهج التعليم العام وأنشطته، وأهمية تكوين ميول إيجابية لدى المتعلمين نحو تعلمها، وتضمينها الوسائل والفعاليات المدرسية التي يرغب الطالب

في دراستها. كما أن معرفة الممارسات التسلطية المؤثرة في التربية المدنية سيفيد في توجيه نظر العاملين في الحقل التربوي إلى مراعاتها أثناء تأدية مهامهم التربوية واقتراح الضوابط المناسبة بشأن هذه العوامل مما يساعد على تأديتهم لدورهم بالصورة المطلوبة، ومما سبق ذكره تبرز أهمية الدراسة الحالية لتقصي الممارسات التسلطية في ظل الاهتمام المتزايد محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا في التربية المدنية على كل الأصعدة، لاسيما وأن التربية المدرسية هي الساحة الأولى والمجتمع المصغر الذي ينبغي أن تسود فيه قيم الثقافة المدنية ويتدرب الأفراد فيها على ممارستها لما للفعل التربوي من تأثير على النفوس.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: ستنحصر الدراسة في مواضيعها النظرية على موضوع الممارسات التسلطية التربوية المدرسية، وما يتفرع منها أو يتصل بها من أفكار رئيسة أو فرعية.

الحدود المكانية: طبقت الدراسة في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب.

الحدود الزمانية: أجريت الدراسة في العام الدراسي 2023/2022م.

التعريف الاجرائي لمصطلحات الدراسة:

- **الممارسات التسلطية:** جملة من السلوكيات السلبية التي تتقاطع مع السلوكيات الديمقراطية، والتي تضمنتها أداة الدراسة في مجالاتها والتي يمكن ملاحظتها في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب.
- **التربية المدنية:** هي منظومة قيم واتجاهات يمارسها مدرسو التعليم الأساسي والثانوي

الحكومي والأهلي بمدينة مأرب في علاقتهم مع طلابهم، تجعل المدرس راقيًا في سلوكه مع طلابه، وتدفعه إلى استنفار جهوده الطوعية في سبيل تقدم مجتمعه المدرسي ونهضة وطنه.

الدراسات السابقة:

1. دراسة: الفتلاوي ونصرالله (2021)، هدفت الدراسة إلى الوقوف على الممارسات التسلطية في المدرسة الثانوية والتي تتنافى مع التوجه الديمقراطي، استخدم الباحث المنهج الوصفي وإدارة الاستبانة التي طبقها على عينة بلغت(251) معلمًا ومعلمة، وتوصلت الدراسة إلى أنّ هناك عدالة في تطبيق القوانين التربوية على الطلبة وبنسبة (58%)، وهو إشارة إلى تطبيق مبادئ المدنية بشكل مقبول في المرحلة الثانوية ويرى المبحوثون أن النظام التعليمي يشجّع على ترسيخ القيم المدنية بين الطلبة في المدارس الثانوية وبنسبة (68.5%) ويكون له آثار إيجابية، و يرى أغلب المبحوثين أنّ التعليم الإلكتروني يعزّز مبدأ المساواة والحرية وبنسبة (41%)، بينما المناهج الدراسية تعزّزها بنسبة،(69%)، أوصت الدراسة بضرورة تخليص الطلبة من بعض مظاهر التسلّط الأُسري مثل تدخل الأسرة في اختيار الصديق، كما أكدت الدراسة أن العقاب مظهر من مظاهر التسلّط، وله آثار اجتماعية ونفسية كثيرة، كتسرّب الطلّاب من الدراسة، وشعورهم بعدم المسؤولية، والخوف والقلق، وكره التعليم.

2. دراسة: مولاي (2020)، هدفت الدراسة إلى دراسة الثقافة المدنية وعلاقتها بالهوية الوطنية والمدنية، حيث ركزت على الفعل البشري وامتدادات التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مع الإشارة إلى دور النظام

السياسي والمؤسسات السياسية التي يتم فيها تفاعل المواضيع أعلاه وعلاقته هو أيضًا بالثقافة المدنية. وانطلاقًا من ذلك سعت إلى دراسة دور الثقافة المدنية كمتغير هام في بناء الهوية الوطنية وذلك من منطلق أنها رأي سياسي عقلاني يكونه الأفراد عن مجتمعهم ودولتهم ومغمور بكثير من المشاعر، وتم سحب مقاربة الثقافة المدنية حول موضوع المدنية وإسقاطها على موضوع الهوية الوطنية، وكل ذلك تم في إطار مقارن بين دولة تونس وفرنسا من حيث التطور التاريخي للدولة والنظام السياسي في كل منهما، ومن حيث الاختلاف في بناء الهوية الوطنية ودرجة وسيرورة المدنية وعلاقة كل ذلك بتكوين الثقافة المدنية.

3. دراسة: إسماعيل وناجح(2019) هدفت الدراسة إلى الوقوف على واقع الثقافة المدنية لدى طلاب كلية التربية بجامعة سوهاج، ووضع تصورٍ مقترح لتطوير دور كليات التربية في تنمية الثقافة المدنية لدى طلابها على ضوء أهدافها، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي، كما اعتمدا الاستبانة أداة لبحثهما، وقد طبقت أداة البحث على عينة قوامها (960) طالبًا وطالبة من طلبة كلية التربية بجامعة سوهاج، واقتصر البحث على أربعة مقومات للثقافة المدنية هي: المواطنة، والعمل التطوعي، وحقوق الإنسان، والثقافة السياسية، وكان من أهم نتائج الدراسة: وعي عينة البحث ومعرفتها بمفاهيم الثقافة المدنية ومقوماتها، وامتلاكهم لبعض المهارات المدنية بدرجة كبيرة، كالقدرة على العمل داخل فريق، بينما يمتلكون مهاراتٍ مدنية أخرى بدرجة متوسطة، كالقدرة على التعبير عن القناعات، والقدرة على نقد السياسات الخاطئة، كما يمتلكون بعض المهارات المدنية بدرجةٍ ضعيفة، كالمشاركة في الانتخابات الطلابية، والتردد على إدارة الكلية بهدف مساعدة الزملاء، وفيما يتعلق

بالقيم والفضائل المدنية، فقد جاءت قيمة " رفض التمييز بين الطلاب على أسس دينية أو اجتماعية " في المرتبة الأولى، كما أوضحت نتائج الدراسة وجود اتجاهاتٍ إيجابية نحو الوطن وشعورًا بالفخر والانتماء إليه لدى معظم أفراد العينة، وفيما يتعلق بدور أعضاء هيئة التدريس في تنمية الثقافة المدنية لدى طلابهم، فقد أوضحت نتائج الدراسة أن هناك دورًا إيجابيًّا وآخر سلبيًّا في تنمية الثقافة المدنية لدى الطلبة، وبناءً على الإطار النظري للبحث، والدراسة الميدانية، ونتائج الدراسات السابقة، قدم الباحثان تصورًا مقترحًا لتطوير دور كليات التربية في تنمية الثقافة المدنية لدى طلابها على ضوء أهدافها.

4. دراسة: دغريري(2019) هدفت الدراسة إلى الكشف عن مجالات ومكونات التربية المدنية الواجب توفرها في كتب الدراسات الاجتماعية والوطنية المطورة بالمرحلة المتوسطة في ضوء متطلبات الحياة المعاصرة وطبيعة المجتمع السعودي، ومعرفة تصورات معلمي ومعلمات الدراسات الاجتماعية والوطنية بالمرحلة المتوسطة، وذلك وفقًا لأثر بعض المتغيرات الديمغرافية المستقلة، والمتمثلة بالنوع الاجتماعي والمؤهل والتخصص، والخبرة التدريسية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، والتحليلي والمسحي، وبلغ عدد العينة(317) معلمًا ومعلمة، بالمرحلة المتوسطة بجازان، واستخدمت الدراسة أداة تحليل المحتوى، واستبانة لجمع البيانات من العينة، وبعد التأكد من الثبات والصدق، طبقت الأداتان وكشفت نتائج تحليل المحتوى أن مجالات ومكونات التربية المدنية جاءت بصورة غير متوازنة وغير كافية في كتب الدراسات الاجتماعية والوطنية، وكانت أغلب النسب ضعيفة وعالية، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات، وأهمها: الاستفادة من قائمة مجالات ومكونات

التربية المدنية التي توصلت اليها الدراسة الحالية بما يضمن تضمين التربية المدنية في تلك الكتب في جميع المراحل التعليمية بشكل متوازن، ومتتابع.

5. دراسة: معتوق (2015)، هدفت الدراسة إلى التعرف على دور منهاج التربية المدنية بمرحلة التعليم الابتدائي في التكوين على المواطنة في المغرب العربي، وذلك من خلال دراسة تحليلية للأهداف المسطرة في منهاج مادة التربية المدنية للسنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من التعليم الابتدائي. وقد توصلت الدراسة إلى أن منهاج مادة التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي يسعى من خلال الكفاءات المستهدفة لسنوات التعليم الابتدائي الخمس إلى تكوين المتعلم على المواطنة في عناصرها الأربعة وهي: تنمية الهوية والانتماء لدى المتعلم، التعرف على الحقوق والواجبات، تنمية القيم المدنية والاجتماعية، وأخيرًا تنمية معارف المتعلم في المحافظة على البيئة.

6. دراسة: سعد (2015) هدفت الدراسة بوجه عام إلى التعرف على الفروق بين عينة الدراسة، وعلاقة ذلك بالتسلط التربوي بأنواعه؛ "الأسري، والمدرسي؛ وأثر ذلك على الإنجاز الدراسي. وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة؛ على عينة مكونة من 200 طالب وطالبة؛ وذلك باستخدام العينة الطبقية العشوائية؛ في ضوء مقياسي التسلط التربوي؛ والإنجاز الدراسي اللذين أُعِدَّا للدراسة. إلى جانب استخدام المنهج المقارن، وطريقة دراسة الحالة. وقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الدراسة الأربع: باختلاف النوع، وموطن الإقامة. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المستوى الاقتصادي بمستوياته " منخفض، متوسط، مرتفع"، والتسلط التربوي

بأنواعه " الأسري، المدرسي؛ وكانت الفروق في اتجاه المستوى الاقتصادي المنخفض. وجود علاقة طردية قوية بين متغيرات التسلط التربوي" الأسري، والمدرسي؛ على أفراد العينة من النوعين؛ كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط عكسي قوي بين الدرجة الكلية للتسلط "الأسري، والمدرسي وقيمة الإنجاز الدراسي. كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك متغيرين لهما قدرة تنبؤية بالإنجاز الدراسي لدى أفراد العينة الكلية؛ وهما: التسلط الأسري، وتسلط جماعة الجوار، واستبعاد متغير التسلط المدرسي لانخفاض تأثيره في المتغير التابع.

7. دراسة: أبو عواد (2015)، هدفت الدراسة إلى الكشف عن درجة الممارسات التسلطية لمديري المدارس وعلاقتها بمستوى الدافعية للإنجاز لدى معلمي المدارس الأساسية الحكومية في مديرية تربية عمان الثالثة .تكون مجتمع الدراسة من كافة معلمي ومعلمات المرحلة الأساسية الدنيا (الأول – الثالث) في مديرية التربية والتعليم لمنطقة عمان الثالثة في محافظة العاصمة عمان والبالغ عددهم (1400) معلم ومعلمة، وتكونت عينة الدراسة من (310) معلمين ومعلمات. كشفت نتائج الدراسة ما يأتي – :أن المتوسط الحسابي الكلي لدرجة الممارسات التسلطية التي يتعرض لها المعلمون والمعلمات كان بمستوى متوسط وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (5.05) في أي من أبعاد مقياس درجة الممارسات التسلطية تعزى لمتغيرات الجنس والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في أي من أبعاد مقياس مستوى الدافعية للإنجاز تعزى لمتغيري المؤهل العلمي وسنوات الخبرة، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في بعد الوقت والجهد تعزى لمتغير

الجـنس ولـصالح الذكور – .وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين درجة الممارسـات التسـلطية لمديري المدارس ومسـتوى دافعية معلميهم للإنجاز.

8. دراسـة: المقداد، والسـرحاني (2013) هدفت الدراسـة إلى بيان أثر البيئة الجامعية على الثقافة المدنية، وذلك من خلال قياس الأدوات الرئيسـة التي يتعلمها ويتفاعل معها الطلبة في المرحلة الجامعية الأولى، والتي هي بمثابة مؤثرات على تكوين الثقافة المدنية للطلبة، وتتمثل بالمناهج والفعاليات المدرسـية وإدارة الجامعة وتطبيق الأنظمة والتعليمات من جانب، والمؤثرات المتعلقة بالبرامج المتنوعة، وبالسـياسـة العامة والقيم المجتمعية للدولة الأردنية من جانب آخر. وللتعرف على ذلك، قامت الدراسـة على جزأين: نظري وتطبيقي. اسـتعراض المفردات المؤثرة حيث تم في توجهات الطلبة في تكوين ثقافتهم المدنية، واستخدام دراسة حالة ميدانية على طلبة كل من جامعة آل البيت والجامعة الأردنية اشـتملت على قياس رأي الطلبة من خلال عينة لـ (866) طالبًا وطالبة من مختلف الكليات الإنسـانية والاجتماعية والكليات العلمية في الجامعتين. وخلصـت الدراسـة إلى جملة من الاسـتنتاجات والتوصـيات الرئيسـة، يتمثل أبرزها في وجود فروق ذات دلالة إحصـائية في معظم الجوانب التي تؤثر في فكر وسـلوك الطلبة، خاصـة في الكليات الإنسـانية وبمتوسـط حسابي تراوح بين (2.25 و2.98) حسب المتوسطات الحسابية التي خضعت في استخراجها لمعاملات ثبات الاتساق الداخلي (كرونباخ ألفا). وبشكل عام كانت النتائج إيجابية، إلا أنها كانت أعلى عند طلبة الجامعة الأردنية مقارنة بجامعة آل البيت. كما أثبتت الدراسـة الفرضـية التي اسـتندت عليها بوجود علاقة إيجابية في

الوسائل العلمية والظروف العامة التي توظفها الجامعات – كمؤسسات تعليمية – وبين تنمية الثقافة المدنية لدى الطلبة والقدرة بالتالي على تفاعلهم المجتمعي.

9. دراسة: الخطيب (2010) هدفت الدراسة إلى التعرف على دور التربية المدنية في تنمية مرونة الأنا في الشخصية الفلسطينية من خلال: أولًا: تحليل مقررات التربية المدنية لمرحلة التعليم الأساسي من الصف الأول حتى الصف التاسع. ثانيًا: التعرف على دور التربية المدنية في تنمية مرونة الأنا في الشخصية الفلسطينية من خلال تطبيق مقياس مرونة الأنا على تلاميذ الصف التاسع الأساسي على عينة مقدارها 325 طالبًا وطالبة من جميع مناطق قطاع غزة. ولقد توصلت الدراسة إلى أن مقررات التربية المدنية تتضمن مفاهيم التربية الأساسية وهي (المدنية، المواطنة، حقوق الإنسان) من خلال المفاهيم والفعاليات المدرسية التي كانت مناسبة للمرحلة العمرية والمستوى التعليمي لكل صف في مرحلتي التعليم الأساسي الدنيا والعليا من الصف الأول الابتدائي حتى الصف التاسع الإعدادي، حيث تبين أن تلاميذ الصف التاسع الأساسي من الذكور والإناث من مختلف مناطق قطاع غزة كعينة للدراسة يتمتعون بمرونة كافية في الشخصية والتي كانوا قد اكتسبوها في سنوات تعليمهم السابقة بما يتناسب وطبيعة نموهم، وهذا ما يشير إلى أن تأسيس الحياة في المجتمع المدني الفلسطيني تزرع في أبنائه منذ سنوات عمرهم الأولى خاصةً في المدارس ما له دور رئيس في اكتساب وممارسة مفاهيم ومبادئ وقيم وأنشطة وسلوكيات التربية المدنية المتمثلة في المدنية والمواطنة وحقوق والإنسان.

10. دراسة Lynna J (2002)، هدفت الدراسة إلى معرفة أثر عامل السن في إدراك الطلبة لقضايا التربية المدنية، بقيمها وسلوكياتها في المؤسسات التعليمية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وطبقت أداة الاستبانة على عينة مختارة من طلبة المدارس العامة في المراحل الأولى من التعليم والمراحل المتأخرة بلغ حجم العينة (754 طالبًا وطالبة) في نيويورك بالولايات المتحدة. ومن خلال مقارنة إدراك الطلبة كبار السن والطلبة صغار السن لقضايا الحرية الشخصية وحرية الرأي الممارسة في الوسط التعليمي وعلاقتها بالتوجيهات والسياسات المركزية للعملية التعليمية، خرج الباحث بنتائج، من أهمها: أن الطلبة كبار السن يوافقون على وجود ممارسة للحرية الشخصية بنسب متفاوتة، كما يرون أنه لا تعارض بين الحرية والتوجيهات المركزية في بيئة التعليم. بينما أظهرت النتائج وبصورة قوية أنه يوجد تعارض بين الممارسة للحرية والمركزية من وجهة نظر الطلبة صغار السن، حيث أكدوا على أن هناك فجوة كبيرة بين الممارسة وما هو مدون في اللوائح والقوانين، إلى جانب وجود عراقيل توضع أمام صغار السن في ممارسة حرياتهم، بما يتناقض مع التوجهات العامة التي تدعم هذا الجانب. وأوصى الباحث بالاهتمام بالإشراف المباشر على رسم وتنفيذ التوجهات والسياسات العامة لممارسة الحرية داخل المؤسسات التعليمية؛ بما يتناسب وطبيعة الوسط التعليمي صغارًا وكبارًا، بحيث لا يوجد تعارض بين الواقع والسياسات التي تسير عليها مؤسسات التعليم.

11. دراسة Smith 1995م، هدفت الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الذي مفاده هل يعد الهدف الحقيقي للتعليم المدرسي إخراج مواطنين صالحين ومؤمنين بواجباتهم وقادرين على العمل من أجل المدنية؟ توصلت الدراسة من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس فيها إلى أنه إذا كان الأمر كذلك فلا بد من تقرير أن التعليم المدني يتطلب تعديل المناهج المدرسية بالإضافة إلى تعديل طرائق وضع هذه

المناهج موضع التنفيذ، وكذلك التقنيات التي تتفاعل بها المدارس مع المجتمعات المحلية المحيطة وذلك من أجل بناء ثقافة مدرسية تعكس مبادئ المدنية، وخلصت الدراسة إلى أنه يجب أن تتضـــافر الجهود من أجل خلق جو من التفاعل والتعاون والعمل بروح الفريق الواحد في مجتمع تسوده الثقة والمحبة ليكونوا قادرين على العمل لتطبيق مبادئ المدنية ولخلق مجتمع ديمقراطي).

علاقة الدراسات السابقة بالدراسة الحالية:

تتوافق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الهدف العام الذي يدور حول التسلط التربوي والحياة المدنية، فكل دراسة تناولته من زاوية خاصة فمثلًا دراسة سعد 2015م، تناولت التســلط التربوي بأنواعه وربطته بالإنجاز من زاوية نظرية وعملية في ظل الممارســات المدنية، واشتركت الدراستان بالمنهج والأداة واختلفتا في ميدان التطبيق مجتمع وعينة البحث. كذلك نجد دراسة سميث 1995م تختلف عن دراستنا الحالية في كونها دراسة نظرية تحليلية، تسعى لتحديد الهدف العام من التعليم وعلاقتها بالحقوق والواجبات المدنية، بينما دراستنا الحالية تطبيقية تسعى للكشف عن واقع الحياة المدنية في المدرسة وعوامل منع تطبيق قيمها ومبادئها، تتقارب معها دراسة لينا 2015، والتي تبحث عن أثر عامل السن في إدراك الطلبة لقضايا التربية المدنية، بقيمها وسلوكياتها في المؤسسات التعليمية. وتتوافقان في الموضوع مع اختلاف المنهاج ولها صلة بدراستنا الحالية في أثر المتغيرات الممارسات داخل المدرسة. كما نجد دراســة: معتوق (2015)، تناولت التربية المدنية من بعد آخر وهو تحليل المنهاج، وهي تختلف عن دراســتنا الحالية في كونها نظرية وفي بلد مختلف ومنهج مختلف كونها هدفت إلى التعرف على دور منهاج التربية المدنية بمرحلة التعليم الابتدائي في التكوين على المواطنة في المغرب العربي. بينما نجد توافقًا بين دراستنا الحالية ودراسة: المقداد، والسرحاني(2013) في

معرفة أثر البيئة التعليمية بمجالاتها المختلفة على الثقافة المدنية، واتفقتا بالمنهج والأداة، وأخيرًا نجد دراسة: أبو عواد(2015)، تقترب من دراستنا الحالية في تناول موضوع الممارسات التسلطية ولكنها تختلف عن دراستنا الحالية في كونها طبقت على مديري المدارس بالإضافة الى إضافة هدف معرفة علاقتها بمستوى الدافعية للإنجاز لدى معلمي المدارس الأساسية الحكومية في مديرية تربية عمان الثالثة، وهو ما تختلف به عن دراستنا الحالية.

لقد استفاد الباحث مما سبق من الدراسات السابقة في بلورة فكرة موضوع الدراسة الحالية والتي تدور حول الحياة المدنية والممارسات التربوية التسلطية وتأثيرها على الأولى، كما استفاد الباحث في صياغة أهداف وأسئلة الدراسة ومحاولة البحث عن اتجاه جديد لتناول الموضوع، من زاوية أخرى استفاد الباحث من الدراسات السابقة من إطارها النظري في تناول موضوع الثقافة المدنية والتربية المدنية وموضوع التسلط التربوي وآثاره، وعلاقة تأثرهما ببعض، وكذلك استطاع الباحث بناء أداة الدراسة من الإطارات النظرية للدراسات السابقة وأدواتها، في تحديد مجالات وفقرات الاستبيان بما يتناسب مع الدراسة الحالية.

الفعل التربوي طريق الانتقال إلى الثقافة المدنية:

ترى المدرسة الرأسمالية الغربية أن الثقافة هي انعكاس لفلسفة الفرد وفكره والنظرة إليه. والمدرسة الماركسية ترى أن الثقافة هي انعكاس لفلسفة المجتمع والنظرة إليه. والمدرسة الإسلامية ترى في الثقافة انعكاسًا لتصور الإسلام للفرد والمجتمع على حد سواء (هندي، 1995م، ص71). وبناء عليه فإن الثقافة المدنية نمط الفكر السائد في المجتمع المدني الذي يحدد نظرة الأفراد للحياة والإنسان والسلوك والعمل والسلطة والقانون والإدارة والاقتصاد وكذلك أساليب الحياة والعمل الجماعي والعلاقات الاجتماعية وفق موجهات القيم

والاتجاهات المدنية (فروان، 2005م، ص20). التي تؤسسها التربية عبر مؤسساتها ووسائطها بتجييش جوانبها المختلفة لنقل تلك الثقافة للأجيال عبر مناهجها ومناشطها وأساليب وسلوكيات تعامل القائمين عليها. (العبدلي، 2007م، ص57). ووفق قيم ومشاعر ومعلومات ومهارات تؤثر في توجهات الطلبة نحوها، (الشعبي، 2005م، ص35) لتشكل في الإجمال تصورات فكرية تحكم علاقات الأفراد مدنيًّا داخل نظم المؤسسات، بما يكفي لتعبئة الإرادة المجتمعية في حركة اجتماعية منظمة ومشروعة لتحقيق أهداف وطموحات المجتمع المدني (مكروم ،2004م، ص 209)، الذي يواجه القيم التقليدية السلبية ويؤكد المساواة ويفترض العقلانية وتنمية القيم الإبداعية (القصبي، 1994م، ص 66). التي تشكل سلوك الإنسان وتمكنه من المشاركة الفعالة بشكل مباشر أو غير مباشر في صنع القرارات المجتمعية وضبط سلطة الحكومة لاعتبارات المصلحة العامة وإدارة العمل الوطني سلميًّا. (القطب، 2007م، ص 317). ومن خلال الحياة المدنية يمكن تحديد أسلوب الحياة للأفراد للاسترشاد به إلى السلوك السليم، ليصل في نهاية المطاف إلى عملية إرضاء نفسي من خلال إشباع الحاجات الإنسانية (ناصر،1992م، ص131).

والثقافة المدنية بما تحويه من مبادئ وقيم هي نتيجة تراكم من الإنجازات البشرية، والتزاوج بين الثقافات قدر محتوم بسبب تقدم وسائل الاتصال وهذا بدوره يحتم الاستفادة من المنجزات الثقافية العالمية، (الوطحي، 2000م، ص220). لذلك تبرز أهمية إكساب الطلبة الثقافة المدنية في كونها تمثل مؤشرًا واضحًا لطابع التنمية السياسية المدنية والتي يحظى بها النظام السياسي ومدى تحقيق تلك التنمية وكذلك تمثل الثقافة المدنية مقياسًا لمدى الاستقرار من عدمه للنظام السياسي الموجودة فيه ومدى فاعلية ذلك النظام وإمكانيات وجود ديمقراطية من عدمها (القصبي، 1994م، ص167). حيث تعمل على تأكيد المفاهيم والقيم الأساسية

المرتبطة بالانتماء لكون ما يتولد عن الانتماء من مسؤوليات هو مصدر التزامات الفرد ومن ثم يكون القانون واحترام حريات الآخرين والعمل على تحقيق الأهداف القومية ضمانات لحركة أبناء الوطن تجاه قضايا واحدة (مكروم، 2004م، ص221-222)، ولتأسيس مجتمع مدني يلتزم بـ:

- الاطلاع على التجارب الناجحة في مجال التطبيق المدني وتحقيق الاستفادة القصوى منها.
- دعم مؤسسات المجتمع المدني وتعظيم أدوارها في إكساب المواطن خصائص السلوك المدني.
- سيادة التعليم المدني ونشره عبر أرجاء المجتمع (القطب،2007م، ص324-325).
- تعميق الوعي الاجتماعي والسياسي عند الأفراد وتبصيرهم بسلبيات القيم التسلطية.
- تثقيف الأفراد من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والتعليم والمنظمات الجماهيرية والشعبية والإرشاد والدراسة الاجتماعية لسلبية القيم التسلطية التخلفية.
- ربط التغيير بالجانب الوطني والقومي الذي يجعل من الفرد أداة في مواجهة الممارسات التسلطية السياسية والأمنية التي يواجهها المجتمع. (الطبيب، 2001م، ص 106-107).
- تهيئة المناخ الاجتماعي التربوي المدني المناسب الذي يمارس الأفراد فيه ويتعلمون كيف يكونون ديمقراطيين وهم يلعبون أدوارهم الاجتماعية المختلفة (زهران،2002م، ص198).

إن تحول المجتمعات وانتقالها إلى المدنية لا يمكن أن يحدث من دون تحول ثقافي موجه

لسلوك المواطنين في هذا الاتجاه أو بدون توافر الآليات التي يتم من خلالها تأكيد وتفعيل الممارسة المدنية، أي أنه لا يمكن السير بنجاح على طريق التطور المدني بدون النجاح في تحقيق ثورة ثقافية – لنشر ثقافة المدنية – ترسخ في المجتمع القيم التي تخدم التطور المدني وبخاصة قيم التسامح والحوار والتعاون والتنافس السلمي (القطب،2007م، ص322)، فالتعليم الرسمي بما يتضمنه من محتوى ثقافي يقدم للطلبة بالمدارس، يعد أحد وأهم أدوات تشكيل ثقافة المواطن باعتبار التربية أساس بناء ثقافة المواطنة (كيلاني، 2003م، ص29). حيث أن هناك قاسم مشترك للسلوكيات والقيم والعادات يجب أن تتوافر عند الإنسان ليصبح منتميًا لثقافة معينة... وليصبح الفرد كائنًا اجتماعيًّا عليه أن يتعلم ويقلد الأنماط والسلوكيات والقيم الخاصة بالثقافة التي يعيشها في نطاقها، وعلى هذا الأساس يكوّن الأفراد ثقافة معينة، متشابهين إلى حد ما في الكثير من الصفات والسمات المجتمعية العامة (الرشدان وجعنيني، 1994م، ص206).

وتستطيع المدرسة أن تسهم في التغير الثقافي المدني من خلال تغيير فلسفتها في المجتمع، بحيث يكون التعليم فيها من حيث الأداء وتنظيماته مدنيًّا، والإدارة وسياستها وأساليبها مدنية، والمدرسين وكفاءاتهم ونمط تعاملاتهم مدنيًّا والمناهج وأهدافها كفيلًا بتكوين المواطن المدني، بحيث تكون المدرسة قادرة بالتالي على مجاراة خطى تغيير المجتمع وعلى القيام بمسؤوليتها الإضافية في إعداد أعضاء معينين من المجتمع للقيام بدور فعال في عملية التغيير(عبود والنوري ، 1979م، ص95)، يترتب على ما سبق وظائف جديدة للمدرسة تتمثل في إحلال بعض السمات الثقافية المدنية الجديدة مكان القديمة التسلطية أو إضافة الجديدة إلى القديمة ويوجد بينهما تعايش أو التوفيق بينهما ليشكل نسقًا جديدًا من الثقافة فيحصل ما يسمى بالتجديد وهو التوصل إلى بناءات ثقافية مدنية جديدة (الرشدان وجعنيني ، 1994م

،ص 207)، كونها تتطلب مجتمعًا متعلمًا مثقفًا... قادرًا على تقبل التغيير والاتجاهات السياسية التي تقتضيها ظروف وطنه ومجتمعه (ابراهيم، 2006م، ص330).

آثار الممارسات التسلطية على الفرد والتربية المدنية:

تسعى التربية المدنية إلى تنمية القيم المحفِّزة للسلام الاجتماعي والتسامح وقبول الآخر، واحترام القانون والنظام، وتحقيق العدالة، والرقي في التعامل الإنساني، وتعزيز المواطنة المتساوية، دون النظر إلى الأصل والقبيلة والدين والمذهب، وهذه القيم أصيلة وعريقة في الكتاب الكريم، تجسِّدها الآيات: "وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن"، و"وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا"، و"ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم."(سعد،2015،ص125)، وهي تتواكب مع الاتجاهات التربوية الحديثة التي تؤكد على أهمية بناء الشخصية الإنسانية السوية من خلال احترام شخصيات الطلبة وصون كرامتهم، والابتعاد عن أسلوب القهر والتعسف، والدكتاتورية الذي يذهب جمال النفس، ونقاءها، وصفاءها ويوفر عند الأفراد الاستعداد للمكر، والخداع، والكذب، والأنانية، والكبر والكثير من الآفات(، ,89.P.Alexander L. 2003) وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون " ومن كان مرباه بالعسف والقهر من الذكور أو المماليك أو الخدم سيطر عليه القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة، لذلك صارت له عادة وخلقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عالة على غيره، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت

عن غايتها، ومدى إنسانيتها فارتكست وعادت في أسفل السافلين " (ابن خلدون ،2001، 617). لذلك تسعى التربية المدنية في المدرسة إلى:

- تكوين الوعي الاجتماعي بالنظام المدني ومبادئه وأهدافه وقيمة وطموحاته وأدواته.
- تحويل الأفكار والمبادئ المدنية إلى سلوكيات واقعية تجسد الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتستأصل الاحتكار والنفاق ومحاولات الظهور على حساب الغير.
- تقمص حركة الواقع السياسي في إطار المدرسة من عمليات اختيار القيادات وتنظيم حرية العمل الحزبي وعمليات تداول السلطة وإعلاء روح التعددية. (القصبي، 1994م، ص167).

إن المؤسسات التربوية والتعليمة وفي مقدمتها المدرسة، وهي تؤدي رسالتها الإنسانية والمدنية لا شك أنه قد ترافق أدوارها بعض الممارسات التسلطية نتيجة لخبرات وعوامل مختلفة، خاصة وأن الثقافة المدنية تناهض التسلط والاستقواء وإهدار كرامة الانسان، الأمر الذي يتعارض مع المصالح الضيقة سواء كانت شخصية أو فئوية، وبرؤية متفحصة لواقع مؤسساتنا التربوية ومنها مدارسنا نجد أنها تعاني من: الخبرات التربوية التقليدية السابقة لبعض القائمين على المؤسسات التربوية في إطار الأسرة أو المؤسسة التعليمية التي تخرج منها، حيث أن الفرد يكتسب شرعية التسلط نتيجة تلك الخبرة والتي أصبحت كقيمة لا يستطيع الانفكاك عنها. (وطفة، 1999م، ص53). يتضح ذلك من خلال ممارسات تتنافى مع الأهداف المدنية للمؤسسة لاعتقادهم بأن المدنية في تلك المؤسسات عمل مظهري مضيع للوقت والمال، وكل ذلك ناتج عن افتقار رؤية القائمين على تلك الإدارة للدور المدني للمؤسسة مما يترتب على ذلك مضايقتها للمدرسين والطلبة ذوي التوجه السياسي المدني. كما نجد اهتمام القائمين على تلك الإدارات مهتمين بالتركيز على الجانب الأكاديمي وجعل وقت الدرس محصورًا في

المعلومة المجردة ولا توجد مساحة كافية لممارسة أو تعليم السلوك المتعلق بقيم الثقافة المدنية. وكل هذا يتنافى مع أبعاد التربية المدنية التي تؤكد على:

- تنمية القيم الإبداعية والتزام الأسلوب العلمي.
- تحقيق المساواة وإتاحة المشاركة بغض النظر عن الاختلافات العقائدية أو الدينية أو السلالية.
- مواجهة القيم والاتجاهات التسلطية القائمة على الإذعان والتقوقع والبعد عن الموضوعية والاهتمام بالمظهرية وبالنشاط الشفهي أكثر من العمل الجاد. (القصبي، 1994م، 49).

فهنالك الكثير من المشكلات التي تؤثر في التربية المدنية إذ نجد الخلافات السياسية على الساحة العامة تنعكس سلبًا على مجتمع المدرسة، مما يترتب على ذلك وجود تداخل بين العمل التربوي والسياسي، فتنصرف الأنظار نحو المماحكات الحزبية بدلًا من القيام بتنشئة الأفراد على القيم التي تؤلف وتجمع وتجسد الوحدة الوطنية، يرجع ذلك للاعتقاد الخاطئ عند بعض المدرسين بأن التربية المدنية تقع خارج نطاق عملهم ومسؤولياتهم التدريسية، كما قد يكون ذلك نتيجة قلة وعي المدرس بالنظريات التربوية الحديثة والخبرات التربوية السلبية السابقة التي تعرض لها المدرس في إطار الأسرة أو المؤسسة التعليمية التي تخرج منها، حيث اكتسب منها شرعية التسلط وأثرت على سلوكه الحالي. يؤكد الباحثون أن السلوك المدني يتسم بالمشاركة الاجتماعية الجادة والاجتهاد في فهم مشاعر الآخرين ومراعاة اهتماماتهم وتقبل الفرد للآخرين على أنهم متساوون معه، فإذا أردنا أن يسود السلوك المدني بخصائصه المختلفة في ثقافتنا، أي يصبح جزءًا من قيمنا واتجاهاتنا وتفكيرنا كأفراد يجب أن نبدأ بتعليم أبنائنا هذه الخصائص في الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام، ويكون للمقرر أو

المنهاج المدرسي دور في محتواه وخاصة التربية الوطنية والاجتماعية، وأن نكون قدوة لهم في ذلك، وسوف يسلك معظم الأفراد في الأجيال القادمة من مجتمعنا بعد ذلك سلوكًا مدنيًّا (تركي، 1995م، ص117). فالمقرر الدراسي يعد الركيزة الأساس التي تقوم عليها العملية التربوية والرابط الحقيقي بين المدرس وطلبته أو بين مكونات العملية التربوية وهي تلعب دورًا أساسيًّا في نشر الفكر وغرس المفاهيم والتمهيد لأي سياسة تريد أن تنتهجها الدولة، وهو يحدد الصورة المستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه شخصيات الأفراد، وبناءً عليه فإن المحتوى الذي تدور أهدافه حول الكم المعرفي فقط ويهمل تنمية شخصية الطلبة وبناء قدراتهم ومهاراتهم ويدور حول فلك الحفظ والتلقين من قبل المدرس والتلقي من قبل الطالب، تجعل منه سلبيًّا والمدرس فعالًا، يعتمد الطالب التبعية لمدرسه دون إعمال عقله أو حضور شخصيته أو مشاركته في صنع المحتوى أو تعلمه، كل ذلك يكرس السلطات بيد المدرس ويفتح بابًا للممارسات التسلطية من قبل المدرس فتقتل القدرات الخلاقة والإبداعية لدى الطلبة، ويجعلهم غير قادرين على الاضطلاع بتحمل المسئولية والقدرة على القيادة وحل مشكلاتهم مستقبلًا(الرشدان، وجعنيني، 1994،ص 195)، فإغفال محتوى المناهج وطرق التدريس الحالية للمفاهيم والأفكار والقيم والاتجاهات المرتبطة بالثقافة المدنية وخلو أهدافها من الإشارة إلى نشر تلك الثقافة بالطبع سيكون له أثر سلبي على مستقبل المدنية (Kahne, J., & Sporte, S. (2008).)، إذ يخلو مضمون تلك المقررات من المعرفة المدنية واعتماد تصميمها على أساس تقليدي قائم على التلقين والتحفيظ بحيث إنه لا مجال لاستخدام الأساليب المدنية في التدريس، والتي أيدتها النظريات التربوية الحديثة، قد يؤدي إلى نكوص في عملية التربية المدنية، يلاحظ ذلك من خلال عزوف الطلبة عن المشاركة في الفعاليات المدرسية، لانشغالهم بالمقررات الأكاديمية التقليدية، لأن الطالب كثيرًا ما يرتبط أداؤه بما يحويه

معيار تقويم المدرس وهو الكم المعرفي فقط، وطالما أنه لا مجال أيضًا لمفردات الثقافة المدنية في اهتمام المدرس وتقويمه.

إن التربية المتسلطة ينتج عنها خصائص سلبية أهمها التبعية والميل إلى العزلة والإحباط والاضطرابات الانفعالية والجمود السلبي والتوافقية والعداوة والإحساس بالقلق والحزن (وطفة ، 1999م ، ص70 -71)، فما أبعد الناس المغصوبة إرادتهم والمغلولة أيديهم عن توجيه الفكر إلى مقصد مفيد أو توجيه الجسم إلى عمل نافع ....، فالاستبداد يضطر الناس إلى إباحة الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل ومراغمة الحس وإماتة النفس (الكواكبي ، 1993م ، ص105)، فغالبًا ما تؤدي التنشئة المعتمدة لأسلوب التسلط في تربيتها إلى نتائج بالغة الخطورة على شخصية الفرد في حياته الاجتماعية، فتجعلها تألف الخنوع والاستكانة لأنها لا بد أن تكرر ما يلقى عليها دون إضافة أو تعديل، فهي تتعايش مع الجبن والخوف حتى تمدنه، ومن ثم تتعود السلبية والاتكالية لأن وظيفتها أصبحت هي التلقي كجهاز استقبال بذلك أضحت الأنانية تحكمها وتدور حول ذاتها، وشخصيات كهذه لا تعرف موضوعًا للإبداع والابتكار وإنما هي في الواقع أداة المستبد لترسيخ واقع القهر(عبود، والنوري 1979م، ص 13). وينتج عن ذلك كله:

- تكوين شخصية يعتريها الخوف الدائم تؤدي إلى وجود إنسان غير سوي يعتريه الخجل والخوف في كل الأحوال ويشعر بعدم الكفاءة وغير واثق من نفسه، ويجسد في كثير من الأحوال شخصية ليس لها القدرة على التمتع بالحياة والتأثير فيها على نحو إيجابي.
- تؤدي الأساليب التسلطية في التربية إلى بناء شخصية انطوائية انسيابية توجه عدوانها

نحو ذاتها، فهؤلاء يفتقرون إلى الأمان ويرهبون الكبار ويشـــكون في قدراتهم ويرهبون الأنظار التي تقع عليهم لأنهم يشعرون دائمًا بمشاعر الخزي والعار، وذلك يقتل كل المشاعر الإنسانية النبيلة.

- وكذلك يترتب على الإفراط في استخدام التسلط بناء شخصية متمردة خارجة على قواعد السلوك وعلى كل قانون وسلطة طلبًا لتفجير مكبوتات القهر والمعاناة الناجمة عما تعرضت أو تتعرض له من ضروب القسوة.
- ومن غير أدنى شك يمكن القول بأن التسلط التربوي ينمي في الشخصية قيم البغضاء والضـــغينة والتســـلط والتصـــلب والجمود والكراهية والقلق والخجل والاضـــطراب والإثم وفقدان القدرة على التكيف والاتكالية وروح الانهزام.

ومن الانعكاسات الخطيرة على حياة الأجيال أن التسلط التربوي كثيرًا ما ينتج جيلًا ضعيفًا ومحبطًا لا يقوى على مواجهة المشكلات والممارسات التسلطية التي تواجهه، ناهيك عن قدرته على تحقيق المنجزات، والشخصية التي تنجم عن فعل التسلط تتميز بالقدرة الكبيرة على الطاعة والخضوع والتنفيذ والاستسلام وتعاني ضعفًا واضحًا في القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وفي القدرة على المساءلة و المناقشة والنقد والتمحيص والتنقيب والموازنة بين الأشـياء (وطفة، 1999م ، ص59)، إذ تنتهي في الغالب التربية التســلطية إلى إيجاد إنســان خانع يتجنب القهر والقوة والأذى عن خبث أحيانًا وعن إحساس بالضعف أحيانًا أخرى، وهو بالتالي لا يعترض بل ينتقم عندما تسنح له الفرصة بأسلوب المراوغة فالتربية المتسلطة ينتج عنها عقدة النقص والخصاء الذهني وعقدة الإهمال وعقدة المنافسة وعقدة الذنب وعقدة فقدان الأمن والاتجاه التســـلطي في التربية يمكنه أن يفســـر مختلف مظاهر الاضـــطرابات والأمراض النفسية.

إجراءات الدراسة:

منهجية الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي باعتباره المنهج المناسب لمثل هذه الدراسات ويتلاءم مع أهداف الدراسة وأدواتها، وهو من أكثر المناهج استخدامًا في التربية وعلم النفس.

مجتمع الدراسة: هم كافة المدرسين والمدرسات العاملين في المرحلة الأساسية والثانوية في مدارس التعليم العام بمدينة مأرب والذي يقدر عددهم بـــ(1460) معلمًا ومعلمة، منهم (580) معلمة، و(880) معلمًا، بحسب البيانات التي حصل عليها الباحث من مدير التعليم بمكتب التربية بمدينة مأرب، وتم اختيار مدينة مأرب كونها محل إقامة الباحث وعمله، لاسيما وقد أصبحت بسبب الحرب تجمعًا سكانيًّا يمثل كافة المناطق والشرائح والفئات الاجتماعية لمحافظات الجمهورية وهي المكان الأكثر حراكًا في الفترة الحاضرة.

عينة الدراسة: ولاختيار عينة الدراسة من إجمالي عدد المدرسين والمدرسات ووفق متغيرات الدراسة في المدارس التي تم تحديدها بعشرين في المائة من إجمالي أفراد المجتمع الأصلي وعن طريق القرعة تم اختيار مدرسة (الميثاق، والشهيد محمد هايل، ومدرسة صفية، وبلقيس وخديجة، والوحدة) وبطريقة عشوائية تم اختيار عينة الدراسة 20% وبعد استبعاد الاستبانات غير الصحيحة تبقى 252 استبانة أي ما نسبته 17% من إجمالي أفراد المجتمع وبحسب الجدول رقم (1):

جدول رقم (1) يوضح أعداد أفراد المجتمع والعينة

المتغيرات	الجنس		نوع المدرسة		الإجمالي	النسبة
	ذكور	إناث	أهلي	حكومي		
عدد أفراد المجتمع	880	580	478	982	1460	%100
عدد أفراد العينة	133	119	121	131	252	%17

أداة الدراسة: تم استخدام أداة الاستبانة باعتبارها الأداة الأكثر استعمالًا في الدراسات الوصفية الإنسانية، لما توفره من وقت وجهد مع الحصول على معلومات مباشرة، وبحرية تامة للمبحوث، وقد قام الباحث بتصميمها وفق الخطوات العلمية بحيث تم تقسيمها إلى قسمين: القسم الأول يتضمن المعلومات المطلوبة من المبحوث. والقسم الثاني تضمن محاور الدراسة وفقراتها المعبرة عن الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية. ولتوخي الدقة والموضوعية في وصف نتائج الاستبانة كما بينتها المتوسطات الحسابية قام الباحث بإيجاد القيم الحسابية الفعلية للخيارات المتاحة للمبحوثين وفقا لمقياس ليكرت الرباعي والمحددة (4 – 3 –2 –1). حيث تم إيجاد المدى بين الخيارات من خلال إيجاد المدى بين أعلى درجة وأقل درجة (4-1=3) وقسمة الناتج على أعلى درجة (4/3=0.75) وبذلك أصبح طول كل مستوى. 75. فيصبح كل مستوى على النحو الآتي:

المستوى الأول: المدى من (1) إلى أقل من (1.75).

المستوى الثاني: المدى من (1.75) إلى أقل من (2.5).

المستوى الثالث: المدى من (2.5) إلى أقل من (3.25).

المستوى الرابع: المدى من (3.25) إلى أقل من (4).

– تم حساب المتوسط من خلال حساب مجموع البدائل (4+3+2+1) وقسمتها على عددها (4) وكان المتوسط (2.5).

صدق الأداة: للتأكد من صلاحية الأداة قام الباحث بإعدادها و عرضها على مجموعة من الخبراء، وقد كانت أبرز ملاحظاتهم: فيما يتعلق بمجالات الاستبانة رأى الأساتذة المحكمون استبدال مجال الإمكانات البشرية بمجال الفعاليات المدرسية الصفية واللاصفية، وتم دمج مجال طرق التدريس بمجال المنهج وإعادة تسمية المحور بالمقررات الدراسية وأساليب تدريسها، كما تم إضافة اسم المدرسة إلى جانب الإدارة، وبذلك صار اسم المجال الأول الإدارة المدرسية، وإلغاء المجال الخامس المنهج الخفي، وأصبحت مجالات الاستبانة تتمحور في(الإدارة المدرسية، علاقة المدرس بطلبته، المقررات الدراسية وأساليب تدريسها، الفعاليات المدرسية الصفية واللاصفية). كما وضعت العديد من الملاحظات فيما يتعلق بمفردات كل مجال حيث تم نقل بعضها من مجال إلى آخر وتعديل بعضها الآخر. كما تم استبعاد بعض العبارات والجمل والكلمات من الاستبانة واستبدالها بأخرى مناسبة، ومن ثم إعادة الصياغة إجمالًا بما يتناسب مع التعديل والمقترحات. وللتأكد من **ثبات الأداة** تم اختيار خمسين فردًا من العينة وحساب معامل الثبات وفقا لمعادلة كرنباخ الفا لحساب الثبات، وبلغ ثبات محور الجنس (.82) ومحور ثبات محور نوع المدرسة (.78)، وثبات محور سنوات الخبرة (.80)، وإجمالًا كان ثبات الاستبيان (.80) وهذه القيم مقبولة وجيدة، وتؤكد أن معامل الثبات عالٍ ومناسب لتطبيق الأداة على أفراد العينة لمعرفة الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية والتي تضمنتها فقرات الاستبيان.

الأساليب الإحصائية:

استخدم الباحث برنامج SPSS لإجراء المعالجات الإحصائية مستخدمًا المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة آراء أفراد العينة حول فقرات الاستبانة، والاختبار التائي، واختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق الاحصائية تبعا لمتغيرات الدراسة، وقبلها استخدم الباحث معادلة كرونباخ الفا لمعرفة ثبات الاستبانة.

نتائج الدراسة وتوصياتها:

نتائج سؤال الدراسة العام: والذي ينص على: ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب؟

والمتضمن معرفة أبرز الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في المدرسة، وللإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات الدراسة كما هو موضح في الجدول رقم (2) لإعطاء صورة إجمالية عن درجة الموافقة، ومن ثم تم استخراجها على مستوى كل فقرة في المجالات الأربعة كل على حدة.

جدول رقم (2) يوضح آراء العينة حول مجالات الاستبانة

مجالات الدراسة	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
الفعاليات المدرسية	3.55	0.56	1
علاقة المدرس بطلبته	3.06	0.47	2
علاقة الإدارة المدرسية بمنتسبيها	2.97	0.69	3
الاستبانة ككل	3.19	0.38	

يلاحظ من خلال الجدول رقم (2) ارتفاع نسبة آراء العينة بالموافقة وبدرجة كبيرة على محاور الاستبانة بمتوسط (3.19)، إذ تصدر محور (الفعاليات المدرسية) بقية محاور الاستبانة بمتوسط (3.55)، بينما جاء محور (علاقة المدرس بطلبته) في المرتبة الثانية بمتوسط (3.06)، وفي المرتبة الأخيرة جاء محور (علاقة الإدارة بالمكونات المدرسية) وبمتوسط (2.97). ويفسر الباحث الموافقة المرتفعة لنسبة التسلط المدرسي المعيق للتربية المدنية إجمالًا إلى الخبرات التربوية التسلطية المسيطرة على مكونات العملية التعليمية داخل المدرسة، إذ لا يزال المناخ المدرسي متأثرًا بدرجة كبيرة بالقيم التسلطية الموروثة عن الحياة المجتمعية العامة، والتي شملت الإدارة ومدرسيها وفعالياتها المختلفة، مما قد يشكل عائقًا كبيرًا أمام محاولة نشر الثقافة المدنية وقيمها الحضارية.

وبتحليل تلك النتائج يتضح أن الموافقة على الممارسات التسلطية المتعلقة بمجال الفعاليات المدرسية تصدرت قائمة المجالات المعيقة للتربية المدنية بما له من تأثير على جوانب الحياة المدرسية ورسم السياسة العامة لها، فالنشاط هو محور الحياة المدرسية سواء كان نشاطًا طلابيًّا أو إداريًّا أو يتعلق بالمدرسين أو بالحياة الثقافية العامة، فمن خلاله ترتسم صورة الحياة المدنية داخل المدرسة، وتترسخ الأفكار في العقول وتكتسب المهارات المدنية من خلاله، وهذا مؤشر على أهمية الاعتماد على جانب الفعاليات المدرسية أكثر من غيره في نشر ثقافة المدنية قيمًا وآليات، لكونها مجالًا عمليًّا تشد الطالب إليها وتشوقه للتفاعل معها، لذلك نجد مؤشرات التسلط مسيطرة سيطرة كبيرة عليه، وبالتأمل إلى الممارسات التسلطية في محور علاقة الإدارة المدرسية بمكوناتها وورودها في آخر المجالات يرجع ذلك الباحث إلى أن الإدارات المدرسية قد تكون فعلًا أفضل إلى حد ما في الوعي بالتربية المدنية، أو أن تأثيرها سلبي على إجابات المدرسين مما جعلهم يعطون الإدارة أقل درجة من التسلط خوفًا من ردود الفعل.

وللإجابة عن الأسئلة الفرعية للدراسة تم حساب المتوسط الحسابي والانحرافات المعيارية لفقرات كل مجال على حدة وكانت النتائج على النحو الآتي:

نتائج الدراسة المتصلة بالسؤال الذي ينص على ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق بمجال الفعاليات المدرسية؟

جدول رقم (3) يوضح آراء العينة حول الممارسات التسلطية في مجال الفعاليات المدرسية

م	الممارسات التسلطية المتعلقة بالفعاليات المدرسية	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
24	ضعف الحوافز والإمكانات لتفعيل الفعاليات المدرسية المدنية.	3.87	0.87	1
33	إضفاء الصبغة الحزبية على الفعاليات المدرسية وفق توجه الإدارة	3.80	0.91	2
30	فرض فعاليات سياسية موجهه وفق توجه إدارة المدرسة	3.75	0.81	3
34	الروتين الممل للأنشطة التقليدية المدرسية التي لا تحفز منتسبي المدرسة ولا تنمي قدراتهم.	3.71	0.85	4
23	عدم تكافؤ الفرص أمام منتسبي المدرسة لإبراز قدراتهم، وحصرها في أفراد معينين.	3.59	0.71	5
28	توجه المدرسة نحو أنشطة شكلية لا تنمي القدرات الذاتية لمنتسبي المدرسة.	3.58	0.61	6

م	الممارسات التسلطية المتعلقة بالفعاليات المدرسية	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
32	الحد من الفعاليات المدرسية الديمقراطية واعتبارها مضيعة للوقت والمال والوقت.	3.44	0.80	7
29	منع منتسبي المدرسة من تكوين النقابات التي تمثلهم.	3.42	0.58	8
26	إلغاء الانتخابات والتصويت واعتماد التعيين.	3.41	0.82	9
27	ندرة الفعاليات المدرسية التي تشجع الثقافة المدنية والتركيز على تلميع ذوات بعض قيادة المدرسة.	3.38	0.75	10
31	الفعاليات لا تثير المنافسة التي تلبي وجهة نظر الطلبة المدرسين والاداريين وحاجاتهم ومواقفهم	3.38	0.78	11
25	محتوى الفعاليات يحقق أغراض شخصية ولا يؤكد على الهوية الوطنية وقيم المجتمع المدني.	3.33	0.85	12
	المتوسط العام لكافة فقرات المحور	3.55	0.56	

يتضح من خلال الجدول رقم (3) أن المتوسط العام لمجال الفعاليات المدرسية (3.55) وهو يشير إلى موافقة أفراد العينة على فقرات المجال المتضمنة الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مجال الفعاليات المدرسية وبدرجة كبيرة، ما يعني أن المدرسة لا تزال تسيطر على أنشطتها النمطية السائدة للثقافة الاستبدادية والتي تعكس وضع المجتمع العام الذي يعتبر المجتمع المدرسي صورة مصغرة له، وهي نسبة عالية يقر فيها أفراد العينة موافقتهم على أن ما لمسوه أو ما ارتأوه من خلال عملهم التربوي أن تفاعل الطالب يلعب دورًا كبيرًا

في التربية المدنية لأنه ومن غير المعقول أن يكون المقصود بعملية التربية في منأى عن هذه العملية الموجهة نحوه، وبالضرورة لابد من جذب أنظار الطلبة واهتماماتهم نحو هذه المفاهيم

والسلوكيات الجديدة وبالسبل الكفيلة باستمالتهم، ويرجع الباحث أسباب ذلك العزوف إلى انصراف المدرس للمقرر الدراسي الظاهر فحسب وشغل كل وقت الطلاب في هذا الجانب، وقد يكون هذا مرتبطًا بسياسة معظم المدارس التي نهجت على مخاطبة المدرس بالقيام بمهمة التدريس وكرست هذه السياسة في جميع الأحوال والظروف والمناشط.

تصدر المجال الفقرة (ضعف الحوافز المادية والمعنوية لتفعيل الفعاليات المدرسية المدنية.) بمتوسط (3.87) ويفسر الباحث هذه الموافقة الكبيرة لهذه الفقرة أن الاتجاه السائد في المدرسة لا يزال ينظر إلى النشاط المدرسي كشيء ثانوي مع أنه العامل المهم في تنمية شخصية الطلبة وتنمية مهاراتهم العلمية والمدنية، لذلك ونتيجة لسيطرة القيم الإدارية التسلطية في المدرسة فإنها لا تعطيه أولوية مادية، ولا حتى أهمية معنوية لدعمه وتفعيله. وهي أعلى نسبة بين فقرات الاستبانة بشكل عام ويدل ذلك على أهمية العامل المادي والنفسي في القيام بالفعاليات المدرسية واستمرارها وبوتيرة عالية وتفاعل جاد من قبل الطلبة والقائمين على تلك الفعاليات المدرسية، وهذه المشكلة قائمة بذاتها في كافة مجالات الفعاليات المدرسية وخاصة فيما يتعلق بالتثقيف المدني والذي يتطلب أعباء وتكاليف مالية إضافية لإجراء الفعاليات المتعقلة به كالانتخابات والاستفتاءات وتغطية نفقات مؤسسات المدنية كالاتحادات والجمعيات والمنشورات الإعلامية المتنوعة، ويرجع الباحث ارتفاع نسبة المؤيدين من عينة الدراسة على هذا البند إلى إغفال معظم الإدارات المدرسية أثناء وضع الخطة المالية للنشاط وإسقاطه من قائمة الموازنة المالية نظرًا لعدم ورودها بشكل صريح في سياسة الوزارة ولوائحها، وإن أقرت ميزانية لهذا الجانب فتوظف في جوانب ومصارف أخرى لا تخدم النشاط مما يعود بذلك سلبًا على مجريات الفعاليات المدرسية فضلًا عن وجودها من عدمها وهذا ما لمسه أفراد العينة وعايشوه في مدارسهم وهو من أقوى العوامل المؤثرة على مجريات الحياة المدرسية .

بينما نجد أن الموافقة كانت أقل أهمية في الفقرة (محتوى الفعاليات يحقق أغراض شخصية ولا يؤكد على الهوية الوطنية وقيم المجتمع المدني) وبمتوسط (3.33) ويفسر الباحث قلة أهمية هذه الفقرة لدى أفراد العينة لقلة ممارسة هذا السلوك التسلطي في الوسط العام المدرسي وربما كان هنالك تحيز باعتبار المدرسين مكون من مكونات المجتمع المدرسي لذلك ينظرون إلى أنفسهم أنهم لا يمارسون هذا السلوك بدرجة كبيرة، ومن جانب آخر فإن المصالح الشخصية لا تظهر لكافة العاملين في المدرسة.

نتائج الدراسة المتصلة بالسؤال الذي ينص على ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق بمجال علاقة الإدارة المدرسية بمنتسبيها؟

جدول رقم (4) يوضح آراء العينة حول الممارسات التسلطية في مجال علاقة الإدارة بمنتسبيها

	الممارسات التسلطية في مجال علاقة الإدارة بمنتسبيها	المتوسط	الانحراف	الترتيب
1	تدخل الإدارة في فرض جوانب حزبية أو شخصية على المدرسين والطلبة مخالفة لمبادئ التربية المدنية.	3.89	0.77	1
4	المركزية الشديدة لدى مدير المدرسة واتخاذه القرارات بصورة فردية.	3.33	0.98	2
2	ضعف ثقة الإدارة المدرسية بقدرات المدرسين والطلبة في إدارة أنشطتهم وتمثيل أنفسهم في المكونات المدرسية.	3.22	0.88	3
7	تعامل الإدارة المدرسية مع مجالس الآباء بسطحية وشكلية وعدم إشراكه في صنع القرارات المهمة للمدرسة.	3.11	0.85	4
3	مضايقة الإدارة للمدرسين والطلبة الناشطين في الجانب الحقوقي.	2.84	1.55	5

	الممارسات التسلطية في مجال علاقة الإدارة بمنتسبيها	المتوسط	الانحراف	الترتيب
5	تمنع الإدارة تكوين كيانات نقابية لاعتقادها بأنها مصادر للفوضى.	2.82	1.33	6
10	تركيز الإدارة على الواجبات في ظل غياب الاهتمام بالحقوق.	2.80	1.12	7
9	لا تراعي الإدارة كرامة المدرس وإنسانيته عند حاجته.	2.77	1.91	8
8	تستخدم الإدارة أسلوب التعيين وتصادر حقهم في الانتخاب.	2.54	0.94	9
6	تثير الإدارة الصراعات بين منتسبي المدرسة لضمان السيطرة.	2.44	1.28	10
	المتوسط العام لكافة فقرات المحور	2.97	0.69	

في الجدول رقم (4) تشير نتائج مجال علاقة الإدارة بالمكونات المدرسية إلى الموافقة المتوسطة على تلك الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في هذا المجال وبمتوسط (2.97) وهو المجال الأقل أهمية في الموافقة من قبل أفراد العينة ويفسر الباحث ذلك بأن الإدارة المدرسية أقل ممارسة للتسلط في علاقتها مع مكونات العمل المدرسي بحساسية الإجابة على الاستبانة من قبل المدرسين نتيجة الخوف الشائع في الوسط المدرسي لردة فعل الإدارة في حال معرفتها بإجابات المدرسين على فقرات الاستبانة وتقصدهم بالإيذاء، يستشف ذلك من خلال اعتذار البعض عن الإجابة عن الاستبانة لهذا التخوف. تصدر فقرات المجال الفقرة (تدخل الإدارة في فرض جوانب حزبية أو شخصية على المدرسين والطلبة مخالفة لمبادئ التربية المدنية). وبمتوسط (3.89)، ويفسر الباحث الأهمية العالية لهذه الموافقة لدى العينة إلى تأثير هذا السلوك التسلطي على نواحي الحياة المدنية داخل المدرسة، وبالأخص على العاملين والقائمين على العملية التربوية التي ستكون مخرجاتها الأجيال التي نطمح أن تعيش الحياة المدنية وتطبق مبادئها بعد أن تربت عليها في مدارسها، فالاستبداد والفرض يعتبر من العوائق الكبيرة أمام القيم المدنية التي تعلي من شأن الموضوعية والقانون وتكافؤ الفرص والتأكيد على

الحقوق والواجبات في ظل التفاهم والاقتناع الذي يشكل مجتمعًا منسجمًا واعيًا غير متعصب أو لديه أثارة من حسد أو حقد نتيجة الفرض والولاء الشخصي والحزبي، ويترتب على ذلك أن تغير الإدارة المدرسية من سياساتها الإدارية التقليدية والتي منها الفرض والإجبار والتبعية إلى الآليات والإجراءات الديمقراطية من خلال تشجيع ودعم التوجه المدني ينما كانت آخر فقرة في المجال في الأهمية فقرة (تثير الإدارة الصراعات بين منتسبي المدرسة لضمان السيطرة.) وبمتوسط (2.44) ويفسر الباحث ذلك إلى تأثير العامل الأخلاقي الإسلامي على الجو السائد في التفكير اليمني، القائم على ضبط العلاقة بين الأفراد بالحسنى والبعد عن إثارة الصراعات والأحقاد أو التجسس عليهم، ومن هذا المنطلق رأى أفراد العينة أن هذا السلوك مظهر من مظاهر التسلط غير الشائع، مع تحفظ بعضهم على جملة استخدام الأسلوب الأمني، بحسب ملاحظاتهم في الاستبانات. وبالنظر إلى بقية الفقرات في إجابة أفراد العينة نجدها ما بين الموافقة الكبيرة والمتوسطة على المظاهر التسلطية في مجال علاقة الإدارة بالمكونات المدرسية والتي شملت السلوك التسلطي المتمثل بالمركزية الشديدة وضعف الثقة بقدرات أفراد المجتمع المدرسي، ومحاربة الكيانات النقابية المدنية والعمل على شكلية الكيانات المدرسية مثل النقابات ومجالس الآباء. فنتائج البنود تؤكد أهمية ربط جوانب التربية المدنية بجوانب العملية التعليمية وتجعل ذلك من مسئولية الإدارة المدرسية لإنجاح العملية التعليمة بشكل عام للمساهمة في توسيع دائرة التربية المدنية.

نتائج الدراسة المتصلة بالسؤال الذي ينص على ما الممارسات التسلطية المعيقة للتربية المدنية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي الحكومية والأهلية في مدينة مأرب، فيما يتعلق مجال علاقة المدرس بطلبته؟

جدول رقم (5) يوضح آراء العينة حول الممارسات التسلطية في مجال علاقة المدرس بطلبته

م	الممارسات التسلطية في مجال علاقة المدرس بطلبته	المتوسط	الانحراف	الترتيب
11	هدف المدرس إخضاع الطلبة من خلال إضفائه هالة تقديسية على ذاته.	3.84	0.81	1
19	لا يرتاح المدرس لمخالفته في الرأي ويغضب على معارضيه.	3.56	0.65	2
13	ممارسة المدرس لأسلوب التهديد والتخويف المستمر للطبة	3.43	0.89	3
12	التعامل مع الطلبة على أساس مناطقي وحزبي ومذهبي	3.36	0.80	4
16	لا يراعي المدرس العامل النفسي في تعامله مع طلبته.	3.32	0.77	5
14	ارتفاع نسبة كلام المدرس وقلة كلام الطلبة	3.31	0.98	6
18	صيغ كلام المدرس مع طلبته أمريه وإلزاميه غير قابلة للنقاش	3.24	0.72	7
20	لا يشرك الطلبة في الإعداد والتنفيذ للمقررات الدراسية.	3.24	0.73	8
15	اعتبار الطلبة قصر ومحدودي الفهم لذلك لا يشركون في إعداد وتنفيذ الدروس.	3.22	0.74	9
23	الإفراط في استخدام العقاب المعنوي والمادي دون مراعاة للقواعد التربوية في ذلك.	3.14	0.77	10
17	يعمد المدرسون لاستخدام أسلوب التلقين والحفظ لضمان تبعية الطلبة.	3.14	0.82	11
21	يعتبر المدرس المصدر الوحيد والموثوق به للمعلومة.	3.10	0.69	12
22	اعتبار الامتحانات تصفية حساب بين المدرس والطالب فيعمد المدرس لتعقيدها وتكثيفها خارج إطار أهدافها.	3.03	0.89	13
	المتوسط العام للمجال	3.06	0.47	

من خلال الجدول رقم(5) يشـــير المتوســـط العام لمجال علاقة المدرس بطلبته والذي يقدر(3.06) إلى ارتفاع درجة الموافقة على الممارسات التسلطية التي تؤثر على شيوع التربية المدنية، إذ يؤكد أفراد العينة أن محور ممارسة القيم المدنية والتعود عليها في إطار المدرسة تكون في إطار العلاقة بين المدرس وطلبته، ولذلك أشارت إجمالي النتائج أن معالم الثقافة المدنية غير متوفرة وبشكل صريح في المقررات الدراسية وأساليب تدريسها، وإن وجدت في بعض المواد الدراسية فهي ترد بصورة ضمنية لا يكلف المدرس جهدًا لاستنباطها وإكسابها الطلبة لكونها غير داخلة بصـورة مباشـرة في نطاق عمله نظرًا لقصـر النظر عند البعض، مع إيمان الباحث بأن الثقافة المدنية بقيمها ومبادئها العامة تدخل في كافة التخصـــصـــات ولا تقتصـــر على تخصص معين فهي سلوك إنساني يمارس في كافة المجالات، وينبغي أن تكون متلازمة مع تأدية المدرس لعمله ويزود بها الطلبة إضـافة إلى ما يطرحه المدرسـون بشـكل عام على صـورة مقرر يتضـمن كل ما يتعلق بالثقافة المدنية ويعالج ذلك بطريقة تضـمن بروزها على السـطح التربوي والفعاليات المدرسية بشكل عام .

كما نجد أن البند (هدف المدرس اخضـاع الطلبة من خلال إضـفائه هالة تقديسـية على ذاته.) قد حاز على المرتبة الأولى في الممارسات التسلطية وبمتوسط (3.84) وهي نسبة عالية ومرتفعة جدًا، اذ أقر المدرسون بأن مما يشيع جو التسلط والاستبداد وتنحيت المبادئ المدنية في العلاقة بين المدرس وطلبته، تركيز المدرس على محاولة السـيطرة على الطلبة بالأساليب التخويفية والإجراءات العقابية، ومحاولة جعل المدرس هو المصـدر الوحيد للمعرفة والسـلوك وأنه متميز بمصـدريته ولا يمكن لأي أحد أن يصـل إلى مكانته، وما على طلبته إلا تقليده واتباعه، وهذه السـمة تقضـي على روح الإبداع واكتسـاب قيم الاعتماد على الذات وإثباتها لدى الطلبة، وتشـــيع فيهم الاتكالية والاعتماد على الآخر والخوف وضـــعف

الشخصية. يفسر الباحث تصدر هذه الفقرة على بقية الفقرات كون المدرسين لا يملكون خبرات تربوية متطورة وغير قادرين على استخدام أساليب تتوافق مع الاتجاهات التربوية الحديثة التي تراعي في التربية والتعليم الجانب النفسي وإظهار شخصية الطالب، لذل يلجؤون إلى فرض أنفسهم على طلبتهم بالأساليب غير الديمقراطية، فالعاجز يرفع صوته أو يستخدم يده ليحقق هدفه كونه لا يملك حجة ولا قدرة على إقناع الآخر أو إكسابه سلوكًا معينًا. وكل هذا يتنافى مع التربية المدنية التي تقوم على أساس أن دور المدرس هو مساعدة الطالب على اكتشاف ذاته واستخدام قدراته ومواهبه والوصول إلى معارفه ومهاراته بنفسه، وبمساعدة مدرسه. كما جاءت فقرة (اعتبار الامتحانات تصفية حساب بين المدرس والطالب فيعمد المدرس لتعقيدها وتكثيفها خارج إطار أهدافها) في المرتبة الأخيرة من حيث الأهمية وبمتوسط (3.03)، إلا أنها موافقة مرتفعة، يعلل ذلك الباحث بأن هذا السلوك التسلطي بدأ يخفت فكريًّا في عقول المدرسين الذين شاركوا في بعض الدورات التي تؤكد العمل وفق مبادئ التربية المدنية الحديثة والتي تجعل الطالب محور التدريس.

نتائج الدراسة المتصلة بالسؤال الذي ينص على هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات إجابات أفراد العينة تبعا لمتغيرات: الجنس (ذكور، إناث) ونوع المدرسة (حكومي، أهلي)، وسنوات الخبرة (أقل من عشر سنوات، أكثر من عشر سنوات)؟

وللإجابة عن السؤال استخرج الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة تي لمعرفة دلالة الفروق وكانت النتائج على النحو الآتي:

تائج الدراسة وفقًا لمتغير الجنس (ذكور وإناث):

جدول رقم (7)(t.test لعينتين مستقلتين) دلالة الفروق في المتوسطات وفقا لمتغير الجنس

المجالات	الجنس	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمةT	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الإدارة	إناث	2.85	0.73	1.09	0.18	غير دالة
	ذكور	2.81	0.66			
المدرس	إناث	3.22	0.56	1.41	0.17	غير دالة
	ذكور	3.32	0.52			
الفعاليات المدرسية	إناث	3.41	0.43	4.10	0.01	دالة
	ذكور	3.43	0.42			
كل المجالات	إناث	3.41	0.44	1.11	0.25	دالة
	ذكور	3.20	0.42			

يشـــير الجدول رقم (7) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصـــائية في إجابات افراد العينة على المجالات عمومًا، تبعًا لمتغير الجنس حســـب قيمة تي (1.11) عند قيمة دلالة (0.25)، يفســـر الباحث ذلك إلى تشـــابه الخبرات التســـلطية عند الذكور والإناث في كافة المدارس، أي أن عوامل التسلط مسيطرة على كلا الجنسين بشكل عام، مما قد يعيق الاعتماد على أحد الجنســـين في تبني ثقافة التربية المدنية بصـــورة تطوعية، الأمر الذي يحتاج إلى إعادة نظر في مدخلات العملية التربوية والتعليمية أثناء التدريب والتأهيل. بمعنى أن المعطيات في كافة المدارس تؤكد على وجود خلل والممارســـات التســـلطية تحد من التربية المدنية لا فرق في ذلك بين بيئة الذكور أو الإناث، ويرجع الباحث ذلك إلى ســـيطرة القيم التقليدية على كافة مكونات العملية التعليمية. إلا إنه ومن خلال الجدول يتضـــح أن تلك الفروق غير دالة إحصائية إلا في الإجابات المتعلقة بمجال الفعاليات المدرسية حيث تدل قيمة (t) على وجود

فروق ذات دلالة احصائية بين إجابات الذكور والإناث وبمتوسط (3.43) للذكور مقابل (3.41) للإناث وعند قيمة دلالة (0.01)، ويرجع الباحث ارتفاع متوسط الذكور في الإقرار بوجود تلك الممارسات التسلطية بدرجة أكبر من الإناث في هذا المجال إلى أثر اختلاف المدارس التي يعملون بها، ففي المدارس التي يغطيها طاقم نسائي نجد أن مجال الفعاليات المدرسية له حضور في مدارس البنات أكثر من مدارس البنين، ويعلل الباحث ذلك بالشغف والهمم العالية وروح المسؤولية التي تتمتع بها المرأة للارتقاء بشخصيتها من جهة واهتمامها أيضًا أثناء إعدادها وتأهيلها بالاستفادة القصوى من الخبرات التي تتعرض لها من جهة أخرى، مما يؤدي إلى دفعها إلى تجاوز العقبات ولو أدى ذلك للتضحية بالجهد والمال، وهذا ما يؤيده الواقع من تفاعل الإناث أكثر من الذكور في الفعاليات المدرسية التي تعايشها، وما لمسه الباحث في مدارس البنات أثناء زياراته التطبيقية لها، في حين نجد الشكوى متكررة على الأسماع من عدم تفاعل الذكور مع الفعاليات المدرسية المختلفة في أي مجال وأي بيئة حيث نجدهم غير مهتمين بتلك الخبرات التي يمرون بها سواء عند إعدادهم أو عند تأهيلهم، وقد يعلل البعض ذلك بسب انشغال الرجل بتوفير الحاجات الأساسية للأسرة التي يعيلها مما يجعل مشاركته محدودة لانشغاله الفكري والجسدي بالبحث عن مصادر تؤمن له تلك الاحتياجات، وهذا وإن كان مبررًا إلا إنه ومن غير المنطقي أن نتخلى عن مسؤولياتنا أمام مجتمعاتنا ومستقبل أجيالنا بسبب هذه الظروف التي من الممكن أن نترك لها وقتًا غير وقت العمل للتفكير فيها ومعالجتها .

نتائج الدراسة بحسب متغير نوع المدرسة (حكومي واهلي):

جدول رقم (8) (t.test لعينتين مستقلتين) دلالة الفروق بين إجابات أفراد العينة وفقًا لمتغير: نوع المدرسة

المجالات	نوع المدرسة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمةT	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الإدارة	حكومي	3.11	0.62	4.19	0.02	دالة
	أهلي	2.58	0.61			
المدرس	حكومي	3.19	0.40	1.27	0.01	دالة
	أهلي	3.19	0.52			
الفعاليات المدرسية	حكومي	3.35	0.33	0.09	0.04	دالة
	أهلي	3.38	0.47			
كل المجالات	حكومي	3.20	0.40	2.77	0.01	دالة
	أهلي	3.12	0.43			

من خلال الجدول السابق نجد فروقًا ذات دلالة إحصائية في متوسطات إجابات أفراد العينة تبعًا لمتغير نوع المدرسة عند قيمة دلالة (0.01) ولصالح أفراد العينة في المدارس الحكومية وبمتوسط (3.20) للمدارس الحكومية و(3.12) للمدارس الأهلية، ويفسر ذلك الباحث بما تتمتع به المدارس الخاصة من اهتمام القائمين عليها بجوانب العملية التربوية والتثقيفية لتلك المدارس ومن ذلك الطابع المدني الممارس بصورة مقصودة أو غير مقصودة بهدف كسب ثقة عملائها وجذب أكبر قدر من الطلبة للانضمام إليها، فبقدر إمكانيات المدرسة وديمقراطيتها بقدر ما تكون لها صيت يذاع في أسماع الناس فيقبلون عليها، فلذلك

وجدت تلك الفروق في الإجابات لتعطينا مؤشرًا آخر بأن المدارس الحكومية تعاني من عدم الاهتمام المادي والتأهيلي للعاملين فيها، حيث نجد المدارس الخاصة تخضع المتقدمين لها للعديد من الإجراءات التي من خلالها تتوصل إلى معرفة مستوى المدرس ودرجة تأهيله، لكي يشغل عمل معين فيها، بالإضافة إلى أنها بين الفترة والأخرى تعمل على تأهيل كوادرها وإزالة العقبات التي تعترض طريق تأديتهم لرسالتهم ومنها الممارسات التسلطية التي تعرقل نشر الممارسات المدنية في الحياة المدرسية، وتعمل تلك المدارس على تزويد كوادرها بكل جديد لكي تتميز عن غيرها ومن ذلك تزويد كوادرها بما يساعد على علاج جوانب النقص الموجود لديهم وخاصة فيما يتعلق بالنظريات التربوية الحديثة التي ترتكز عليها التربية المدنية، وقد لمس الباحث هذا الشيء من خلال اشتراكه في العديد من الدورات التدريبية للمدارس الخاصة، فلا غرابة أن نجد أن الممارسات التسلطية التربية المدنية فيها أقل من المدارس الحكومية .

نتائج الدراسة وفقا لمتغير الخبرة:

جدول رقم(9) (t.test لعينتين مستقلتين) دلالة الفروق في المتوسطات وفقًا لمتغير سنوات الخبرة

مجال الممارسات التسلطية	سنوات الخبرة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمةt	قيمة الدلالة	مستوى
الإدارة	أكثر من عشر سنوات	3.22	0.616	3.11	0.00	دالة
	أقل من عشر سنوات	2.71	0.550			
المدرس	أكثر من عشر سنوات	3.33	0.511	2.48	0.01	دالة
	أقل من عشر سنوات	3.11	0.592			

الفعاليات	أكثر من عشر سنوات	3.41	0.415	3.15	0.03	دالة
	أقل من عشر سنوات	3.35	0.383			
كل المجالات	أكثر من عشر سنوات	3.37	0.487	3.81	0.02	دالة
	أقل من عشر سنوات	3.70	0.358			

من خلال الجدول رقم (9) يتضح أن تلك الفروق بين إجابات أفراد العينة من ذوي الخبرات القليلة والخبرات الكثيرة ولكافة المجالات دالة إحصائية عند قيمة دلالة (0.02) ولصالح من كانت خبرتهم أكثر من عشر سنوات، حيث بلغ متوسطهم (3.37) في حين بلغ متوسط أصحاب الخبرات القليلة (3.70)، وفي كل الأحوال هناك اتفاق من حيث المبدأ على وجود الممارسات التسلطية وبدرجات متفاوتة، ويعزي الباحث هذا التفاوت إلى أثر الخبرة في إدراك حقائق الأمور وتتبع مجرياتها، فصاحب الخبرات التراكمية خلال فترة عمله التدريسي يواجه إشكاليات وعقبات وبمقدار الفترة التي قضاها يكون تعرفه وإلمامه بتلك المشاكل أكثر؛ فالعقبات التي تعترض طريقه في جانب معين لا يستطيع أن يلم بها إلا إذا مر وقت كاف على معايشته لكم من الأحداث والمواقف التي تعينه على إدراك حقيقة الممارسات التسلطية، ونتيجة لذلك كان أصحاب الخبرة الكبيرة قد قضوا فترة طويلة في إطار التعليم المدرسي استطاعوا من خلالها أن يرصدوا الممارسات التسلطية، وربما عايشوها بذاتهم، لاسيما ومبادئ المدنية ومجالاتها واسعة وممارستها تمتد إلى جوانب عديدة من العملية التعليمية داخل المدرسة.

توصيات الدراسة:

من خلال ما توصل إليه الباحث من نتائج أظهرت في معظمها إجماع أفراد العينة الموافقة على بنود الاستبانة المتضمنة لمؤشرات الممارسات التسلطية التي تحول دون التربية

المدنية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وإن كان هناك فروق بين أفراد العينة إلا أنها كانت تتمحور في درجة الموافقة على تلك الممارسات التسلطية وهي إجمالًا تعبر عن إشكالية يجب على الجهات المعنية بالعملية التربوية والتعليمية باعتبارها تمثل الجهات السياسية من جهة وهي المسئولة عن المؤسسات التربوية من جهة أخرى، وهذا ينعكس سلبًا على التربية المدنية ومستقبل التعليم المدني بشكل عام، لارتباط المدنية بالنظريات التربوية الحديثة. لذا فإن أهم ما يوصى به الباحث الآتي:

- يؤكد الباحث على ضرورة أن يوجه المدرس إلى الابتعاد عن الطرق التقليدية في التدريس ويدخل ذلك ضمن تقييم أدائه، ومن جانب آخر لابد أن تتضمن المقررات الدراسية بصورة صريحة أو ضمنية في المحتوى والأهداف كل ما يتعلق بالثقافة المدنية ويركز ذلك في المواد المتعلقة بهذا الجانب وخاصة المواد الاجتماعية والثقافية، مع محاولة المدرس وهو يسير في منهجه الدراسي تسليط الضوء على بعض السلوكيات والمفاهيم المتعلقة بالثقافة المدنية وبصورة مستمرة كجانب تربوي يحتاجه الطالب لإكسابه ما يساعده على تنمية شخصيته، ويتم عمل إرشادات عامة من قبل الموجهين والخبراء للآليات المناسبة والتي يمكن للمدرس أن يتبعها لاستخلاص قيم الثقافة المدنية كما ينبغي أن يعاد النظر في المنهج الحالي بحيث يكون قابلًا للتطبيق وله صلة بواقع حياة الطلبة.
- معالجة قضية القناعة غير المتوفرة لدى بعض الطاقم الإداري في المدارس بقدرات الطلبة وهذا بدوره يتعارض مع كل النظريات النفسية والتربوية التي تؤكد أن الفرد لديه المقدرة على الابتكار والوصول إلى الغايات المرجوة إن أحسن توجيهه وتربيته وتعليمه ويرى الباحث ضرورة تزويده بالعديد من الأدبيات الخاصة بهذا الجانب. كما يتم تعهد المدارس بين الفينة والأخرى بإقامة الفعاليات المتعلقة بالنهج المدني بالاشتراك مع

الجهات ذات الاختصـــاص بهذا الجانب ويكرس في ذلك رفع الجانب التوعوي لدى الإدارة بأهمية وجود مؤســسـات المدنية في المدرســة وما يترتب على ذلك. كما يقترح الباحث وضــع ضــوابط لوائحية تحد من تســلط أي فرد على الآخر تحت أي مبرر، وتعمل على كبح جماح التســلطيين في المدارس. إلى جانب ضــرورة إدراج النشــاط في حصص الجدول الاسبوعية في المدارس وقبلها في الخطة المدرسية العامة بحيث تمارس من خلالها كل مقومات الحياة المدنية تعريفًا وتدريبًا. كما يوصـــي الباحث بأهمية اجتثاث كل ما يتعلق بالثقافة القائمة على التســلط والقمعية الســائدة عند بعض، من خلال التوعية من جهة وتوفير مرجعية قانونية للاحتكام.

- يؤكد الباحث ضـــرورة التأهيل المســـتمر للمدرس من خلال الدورات التدريبية والتي تقيمها الوزارة بين الفينة والأخرى وتحتاج إلى تضــمينها هذه المفاهيم والســلوكيات حتى يكون المدرس على وعي بها ودراية كاملة بحيث تحدث تخلية لكل الخبرات التسلطية التي قد يكون اكتسـبها وإعادة تشـكيله على أسـس ديمقراطية تكسـبه معنى المدنية وأهميتها وسـبل تكوينها وأسـاليب ممارسـتها وكيفية تفعيلها داخل الفصـل الدراسـي وكذا كيفية اختيار طرق التدريس الملائمة التي تتيح فرص الحوار والنقاش وتبادل الأفكار وأيضًـــا أساليب التقويم التي تحقق تكافؤ الفرص وتراعي الفروق الفردية وتنمي النزعة المدنية.
- يرى الباحث ترك مسـاحة من الفعاليات المدرسـية لبناء قدرات منتسـبيها وترك مسـاحة من الحرية لهم ليخططوا وينفذوا الفعاليات المدرســية كما يرونها ويريدونها بما لا يتعارض مع اللوائح المدرسـية، وفي هذا الصـدد لابد من تخصـيص حيز من الاهتمام من خلال الدورات التدريبية لمسئولي النشاط للتدريب والتأهيل الكافيين، بحيث يشمل ذلك الطرق والآليات المدنية المختلفة. وتوظيف الفعاليات المدرســية في تعليم وتدريب الطلبة على

السلوكيات المتعلقة بالمدنية، ويتم توجيه وتوعية الطلبة من خلال منابر المدرسة الإعلامية بمفردات الثقافة المدنية وبإشراف المدرس والإدارة كالإذاعة والصحيفة ومجالس الطلبة المختلفة وتفعيل المناشط التي تزكي الروح المدنية وتعمقها في نفوسهم.

مقترحات الدراسة:

- يقترح الباحث القيام بدراسة واقع التربية المدنية في الجامعة.
- كما يقترح الباحث تصميم برنامج لإكساب الطلبة القيم المدنية في إطار العملية التعليمية.
- ويقترح الباحث عمل دراسة مقارنة بين القيم المدنية في أداء مؤسسات المدنية (الاتحادات والجمعيات الطلابية) في العديد من الجامعات المحلية، لنقل الخبرات في التربية المدنية.
- ويؤكد الباحث على توسيع نطاق الدراسات بعمل دراسة بواقع التربية المدنية في الاسرة.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم، خليفة، (2006م) دور التربية في مواجهة الممارسات التسلطية التنمية في مصر، في *مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط*، المجلد 22، العدد الأول.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن(2001م) *مقدمة ابن خلدون*، اعتناء أحمد الزغبي، دار الأرقم، بيروت.
3. أبو عواد، آمال (2015) الممارسات التسلطية لمديري المدارس وعلاقتها بمستوى الدافعية للإنجاز لدى معلمي المدارس الأساسية الحكومية في مديرية تربية عمان

الثالثة، *مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية*، المجلد الثلاثون، العدد الرابع، الأردن.

4. إسماعيل محمد وناجح محمد (2019) تطوير دور كلية التربية في تنمية الثقافة المدنية لدى طلابها على ضوء أهدافها، *المجلة التربوية، جامعة سوهاج*، مج 59، ع 59، مصر.

5. تركي، مصطفى (1993) السلوك المدني، *مجلة عالم الفكر*، المجلد 22، العدد2 الكويت.

6. الخطيب محمد: (2010) دور التربية المدنية في تنمية مرونة الأنا في الشخصية الفلسطينية، *مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية*، 2010، مجلد12، عدد2، مصر.

7. دغريري أحمد، (2019) *التربية المدنية في كتب الدراسات الاجتماعية والوطنية في ضوء متطلبات العصر*، *رسالة ماجستير* مقدمة إلى كلية التربية جامعة الملك فيصل، السعودية.

8. دياب، فوزية، (1980م) *القيم والعادات الاجتماعية*، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

9. الرشدان، عبد الله وجعنيني، نعيم، (1994م) *المدخل إلى التربية والتعليم*، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

10. زهران حامد وآخرون، (2002) *القيادة التربوية، في الأسس التربوية لإعداد المعلم الجامعي*، من إصدارات جامعة عين شمس الطبعة الرابعة، مصر.

11. سعد، حسين (2015) التسلط التربوي والإنجاز الدراسي، *مجلة حوليات، كلية*

الآداب، جامعة بني سويف، المجلد43، العدد53. مصر.

12. الشـــعبي، مجاهد(2005م) *الثقافة الديمقراطية للناخب اليمني وأثرها على ســـلوكه الانتخابي، رسالة ماجستير* غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

13. الشـــعيبي، عبد العزيز (2001) الديمقراطية في إطار الوحدة اليمنية، *مجلة كلية التجارة والاقتصاد بجامعة صنعاء*، العدد السابع عشر، اليمن.

14. الطبيب، مولود(2001م) *دور التنشئة السياسية في تنمية المجتمع*، المؤسسة العربية للنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

15. العبدلي، سمير، (2007) *ثقافة الديمقراطية في الحياة السياسية لقبائل اليمن، رسالة دكتوراه* منشورة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت.

16. عبود، عبد الغني والنوري، عبد الغني، (1979م) *نحو فلســـفة عربية للتربية*، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر.

17. الفتلاوي مؤيد ونصر الله عدنان (2021) *المدنية والممارسات التسلطية لدى طلبة المرحلة الثانوية دراسة ميدانية في قضاء الرفاعي*، المجلد الثالث، العدد الأول.

18. فروان، احمد (2005م)، *التنمية والتحديث في الوطن العربي*، دار الكتب، ط1، اليمن.

19. القصـبي، عبد الغفار(1994م) الثقافة المدنية العربية، دراسـة في التحول المدني، في *مجلة الحوار*، دار الكوثر، بيروت، لبنان، السنة التاسعة، العدد 34.

20. القطب، سمير، (2007) المدرسة الثانوية وتنمية ثقافة الديمقراطية، في سياق التحول المدني في مصـــر الواقع والطموح، في *مجلة مســـتقبل التربية العربية* تصـــدر عن المركز

العربي للتعليم والتنمية مصر، المجلد الثالث عشر، العدد 44.

21. الكواكبي، عبد الرحمن (1993م)، *طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد*، دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان.

22. كيلاني، شادية (2003) تعليم حقوق الانسان في كليات التربية، في مجلة *مستقبل التربية العربية*، تصدر عن المركز العربي للتعليم والتنمية، المجلد التاسع، العدد الحادي والثلاثون

23. معتوق، جمال (2015) دور مناهج التربية المدنية في التكوين على المواطنة، *مجلة آفاق لعلم الاجتماع*، المجلد الخامس، العدد2، جامعة البلدة، المغرب.

24. المقداد، محمد والسرحاني فلاح (2013) أثر البيئة الجامعية على الثقافة المدنية لدى الطلبة، العدد4، المجلد80، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، الجامعة الأردنية، الأردن.

25. مكروم عبد الودود(2004م) *ثقافة المدنية ودور التربية في تحقيق الأمن القومي العربي*، في كتاب: القيم ومسؤوليات المواطنة، تأليف عبد الودود مكروم دار الفكر العربي، القاهرة.

26. مكروم عبد الودود(2005م) *القيم في الفكر الغربي رؤية تحليلية*، دار الفكر العربي القاهرة.

27. مولاي عبد الناصر، (2020) *الثقافة المدنية وتأثيرها على بناء الهوية الوطنية والمدنية، رسالة دكتوراه*، كلية الآداب جامعة الجزائر، الجزائر

28. ناصر، إبراهيم، (1992م) *علم الاجتماعي التربوي*، دار الجيل، ط1، عمان، الأردن.

29. هندي، صالح، (1995م) *أسس التربية*، دار الفكر للنشر، الطبعة الثالثة، عمان الأردن.

30. الوطحي، احمد(2000م)، واقع التعليم في الجمهورية اليمنية وأولويات تجديده على طريق مدرسة المستقبل، في *مجلة البحوث والدراسات التربوية* تصدر عن مركز البحوث والتطوير التربوي، صنعاء العدد الخامس عشر، السنة السابعة.

31. وطفة علي(1999م) *بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

32. Smith, Hilton, Its Education for Democracy. Educational-Horizons, V. 73, N2,1995, P 62-69
33. Lynna J. Ausburn; 2002 "THE FREEDOM VERSUS FOCUS DILEMMA IN A CUSTOMIZED SELF-DIRECTED LEARNING ENVIRONMENT: A COMPARISON OF THE PERCEPTIONS OF ADULT AND YOUNGER STUDENTS"; Community College Journal of Research and Practice; Vol.26.P147
34. Alexander, L. (2003). Senator Alexander's American history and civics bill passes senate unanimously, Alexander's office. P89
35. Kahne, J., & Sporte, S. (2008). Developing citizens: The impact of civic learning opportunities on students' commitment to civic participation. American Educational Research Journal, 45(3), 738-766.

الشيخ علي بن أحمد باصبرين
حياته العلمية وجهوده الدعوية
(1228 - 1304 هـ / 1814 - 1887م)
دراسة تاريخية

د. عبد العزيز بن سعيد بن سالم بازرعة
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب
وقسم العلوم الاجتماعية بكلية التربية -جامعة حضرموت
Bazara_2011@hotmaill.com

تاريخ استلام البحث: 2023/05/31م تاريخ قبوله للنشر: 2023/06/22م

الملخص:

يتناول هذا البحث سيرة الشيخ علي بن أحمد باصبرين الدعوية والإصلاحية، فهو أحد الأعلام الذين قضوا جُلّ حياتهم في النفع والتثقيف والدعوة إلى الله. وقد لعب دورًا مهمًّا ومؤثرًا في الحياة الدعوية والسياسية والاجتماعية في حضرموت وخارجها، فكان نموذجًا رائعًا للعالم الشجاع الثائر الذي يدور مع الحق حيث دار، فقد شهد كل من عرفه أنه رائد من رواد النهضة بحضرموت، وشخصية عظيمة كان لها دور في التغيير والإصلاح، فكان من صفوة العلماء الذين أمضوا سنين عمرهم في التربية والدعوة إلى الله.

دُرِسَ الموضوع دراسة تاريخية، وتكون من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي.

المقدمة وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج البحث.

المبحث الأول: وفيه جوانب من حياته الاجتماعية بدءًا باسمه ونسبه ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: حياته العلمية وآثاره. ويشتمل على طلبه للعلم ورحلته إليه، وشيوخه وتلامذته، ومؤلفاته.

المبحث الثالث: جهوده الدعوية والإصلاحية، حيث اشتمل هذا المبحث على استعراض أبرز محطات الشيخ الدعوية والإصلاحية. اختتم البحث بخاتمة فيها النتائج التي تم التوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: باصبرين، الدعوة، جهود، الإصلاح.

Sheikh Ali bin Ahmed Basbreen
His Scientific life and His advocacy efforts
[1228 - 1304 H / 1814 -1887]
Historical study

Dr. Abdulaziz Bin Saeed Bin Salim Bazarah
Assistant professor of Islamic history
College of Literature/Hadhramaut University

Received: 31/05/2023 Accepted: 22/06/2023

Abstract

This research deals with the biography of Sheikh Ali bin Ahmed Basbreen, preaching and reforming, as he is one of the notables who spent most of their lives benefiting, educating and giving advice. He played an important and influential role in the preaching, political and social life in Hadramout and outside it. Everyone who knew him tested that he was one of the pioneers of the renaissance in Hadramout, and a great personality who had a role in change and reform.

This topic was studied historically and consists of an introduction, three topics and a conclusion as follows.

The introduction: the importance of the research, the reasons for its selection, and the research methodology.

The first topic: aspects of his social life were mentioned, starting with his name, lineage, birth, and upbringing.

The second topic: his scientific life and its effects. It includes his request for knowledge, and his trip to him, his Sheikhs, his

students, and his writings.

The third topic: his advocacy and reform efforts, where this topic included a review of the most prominent stations of the Sheikh's advocacy and reform.

The research concluded with a conclusion in which the results I had reached.

Keywords: Basbreen, advocacy, efforts, reform.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وبعد: فقد عاش الشيخ علي بن أحمد باصبرين حياة حافلة بالعلم والتأليف والعطاء، فكان جبلًا من جبال العلم، ورائدًا من رواد النهضة الحديثة بحضرموت، مبرزًا في العلم متفوقًا فيه، صاحب تقوى وورع وصدق، متميزًا بالشجاعة، يدور مع الحق حيث دار، ونموذجًا رائعًا للعالم الشجاع الثائر، فاضلًا، ذا هيبة وكلمة نافذة، حافظًا لكتاب الله، يصدع بالحق، آمرا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

إن الحديث عن العلماء – تبصيرًا بسيرهم، وتعريفًا بحياتهم، ونشرًا لفضائلهم، وإذاعة لمناقبهم – مما ينفع الأمة أكبر النفع؛ لأن فيه وصلَ الحاضر بالماضي، وحثَّ المتأخر على الاقتداء بسجايا الخير التي تحلوا بها، ولم تكن الكتابة عن أي شخص وافية كاملة إلا بتعدد الكتّاب واستخلاص الحقائق من مجموع ما كتب عنه. وها أنا أسهم بذكر مآثر الشيخ علي ابن أحمد بن سعيد باصبرين وأخلاقه، والحديث عن آثاره العلمية. ومن الحق أنه ليس من

السهل على أي كاتب أن يحيط بكل جوانب هذه الشخصية المؤثرة في مجتمعها وعصرها، وكذلك الإلمام بجميع أبعاد هذا الرجل الفذ.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

هناك أسباب كثيرة تبرز أهمية هذا البحث، وتوضح أسباب اختياري له، أهمها:

1. المكانة العلمية لهذا النوع من الأبحاث؛ إذ يسْهم هذا البحث على إبراز الصفحة المشرقة لعلمائنا.
2. بيان منزلة الشيخ علي بن أحمد باصبرين العلمية والدعوية التي حظي بها.
3. بيان أثر الشيخ علي بن أحمد باصبرين السياسي والاجتماعي.

منهج البحث:

منهج الدراسة هو منهج وصفي تحليلي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعرف على شخصية الشيخ علي بن أحمد باصبرين.
2. الوقوف على إسهامات الشيخ الدعوية والعلمية والإصلاحية.
3. تقييم شخصية الشيخ علي بن أحمد باصبرين.

الدراسات السابقة:

بحسب اطلاعي وبحثي عن الموضوع في بعض الدراسات البيلوغرافية فإن دراسة حياة الشيخ علي بن أحمد باصبرين العلمية والدعوية لم يبحث في دراسة أكاديمية، وفق الرؤية والخطوات التي سيتناولها هذا البحث، ولكن وجدت دراسة قام بها الباحث انور علي باحميش تناولت ترجمة للشيخ علي بن أحمد باصبرين ومناقشة افكاره وآراؤه. وتلك الدراسة أعطت صورة عن حياة الشيخ باصبرين وانتماؤه وبيان آراؤه ولكنها لا تخرج عن كونها دراسات خاصة في مواضيعها، ولم نجد دراسة تناولت الموضوع من زاوية تاريخية بحتة أو بشكل مستقل خاص.

المبحث الأول: نبذة عن الشيخ علي بن أحمد باصبرين

1. اسمه ومولده ونسبه:

– اسمه:

هو العلامة المحقق والفقيه المدقق المحدث الفلكي علي بن أحمد بن سعيد بن محمد باصبرين السيباني[1].ترجم له العديد من المؤرخين الحضارم، فوصفه ابن عبيد الله بإمام كُلّ العلوم [2].وترجم له علوي بن طاهر ووصفه بالفقيه الذكي[3]، وذُكر في تاج الأعراس لعلي بن حسين العطاس[4]. وذكره محمد أبوبكر باذيب في كتابه جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي [5].

1) باحميش. أنور علي عمر، علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين رحمه الله تعالى (1228هـ- 1304هـ) مناقشة فكر- تحديد انتماء-، ص18، بيان آراء، مكتبة تريم الحديثة، حضرموت، الطبعة الأولى، 1434هـ، 2013م.

2) ابن عبيد الله. عبد الرحمن السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص 142، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

3) الحداد. علوي بن طاهر الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص751، تحقيق/ محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح، الاردن، الطبعة الأولى،1438هـ، 2017م

4) العطاس. علي بن حسين، تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، جـ1، ص630، منارة القدس، اندونيسيا.

5) باذيب. محمد أبو بكر، جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص983-1003، دار الفتح، الاردن، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م.

– مولده:

ولد الشيخ علي بن أحمد باصبرين برباط باعشن في 21 رمضان سنة 1228هـ [1]، وقيل: بالخريبة في حوالي سنة ١٢٣٠ هـ [2]. وقد أشار بعض من ترجم للشيخ إلى أنه عاش في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر [3].

– نشأته:

نشأ باصبرين بقرية القُرحة[4] في بيئة علمية في أحضان والدين كريمين، ونمت أغصان طفولته في بيت علم ، فوالده الشيخ أحمد بن سعيد باصبرين كان تاجرًا بجدة، وله اتصال بالعلماء وطلبة العلم، وبتوفيق الله كان ذلك من الأسباب التي هيأت للشيخ أن يكون ممن يشار إليه، وتلقّى العلم على أيدي علماء دوعن، فالتحق بمعاقل العلم برباط باعشن وتتلمذ على يد الشيخ سعيد بن محمد باعلي باعشن(ت/1270هـ) فأخذ عنه[5]، وأخذ عن غيره، فرحل إلى مصر وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوريّ.، وكانت جدّة دار هجرته ونشر علمه، وله بها تلاميذ كثيرون[6].

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص19.
2) باذيب. جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص983.
3) باغيثان. علي سالم بكيّر، رجال وكتب، ص109، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت.
4) القُرحة: قرية صغيرة في أعلى وادي دوعن الأيمن، يكتنفها واديان عن المشرق وادي حموضة وعن المغرب وادي النبي.
5) باحميش. مرجع سابق، ص19.
6) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص 309.

2. أسرته ونسبه

ينتسب الشيخ علي باصبرين إلى أُسرة باحميش قبيلة من نَوَّح، وهي تسكن منطقة القرحة التي تسمى باسمهم في أعلى وادي دوعن الأيمن [1].

يقول ابن عبيد الله السقاف: وآل باحميش من حملة السّلاح وأهل النّجدة [2]. وهذه الأسرة مشهورة بكثرة علمائها وصلحائها، ومن أشهرهم محمد بن أحمد باحميش(798-861هـ) [3].

- حياته وسكنه:

عاش في حضرموت مجاهدًا ومدافعًا، ثم أكمل دعوته وحياته في أرض الحجاز، في مدينة جدّة، وعاش في جامع الشافعي معلّمًا وناصحًا، فهو الذي وهب حياته للعلم وقدم نفسه في سبيل الله، والتفَّ حوله طلاب العلم ينهلون من علمه، وقد رزقه الله الكثير منهم الذين يشهدون له بالفضل والخير. وكان الشيخ علي باصبرين من الأثرياء الممارسين للتجارة حرفة والده وعشيرته فقد جمع بين هذا العمل الشاق والمنصب العلمي الكبير. تزوج الشيخ

1) باخيل. علي بن محمد بن عبد الله، إدراك الفوت في ذكر قبائل تاريخ حضرموت، معجم لقبائل البادية وسكان الحاضرة في تاريخ حضرموت، ص51، دار إعمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1429هـ، 20098م.

2) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص308.

3) محمد بن أحمد باحميش: من مشاهير القرن التاسع الهجري، وأحد أعلام الفتوى ورجال التربية والتعليم في عدن. درس وانتفع به خلق كثير. ينظر: باوزير. سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص166، مطبعة وحدين، المكلا، حضرموت،1432هـ، 2011م.

باصبرين في ليلة الخامس من رجب 1256هـ وهو أول زواج له [1]. ثم أعقب تلك الزيجة زيجات أخرى.

3. صفاته وسيرته وأخلاقه.

كان الشيخ علي باصبرين عالمًا شجاعًا، جمع العلم، والعبادة، والورع، انتشرت إمامته في العلم شرقًا وغربًا، حافظًا للسّنّة، عالمًا بعلوم الحديث، والفقه، سلّم له أهل عصره ونظراؤه في العلم، والدّين، وكانت أبرز خصاله:

– اتباعه للسنة:

لا يخفى على من يتتبع سيرة الشيخ علي باصبرين ويقرأ تراثه يرى إتباعه للسُّنَّة، والتزامه بما ورد عن السَّلفِ، فكان رحمه الله من أبعد الناس عن اللهو ومجالسه، وكان يقتدي بالصحابة ﷺ الذين إذا سمعوا صوت الشيطان [2] سارعوا إلى وضع أصابعهم على آذانهم. فيذكر ابن عبيد الله السقاف عن عبد الله باحشوان أحد قضاة المكلا السابقين قال: «كنت مع الشيخ علي باصبرين وأنا صغير فسمع مزمارًا فسد أذنيه بإصبعه، فجعل يقول لي: هل تسمع شيئاً؟ فأقول: نعم، حتى قلت: لا فأبعدهما» يتنسم بذلك ما فعل عبد الله بن عمر ﷺ

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص24 ،25.

2) صوت الشيطان: هو صوت الملاهي. قال مجاهد وعكرمة: هو الغناء والمزامير، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة الإسراء: 64).

مع مولاه نافع ينقل ما صنع رسول اللهﷺ عندما سمع مزمار الراعي [1]. فكان من أبعد الناس عن اللهو ومجالسه، وقد علم فيه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة لقمان: 6).

– ورعه:

كان الشيخ شريف النفس على جانب عظيم من الورع، ومما يحكى من ورعه أنه لما طلب منه شريف مكة أن يكثر التّردّد عليه أبى؛ وَهَذَا من شدَّة ورعه واستقامته، ولأنّه كان شريف النّفس عليّ الهمّة رحمة الله عليه [2]. ومما يحكى من دقيق ورعه أنّ أحد الدّلّالين باع له بنًّا من يهوديّ، فدلّس عليه في مائتي رطل، فأخبر الشّيخ ممتنّا عليه بهذا الصّنيع، فقال له الشّيخ: لا أرضى ولا أحبّ أن يطلبني اليهوديّ بحقّه في الدّار الآخرة، وردّ عليه ما اختانه الدّلّال [3].

– غزارة علمه وسعة اطلاعه:

أما الصفة التي تلفت الأنظار إليه فهي سعة علمه، التي تدل عليها مؤلفاته ومصنفاته، فقد ترك ثروة علمية تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه، وتكامل إدراكه لأطراف ما يبحثه واستوائه لديه، ولعل صفة التبحر في العلم هي الصفة التي عرف بها الشيخ.

1) روى الإمام أحمد عن نافع أن ابن عمر– رضي الله تعالى عنهما– سمع مزمار راع، فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل براحلته عن الطّريق «وهو يقول: يا نافع، هل تسمع شيئا فأقول: نعم، فيمضي حتى قلت: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطريق» وقال: رأيت رسول الله ﷺ سمع مزمار راع ففعل مثل هذا، رواه أبو داود وزاد الترمذي، قال: نافع وكنت إذ ذاك صغيرا..

2) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص309.

3) ابن عبيد الله المرجع نفسه، ص 309..

– حدته:

وصف الشيخ باصبرين أنه حاد الطبع، وقد قال بعض المصريين ممن وافى الشيخ في الحجاز جلست معه سنتين في الحرمين فرأيت فيه من الحِدّة ما لا مزيد عليه، ولم يجد له حسن بن عمر الحداد مثيلًا إلا الشيخ علي بن قاضي باكثير [1]. ولعل مرجع هذه الحِدّة يعود إلى بيئته التي شكلت ملامح شخصيته، والمتأمل إلى مواقفه في قول الحق يكاد يجزم بأن وجودها على ما فيها من غضاضة تفي بالمصالح التي حققها، مما يعجز عنه ذو العجز والتردد، وهي التي أوردته الموارد المحمودة [2]. وقد أخرج الطّبرانيّ عن ابن عبّاسﷺ: «تعتري الحدّة خيار أمّتي» [3]، وكان موسى عليه السّلام حديدًا، فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه هارون – عليه السّلام – يشد أزره ويقويه ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه [4]. وأما ما عيره به بعض الناس بهذه الحدة التي تعتريه وأرادوا من خلالها اللمز في حقه، فتلك شكاة ظاهر عنه عارها[5]؛ لأن باعثها قول الحق، الذي لا يلوي على غيره ولا يبالي

1) علي بن قاضي باكثير (1174- 1210هـ) درس على يد العلامة محمد ين عيدروس الجفري، والعلامة عبد الله بن عمر بن قاضي، تم اتصل بكبار عصره في تريم وسيئون.

2) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص309.

3) الطبراني. سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، جـ11، ص151، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية. رقم الحديث 11332. قال الهيثمى: فيه سلام بن مسلم الطويل وهو متروك. وللحديث أطراف أخرى منها: "الحدة تعتري خيار أمتي" والْمرَاد هُنَا الصلابة فِي الدّين والسرعة فِي امضاء الْخَيْر وَعدم الِالْتِفَات للْغَيْر.

4) سيد قطب. في ظلال القرآن، جـ4، ص 2322، دار الشروق، بيروت، القاهرة الطبعة السابعة عشرة، 1412 هـ

5) جرى بين الشيخ باصبرين وبين بعض معاصريه نقاش علمي ومشادات كلامية وردود بسبب آرائه ومنهجه.. ومثل هذا معهود من القرون الأولى وقد دون التاريخ قصصاً كثيرة بين علماء أجلاء هي أشد

في إظهاره، ويبدو أن الحدة في موضعها، بل المضر وضع الندى في موضع السيف، وليس من سبيل الإنصاف ولا قريب منه اتخاذها مطية للنيل منه بغية التنفير عن أفكاره[1]. قال عمر بن حسن الحدّاد: (قرأت على الشّيخ عليّ باصبرين، وهو إمام في كلّ العلوم، حادّ الطّبع) وفي مجموع كلام العلّامة أحمد بن حسن العطّاس: (أنّ بعض العلماء المصريّين قال له: نعرف من الحضارم حدّة الطّبع، وأنت بعيد عنها، قال له: من عرفت من الحضارم؟ قال له: عرفت الشّيخ عليّ باصبرين، وجلست معه في الحرمين سنتين، فرأيت من حِدّته ما لا مزيد عليه، فقال أحمد العطاس: ذاك رجل من أهل البادية، وتلقّى شيئًا من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلّقين بهم الأخذ عنه؛ لأنّه ليس بأهل للإلقاء ولا للتّلقّي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء) يقول ابن عبيد الله: وهذا لا يخلو عن حيف كثير على الشّيخ باصبرين [2].

4. وفاته وثناء العلماء عليه:

–وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والدعوة إلى الله ودّع هذا الشيخ الحياة، فتوفي بمدينة جدة في

بكثير من هذا. للمزيد ينظر: ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص309.وباحميش.. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص105.

1) باصبرين. علي بن أحمد، المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية، ص18، اعتنى به أكرم مبارك عصبان، مطبعة وحدين الحديثة، المكلا، حضرموت. والعبارة من مقدمة محقق المهمات عند ترجمته لباصبرين وقد تمثّل بأبيات قالها عبد الله ابن الزّبير ﷺ لما عيّر بأنّه ابن ذات النّطاق وهي:

وعيّرني الواشون أنّي أحبّها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

2) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص309.

يوم الرابع من شهر ذي القعدة لسنة أربع وثلاثمائة وألف للهجرة الشريفة (4 القعدة 1304هـ) عن 76 سنة و42يومًا، ودفن الشيخ بمقبرة " أمنا حواء" بجدَّة [1]، وقيل: إنه توفي سنة 1305هـ [2]، وعند الزركلي في الأعلام: سنة 1304هـ [3].

- **ثناء العلماء عليه:**

حظي الشيخ بثناء العلماء في القديم والحديث، فقد أثنى عليه معاصروه ومن جاء بعدهم بالثناء الحسن ووصفوه بالأوصاف العلمية التي تدل على جلالته وإمامته، وما نال ذلك إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى له، ثم جده وحرصه على العلم، وما تميز به من الإخلاص لله في الطلب، فأثنى على الشيخ باصبرين غير واحد من أهل العلم ثناءً عطرًا، وقدروه قدره وأنزلوه منزلته، سواء أكانوا من تلاميذه الذين جالسوه، أم من أفاضل المؤرخين الذين رووا أخباره، ووقفوا على آثاره، فلا تكاد تعثر على ترجمة له إلا وتجدها تفوح بالثناء العاطر على هذا العالم الجليل، فكان موضع الإعجاب والإجلال من المنصفين، ويشهد له كبار علماء عصره بالعلم والفضل والجهاد.

قال عبيد الله السقاف في وصف زيارته للقرحة ولقاءه الشيخ علي باصبرين: «فتمثّلت لنا رسوم الصّحابة والسّلف الطّيّب، حيث اجتمعت العبادة والشّجاعة والعلم في ذلك الهيكل الشّريف، وهو شخص الشّيخ عليّ بن أحمد باصبرين». [4] فكان للشيخ ـ رحمه الله ـ

1) باحميش.. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص20.

2) باذيب جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص985.

3) الزركلي. خير الدين، الأعلام، جـ2، ص985، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م.

4) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص308.

منظراً مهيباً حتى تذكر عبيد الله السقاف برؤيته منظر السلف الصالح.

وقال علوي بن طاهر الحداد في وصفه في الشامل «ومن الباصبرين الشيخ علي بن أحمد باصبرين كان فقيهًا ذكيًّا، شجاعًا ذا عزم» [1]. فكان شجاعًا بكل المقاييس فهو بطل ورث الشجاعة والتقى.

ومن ثناء العلماء عليه ما وصفه مفتي حضرموت ابن عبيد الله بقوله: «كان جبلًا من جبال العلم عاملًا بعلمه داعيًا إلى ما هو مقتنع به» [2]؛ ووصفه في موطن بالعلامة الجليل مع تحريه في إطلاق هذه الألقاب العلمية كما أخبر عن نفسه في إدامه [3] بقوله: «وأنا في المدح أخوف مني في القدح» [4]. وقال عنه تلميذه عمر بن حسن الحداد: «هو إمام في كل العلوم» [5].

ومن ثناء العلماء عليه ما وصفه علي بن حسين العطاس في تاج الأعراس بقوله: «الشيخ الفاضل المناضل العالم العامل علي بن أحمد باصبرين» [6].

ووصفه علي بن سالم العميري في تراجم علماء جدة من الحضارمة بـ: «الفاضل

1) الحداد. الشامل تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص 572.
2) ابن عبيد الله. مرجع سابق، ص111.
3) باحميش، علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص60.
4) ابن عبيد الله. مرجع سابق، ص162.
5) باحميش. مرجع سابق، ص59.
6) العطاس. علي بن حسين، تاج الأعراس جـ1، ص630.

الفهامة الشيخ العلامة» [1].

ويذكر الزركلي أنّ هناك رسالة لأحمد بن علي القناوي في مناقب الشيخ علي بن أحمد باصبرين مخطوط في الظاهرية رقم 10364[2].

ووصفه أحمد المعلم بأنه: «كان عاملًا بعلمه داعيًا إلى التوحيد ويحذر من الشرك وزيف الخرافات» [3].

وقد وصفه جمع من مشاهير العلماء بأوصاف كثيرة تنبئ عن تمكنه من علوم الشريعة وصفاء سريرته، وقوة اعتقاده، وصلابته في السنة، واتباعه لها، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وغضبه لانتهاك حدود الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، كما وصف بالكرم والجود والزهد والورع وكثرة العبادة.

حالة حضرموت السياسية والفكرية خلال فترة باصبرين:

ضربت الفوضى السياسية أطنابها في حضرموت، لاسيما في الأودية والبوادي، وذلك لجهل الولاة والأمراء [4]، فكانت حضرموت مسرحًا للفوضى والاضطراب، إذ لم تستطع سلطة ما طول تلك المدة أن تحتفظ بكيانها أو توطد دعائمها وتضع بنيانها على أساس

1) العميري. علي بن سالم، تراجم علماء جدَّة من الحضارم، ص52، تحقيق خضر بن صالح بن سند، دار المحمدي.

2) الزركلي. الأعلام، جـ4، ص260.

3) المعلم، أحمد بن حسن، القبورية في اليمن، جـ1، ص285، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1424 هـ، 2003م.

4) باصبرين. المهمات الدينية، ص15.

ثابت نتيجة الضعف المادي والإداري الذي اتصفت به جميع السلطات المحلية بحضرموت [1]، ومن هنا ندرك عظم المرحلة التي عاشها الشيخ علي باصبرين، والتي تبرز تضحيته وبذله في سبيل نصرة دين الله تعالى وتبليغه، ومحاولاته تصحيح الواقع المرير الذي تعيشه بلاده حضرموت.

1) باوزير. سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ص335، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المكلا، حضرموت، الطبعة الثالثة، 1438هـ، 2017م.

المبحث الثاني: حياته العلمية والدعوية

اتجه الشيخ إلى طلب العلم في سن مبكرة، فأمضى مقتبل عمره في حل وترحال، ساعيًا إلى طلب العلم في حضرموت والحجاز ومصر، فكان جل أخذه ومشايخه من الأزهر، ولذا كان يتشوق إلى أشياخه بعد انقطاع عنهم. فمن رسالة له من القرحة 15 الحجة 1277هـ إلى بعض إخوانه ممن تربطه بهم علاقة تجارة يقول فيها:" وجعلنا هذا تجديد عهد، وقد طال شوقنا إلى رؤياكم، ورؤيا مشايخنا بالمحروسة " [1]. وكانت حياة حافلة بالتأليف وتحقيق الكتب والتدريس.

1. رحلاته العلمية:

بعد أن تلقى العلوم الأولية من أهل بلده وما جاورها غادر الشيخ باصبرين حضرموت قاصدًا أمهات المدن والأمصار التي كانت آنذاك مراكز علمية يوجد بها الكثير من العلماء، فقصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ثم لقائه العلماء الذين يحرص علماء الجهة عادة الجلوس معهم من أهل اليمن و الحجاز ومصر، ثم توجه إلى مصر ليزور علماءها وفضلاءها، حيث إن علاقة الحضارمة بالمصريين تعود إلى تقارب المنهاج، فكان علماء حضرموت دائمًا يحرصون على زيارتهم لهذا السبب، فأقبل الشيخ في مصر على مراكز العلم في الأزهر الذي اشتهر أمره فالتقى فيه بأفضل العلماء، واستغل رحلته في مدارسة العلم ومناقشة أهله، والنظر في ما لم يكن ببلده من أنواع الفنون والعلوم، ثم عاد إلى الحجاز وألقى رحله بجدَّة[2].

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص31.
2) باصبرين. المهمات الدينية، ص7 ،8.

2. شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

كان الشيخ باصبرين كثير الأخذ عن المشايخ، وهو ممن صحب الشيوخ الأجلاء من دون العشرين من عمره [1]. فتلقى الشيخ العلم بوادي دوعن لاسيما في مدينة الخريبة التي كانت محطّ رجال العلم من قديم الزمان [2]، وشهدت حركة فقهية على يد عالمها الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان الذي كانت مدرسته تعج بالطلبة [3] وكان يرتاد البلاد ويصل إلى تريم، ويسأل الفقهاء عن المشكلات منهم الشيخ عبدالله بن حسين بلفقيه الذي بعث له الشيخ بأسئلة يستفتيه فيها [4].

وأشهر شيوخه الذين أخذ عنهم:

1. العلامة الشيخ سعيد بن محمد باعلي باعشن [5] وهو أول من تفقه وطلب العلم عنه [6]، وقد صرح بأخذه العلم عنه [7].

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص31.
2) قنيوي. عبد الله بن أحمد، شعراء من وادي دوعن، ص13، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت، المكلا، الطبعة الأولى،2023م.
3) عصبان. الفرق والمذاهب في حضرموت، ص334.
4) عصبان. المرجع نفسه، ص334.
5) سعيد بن محمد باعلي باعشن: من علماء القرن الثالث عشر أخذ عن جماعة من علماء عصره منهم الشرقاوي والباجوري في مصر ونبغ على يديه جمع من التلاميذ توفى سنة 1270هـ.
6) باذيب. جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص983.
7) باحميش. مرجع سابق، ص31.

2. الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري [1]. وقد صرح بمشيخته في حاشية فتح المعين [2].
3. مصطفى بن حنفي بن حسن الذهبي [3] وقد صرح به في حاشية فتح المعين (4).
4. أحمد الدمياطي مفتي الشافعية بمكة وقد صرح به في حاشية فتح المعين وفي رسالة سلامة الحجاج [5].
5. الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان وهو من أكابر فقهاء حضرموت في وقته، وكانت مدرسته تعج بالطلبة من امثال الشيخ باصبرين [6].
6. محمد عابد الأنصاري [7]. وقد صرح الشيخ في بعض رسائله أنه شيخ مشايخه وذلك يدل على متانة سند الأخذ عنه خصوًصا في الفقه الشرعي [8].

---

1) إبراهيم بن محمد الباجوري: شيخ الأزهر ومن فقهاء الشافعية. ولد ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها حاشية على مختصر السنوسي في المنطق، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد وحاشية على كفاية العوام للفضالي، في علم الكلام، تقلد مشيخة الأزهر سنة 1263 هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة1221هـ.

2) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص31.

3) مصطفى بن حنفي الذهبي: عالم فاضل. مولده ووفاته بمصر. تصدر للتدريس، وصنف رسائل في تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمناسخة وتفسير غريب القرآن، توفي سنة ١٢٨٠ هـ.

4) باحميش. مرجع سابق، ص31.

5) باذيب. مرجع سابق، جـ2، ص983.

6) باصبرين. المهمات الدينية، ص6.

7) محمد عابد الأنصاري: فقيه حنفي، عالم بالحديث. من القضاة، تولى رئاسة علماء المدينة المنورة، فسكنها وتوفي بها سنة 1841م.

8) باحميش. مرجع سابق، ص31.

7. حسن القويسني [1].
8. محمد بن خليل الحسني المشيشي (ت1305هـ) [2].
9. عبد الله بن علوي الصافي [3]، كان الشيخ باصبرين مع شيخوخته يتردد إليه لطلب العلم فسألوه عن تكلفه لذلك فقال إنه من أهل البيت [4].
10. عبد الله بن حسين بلفقيه الذي بعث له الشيخ بأسئلة يستفتيه فيها [5].

تلامذته:

استقرّ الشّيخ عليّ في جدّة، حتى إنه عرف عند علماء الحجاز ب (عالم جدّة)، وانتفع بعلمه عدد من تلامذته؛ لكن الغموض يكتنف تلاميذه الذين تلقوا مختلف العلوم على يديه [6].

قال ابن عبيد الله: كان باصبرين له تجارة بجدة وكانت دار هجرته ونشر علمه وله بها تلاميذ كثيرون حيث جلس فيها للتدريس فأتقن التحقيق [7].

وقال العميري: (كان حريصًا على تربية طلبة العلم مشفقًا مرغبًا المبتدئين باذلًا جهده

1) حسن القويسني: ولي مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٠ هـ، له رسالة في المواريث وشرح متن السلم في المنطق سماه إيضاح المبهم من معاني السلم، توفي سنة ١٢٥٤ هـ.
2) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص31.
3) باذيب. جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص984.
4) باحميش. مرجع نفسه ص32.
5) عصبان. الفرق والمذاهب في حضرموت، ص334.
6) باصبرين. المهمات الدينية، ص28.
7) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص143.

في تعليمهم مواظبًا في أوقات دروسه وتلقين الطلبة وحثهم على التفهم والاعتناء بما يجلب لهم توطيد قواعد العلوم وفنونها) [1].

وأبرز تلاميذه على سبيل المثال:

1. العلّامة الشّيخ عبد الحميد بخش الهنديّ الحنفيّ أحد علماء مكّة. قرأ عليه في الفلك [2].
2. سالم بن عمر العميري وهو والد صاحب كتاب تراجم علماء جدة [3].
3. ابنه أحمد بن علي باصبرين [4].
4. الشيخ محمد بن علي بايحيى[5].
5. عمر بن حسن الحدّاد [6].
6. الشيخ عبد الله باحشوان أحد قضاة المكلا [7].
7. سالم بن أحمد بن محسن العطاس مفتي جوهور من بلاد الملايو (ت1361 هـ) [1].

---

1) العميري. تراجم علماء جده من الحضارمة، ص 40.

2) عبد الستار بن عبد الوهاب البكري، فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، ص1120، دراسة وتحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة، ط 2، 1430 هـ - 2009 م.

3) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص35.

4) أحمد بن علي باصبرين: فقيه، من أهل حضرموت. ولد وتعلم بها، وانتقل إلى جدَّة فدرّس فيها فقه المذاهب الأربعة. وتوفي في عدن، عن ستين عامًا. له كتاب في فقه المذاهب الأربعة.

5) باحميش. مرجع سابق، ص34.

6) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص309.

7) باذيب. جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص984.

8. حسن بن عمر الحداد وقد قرأ عليه قديمًا [2].

9. عفيفي المصري (ت ١٣٠٨ هـ) [3].

10. مبارك بن مساعد آل مبارك [4].

11. سالم بن أحمد بن عمر بامهير الدوعني، الذي نسخ بعض مؤلفاته [5].

3. مكانته العلمية وأبرز مؤلفاته:

حظي الشيخ باصبرين بمكانة علمية مرموقة، وقد أثنى عليه كل من ترجم له، وشهدوا له بالفضل والمعرفة، ووصفوه بغزارة العلم ونُبْل الخُلُق. كما وضع له القبول في حياته، وفي مؤلفاته بعد مماته، فكان من العلماء الرّاسخين، والفقهاء المبرزين، وله مؤلفات في علوم شتّى منها: علوم القرآن والفقه والفلك. واشتغل بمتون فقه الشافعي والشروح عليها وكتب عليها حواشي مفيدة، ومازال يعكف على فروع ابن حجر والرملي حتى بلغ به المقام أن جمع اختلافهما في بعض كتب الفقه، وقد كان له هذا العمل في وقت مبكر يرجع إلى سنة1255هـ [6].

1) عبد الستار بن عبد الوهاب البكري، فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، ص604.

2) باصبرين. المهمات الدينية، ص28.

3) باذيب. جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص984.

4) مبارك بن مساعد آل مبارك: ولد في بلدة عنيزة، ونشأ فيها. أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع وابنه الشيخ عبد العزيز والشيخ علي باصبرين وغيرهم. كان مولعًا بالشعر، ويحفظ منه الكثير، وله فيه القصائد الجيدة توفي سنة 1316 هـ.

5) باذيب. مرجع سابق، جـ2، ص984.

6) عصبان. الفرق والمذاهب في حضرموت، ص334.

أبرز مؤلفاته:

احتل الشيخ رحمه الله تعالى مكانة عالية بين علماء عصره، وذلك لما تميز به من سعة العلم والاطلاع، فخلّف الشيخ تراثًا علميًّا كبيرًا، فكان له قلم سيّال في المكاتبات والرسائل العلمية، عثر على الكثير منه وبقي القليل منه مفقودًا، حيث جمع ذلك أنور بن علي باحميش حوالي ثلاثًا وأربعين بين كتاب ومجلد ورسالة، ومن أبرز مصنفاته:

1) إثمد العينين في اختلاف الشّيخين

وهي رسالة في خلاف فقهي بين ابن حجر الهيثمي والرملي- والخلاف بينهما قليل جدًا-، فقام الشيخ بجمع مسائل الخلاف بينهما في العبادات، وقد جرد الشيخ الخلاف المذكور من كتاب بشرى الكريم لشيخه باعشن بعد ما طالعه سنة 1260هـ [1].

يقول ابن عبيد الله: «قال الشّيخ باصبرين في مقدّمة كتابه إثمد العينين: كان يختلج في صدري جمع ما تيسّر من الخلاف بين الرّمليّ وابن حجر، حتّى توجّهت من الحجاز إلى الدّيار المصريّة في سنة 1260 هـ فوجدت مع بعض الإخوان مؤلّف شيخنا العلّامة المحقّق، الورع الزّاهد، الشّيخ سعيد بن محمّد باعشن، المسمّى بشرى الكريم، فطالعته إلّا كرّاسين، وجرّدت ما فيه من الخلاف» [2].

2) المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية:

وهي رسالة ألفت سنة 1294هـ باسم الجمل من المهمات الدينية في بعض المرتكب

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص34.
2) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص348.

من المناهي الربانية، ذكرها علوي بن طاهر الحداد في الشامل والحبشي في مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، وحققها واعتنى بها أكرم مبارك عصبان الذي أسماها المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية، وقد قدمها بنبذة موجزة عن حياة الشيخ [1].

قال في مقدمتها: (ولقد جمعت في هذه العجالة خمسًا وسبعين مهمة من مهمات الدين مما عم الابتلاء بالتلبس بها، وقد أرسلت منها نسخًا عديدة لكل كبير بلد أو قرية، كل هذا خروجًا من عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركة، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح) [2].

لقد حصر المؤلف مجموعة من المناهي التي ارتكبها الناس، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسألة، أولت المهمات الأهمية البالغة لأصول الدين والتوحيد وإخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك ودواعيه وما علق بنفوس العامة من عقائد فاسدة منحرفة [3]. وأوضح في المهمات أحكام الصلاة والزكاة والحج، ووضح أحكام البيع والعقود وأفاض في باب النكاح وما يتعاطاه الناس من معاملات فاسدة وعادات سيئة، ولم يغفل الحكم والسياسة الشرعية بل شن هجومًا عنيفًا على الأعراف الجاهلية التي يحكم بها البوادي [4].

1) باصبرين. المهمات الدينية، ص32.
2) باصبرين. المرجع نفسه، ص35.
3) المعلم. القبورية في اليمن، ص 234.
4) باصبرين. مرجع سابق، ص32.

3) التحفة السنية المقربة في بيان مرمى جمرة العقبة:

ألفه على أثر وضع الدولة العثمانية عام 1291 هـ شباك الحديد على جمرة العقبة وأوضح فيه ما يجب مراعاته عند الرمي [1].

4) سلامة الحجاج في كل عام من رفض مختارات محمود الهمام:

يرد فيه على الشيخ محمود شكري في كتابه قطع التوهم الذي ألفه في الرد على كتاب الشيخ باصبرين التحفة السنية المقربة في بيان مرمى جمرة العقبة. وذكرت بعنوان رسالة في محظورات الإحرام في فهرس مكتبة مكة برقم 480 [2].

5) إتحاف الناقد البصير بخصوص صحيح الجامع الصغير

جرد فيه الجامع الصغير للسيوطي عن الحسن والضعيف، وكتب سنة 1284هـ بخط المؤلف في 161 ورقة برقم 3817 [3]. قال في مقدمته: هذا ما اشتدت إليه حاجة المحدثين من جمع صحيح أحاديث الجامع الصغير بعد تجريدها عن الحسن وعما لا يحتج به مطلقًا أو إلا في فضائل الأعمال ولا ينسب إلا مقيدًا إلى البشير النذير [4]. قال الشيخ الألباني: إنه اطلع عليه في مكتبة الحرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث قال إنه يتابع السيوطي على

1) باذيب جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص17.

2) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص44.

3) الحبشي. عبد الله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص92، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1425 هـ، 2004 م.

4) الكتاني. محمد، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ص19، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ.

تصحيحه دون تحقيق من قبله وأنه أورد فيه أحاديث في حسنها نظر فضلًا عن صحتها [1].

6) إرشاد كمل العبيد لخالص التوحيد:

وأحال عليه في المهمة التاسعة من المهمات الدينية، وسماه هناك إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص التوحيد [2]. ويبرز اتجاهه التجديدي في هذا الكتاب [3].

7) صواب القول الأحرى في إعادة الجمعة جمعة أو ظهرًا:

وهي جواب عن سؤال حول من بدّع من يعيد الجمعة ظهرًا عند الخلاف في صحتها، رد فيه على من أفتى بذلك وقرر ما عليه الشافعية في المسلك. واختصر هذا في نصح الأحكام [4].

8) كنز السعادة في أصول العبادة:

وهو متن فقهي، ذكره المترجَم في مقدمة كتابه إعلان نصح الحكام، فرغ من تأليفه في 4 جماد الأولى 1271هـ [5].

9) إعلان نصح حكام الإسلام بشروط الصحيح من باطل الأحكام:

وهذا الكتاب في القضاء ويدرج في جهود فقهاء حضرموت لخدمة القضاء الشرعي

1) المعلم. القبورية في اليمن، ص 287.
2) باحميش. مرجع سابق، ص39.
3) المعلم. مرجع سابق ، ص 223.
4) باحميش. علاّمة حضرموت وجدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص39.
5) باذيب جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص987.

وتأليفه بعد المهمات، لأنه قصد من تأليفه تتميم المهمات ثم جعل كتابًا مستقلًا [1]. ذكره الحبشي في مصادر الفكر بـ إعلان نصح حكام الإسلام بشروط الصحيح من باطل الأحكام [2].

10) **معاتبة الإخوان:**

ذكرها الزركلي بمعاتبة الأحبة الإخوان [3]، وهي رسالة بعث بها إلى الشيخ العلامة رحمت الله خليل الكيرانوي (ت 1306 هـ) نزيل مكة [4].

11) وله مؤلفات في علم الفلك منها:

أ. دفتر في فن الميقات.

ب. المنحة الجزلة في معرفة عين القبلة ومعرفة رؤية الأهلة.

ج. إتحاف المؤذنين.

د. الرياض البهية في المنازل الشبامية.

هـ. زبدة النصوص والأدلة في حدود رؤية الأهلة [5].

وله مؤلفات أخرى منها كتب في الفقه الشافعي وكتب في الفقه على المذاهب الأربعة، وله مصنفات في الحواشي الفقهية وله في بعض المسائل الفقهية إضافة إلى تلك الكتب هناك

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص39.
2) الحبشي. عبد الله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص33.
3) الزركلي. الأعلام، جـ4، ص260.
4) باذيب جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص 996.
5) باحميش. مرجع سابق، ص45.

كتاب في الفلك والحساب فمن اهتمامه بالحساب امتحانه الكيل والوزن الذي ببلده، والبحث في مقداره بحساب الدرهم الشرعي، والمد النبوي ليتم معرفة أنصبة الزكاة وبيانها بالعملة المتداولة آنذاك [1].

1) باصبرين. المهمات الدينية، ص22.

المبحث الثالث: جهود الشيخ علي بن أحمد باصبرين الدعوية والإصلاحية

1. جوانب مضيئة من شخصيته:

كان رحمه الله شخصية طموحة تسعى للتغيير بجميع وسائله فكان جريئًا في قول الحق، ومن أبرز الجوانب المضيئة في شخصيته ما يأتي:

– شجاعته:

من أبرز صفات الشيخ، قوته في الحق والصدع به والشدة فيه، فكان صريحًا شجاعًا لا يماري ولا يجامل، بل يقول الحق ولو كان مُرًّا، لا يخاف فيه لومة لائم، ولو كان العوض في ذلك متاعب لا آخر لها [1]. وكان قوالًا بالحق يصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2]، وكان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات والعمل على تغيير بعضها باليد، وينهى عن المنكر ولو على الأمراء لا يخشى من سطوتهم [3]، حيث اجتمعت فيه العبادة والشّجاعة والعلم [4].

–مواقف من شجاعته:

يقول عنه علوي بن طاهر الحداد (ت 1382 هـ): «كان شجاعًا ذا عزم لايزال متمنطقًا بمسدس أو مسدسين» [5]. فكان إذا سار في قريته سار بسلاحه. يقول عبيد الله

1) عصبان. الفرق والمذاهب في حضرموت، ص334.
2) باذيب جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص985.
3) باصبرين. المهمات الدينية، ص15.
4) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص308.
5) الحداد. الشامل تاريخ حضرموت ومخاليفها، 572

السقاف: «وما كاد يخرج من المسجد إلّا وبندقيّته على كتفه إلّا وأشعل النّار في فتيلتها، فقلنا له: ما شأنك؟ قال: بيننا وبين قوم قتل ولم نأخذ صلحًا، فتمثّلت لنا رسوم الصّحابة والسّلف الطّيّب، حيث اجتمعت العبادة والشّجاعة والعلم في ذلك الهيكل الشّريف، وهو شخص الشّيخ عليّ بن أحمد باصبرين». [1]

-غيرته على الإسلام والمسلمين وتحرقه لما يجري للمسلمين في عصره:

كان الشيخ ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات والعمل على تغيير بعضها باليد، وكان مهتمًّا بأمر المسلمين، وكثيرًا ما كان يتألم لتأخرهم، ومما يدل على هذا كتابه بشارة الانتصار في توهين قواعد الكفار، حيث يذكر في كتابه حال الأمة وما آلت إليه من تسلط أعدائها على مقدراتها ووهن وضعف حكامها وغفلة شعوبها وأهل الفضل فيها[2].

يقول العميري وهو الذي أثار العوام على الأبنية في الجمرات وذكر دوره في حادثة الجمرات وجهوده في سبيل إعادتها على وضعها القديم وغير ذلك من الإصلاحات، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى على الحكام على قدر استطاعته، ومع إخلاصه في ذلك، كان مسموع الكلمة، وله في القلوب تأثير [3]. ولعظم جاه الشيخ أثار العوام على إزالة الشباك والبناء الزائد الذي وضع في الجمرات [4].

1) ابن عبيد الله. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص308.
2) باحميش. علاّمة حضرموت وجدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص73.
3) العميري. تراجم علماء جدَّة من الحضارم، ص52.
4) باحميش. مرجع سابق، ص132.

مواقف من غيرته على الإسلام والمسلمين:

دوره في حادثة القناصل 1274هـ:

حادثة القناصل واقعة مشهورة، وقعت بجدة زمن حكم الأشراف [1]. وتفصيل هذه الموقعة أن شائعة انطلقت في جدة في ذلك الزمان مفادها أن القنصل الانجليزي دعس العلم العثماني بقدمه في إحدى البواخر الراسية في الميناء، واعتبر الأهالي أن هذ العمل الذي قام به القنصل الانجليزي إهانة للعلم الذي هو رمز الإسلام فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسي كما قتل في هذه الحادثة بعض الافرنج المقيمين بجدة ونهبت دورهم.

استشاطت حكومة الانجليز غضبًا لما حل بقنصلها وغيره من الفرنجة فأرسلت بعض قطع أسطولها إلى ميناء جدة، وأطلقت بعض هذه القطع قنابلها على المدينة فألحقت الخراب ببعض أجزائها، ولم تستطع القلعة البحرية مقابلة هذا الهجوم بما لديها من مدافع قديمة وأسلحة أكل عليها الدهر وشرب. وقد رأت الدولة العثمانية أن من الحكمة تسوية هذه المسألة فأجرت تحقيقًا في الحادث الخطير، وعاقبت القائمين به والمحرضين عليه بالقتل والنفي، وقد نفذ القتل في عبد الله المحتسب الذي كان محتسب مدينة جدة- هو رئيس البلدية- وسعيد العمودي وغيرهم وكان من ضمن المنفيين الشيخ يوسف باناجة، ونفي آخرون إلى جزيرة قبرص [2].

وكانت هذه الحادثة قد وقعت والشيخ بجدة، يقول علوي بن طاهر الحداد:

1) ذكرها المؤرخ احمد زيني دحلان في كتابه امراء البلد الحرام من ص367 الى 370.

2) مغربي. محمد علي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، جـ2 ص243، 244، مطابع دار البلاد، جدَّة، الطبعة الثانية، 1415هـ، 1994م.

«وأحسب أن له يدًا في الثورة التي وقعت بجدة على قناصل الدول وهي واقعة مشهورة» [1]. ومن تلك الحادثة يتبين أن للشيخ يدًا، فهو من أكابر علماء جدة ووجهائها ومن تجارها وكان لا يجد حرجًا في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة للمسلمين والغيرة للمسلمين والغيرة الشديدة على دين الله ولما وقع على المسلمين من ذلة وضعف ووقوع في المناهي الربانية [2].

–صدعه بما يراه حقاً ولو كان ما كان:

مما يدل على هذا موقفه من وضع شبك حديدي في الجمرات سنة 1292هـ ففي عام 1291هـ وقد وضعت الدولة العثمانية شبكًا حديديًّا على جمرة العقبة لمنع الزحام وذلك بفتوى من بعض علماء مكة فاعترض على هذا العمل بعض العلماء وأشدهم اعتراضًا الشيخ علي باصبرين عالم جدة. الذي ألف التحفة السنية المقربة في بيان مرمى جمرة العقبة [3]وأثار العوام على الأبنية التي جعلت على الجمرات الثلاث بمنى، فهجموا عليها وأخربوها [4].

قال الشيخ عبد الله البسام وقد اعترض على إحداث هذا الشباك بعض العلماء، وأشدهم إنكارًا له الشيخ علي باصبرين (عالم مدينة جُدَّة في زمنه) فقال في رسالة له:(إن المقصود من وضع ذاك الشباك رفع معظم زحمة الرامين، وهو حسن غير أنه بالتحويط بذلك الشباك على ما يعتبر فيه الرمي وما لا يعتبر يحصل إيهام العوام، فيتوهمون أن جميع ما أحاط بذلك مرمى، وليس الأمر كذلك، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح). واقترح لمعالجة

1) الحداد. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، جـ 1، ص 135.
2) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص79،76.
3) باذيب جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، جـ2، ص17.
4) الحداد. مرجع سابق، جـ 1، ص572.

ذلك (إحداث شباك ثانٍ من حديد، يكون بقدر منصوص المرمى المتفق عليه) وكذلك أن توضع (دكة مرتفعة على المرمى المذكور بخصوصه ليميز من غيره مما أحاط بالشباك الحادث من الأرض التي لا يجزئ الرمي فيها، وإما بإزالة هذا الشباك الحادث الموهم). وبعد ذلك أزيل الشباك محل الاعتراض وبنيت أحواض حول الجمار الثلاث، وذلك في عام اثنين وتسعين و مئتين وألف من الهجرة (1292هـ)[1]. وقد اقتنع شريف مكة برأي الشيخ الذي أيده الكثير من المفتين فسارع إلى إزالة ما زاد من البناء على الجمرتين وأعيد البناء على الثلاث بالقيد الذي يراه الشيخ، ولما كان هو القائم على رؤوس الأشهاد في إزالة المفسدة والمتصدر للحديث فيها مع شهرته حينئذ نسب الإصلاح إليه، وهو جدير بذلك [2].

2 –الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد كان الشيخ باصبرين جبل من جبال العلم، وقلعة من قلاعه، شخصية فذة ونادرة، وقد أولى الأهمية البالغة لأصول الدين والتوحيد وإخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك ودواعيه وما علق بنفوس العامة من عقائد فاسدة منحرفة [3]. ولقد كان عالمًا عاملًا ناصحًا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فكان رحمه الله لا يحابي في دين الله أحدًا، ولو أدى به ذلك إلى أن يموت أو أن يعادي أو ينفر عنه من لم يأخذ برأيه، فإنه ينادي بما يراه دينًا وحقًا على رؤوس الأشهاد ويظهره في كل نادٍ ويراسل به الأئمة والقضاة والعلماء والأمراء

1) المصلح. خالد بن عبد الله، الزحام وأثره في أحكام النسك، ص77، مكتبة دار المنهاج.
2) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص132.
3) باصبرين. المهمات الدينية، ص32.

والوجهاء وعامة الناس [1].

مآثر من حياته الدعوية:

تحرر الشيخ من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير، وحسبه ذلك مادام مجتهدًا باحثًا عن الحق جادًا في العمل به والدعوة إليه، فقد تأثر الشيخ بالدعوة النجدية [2]. والتأثير الذي وصل إليه كان جزءًا من تعليمه في الحجاز [3]، وقد جرت بينه وبين علماء حضرموت مناقشات ومناظرات، وكان منكرًا على بعض البدع أشد الإنكار، وقد أفرد لها كتبًا مستقلة منها:" إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد" و"المهمات الدينية" التي شملت على خمس وسبعين مسألة، أولت الأهمية البالغة لأصول الدين والتوحيد وإخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك ودواعيه وما علق بنفوس العامة من عقائد فاسدة منحرفة [4]. وأوضح في المهمات أحكام الصلاة والزكاة والحج، ووضح أحكام البيع والعقود وأفاض في باب النكاح وما يتعاطاه الناس من معاملات فاسدة وعادات سيئة، وما كانت عليه حضرموت من واقع سيء، لاسيما في البوادي، والفوضى التي ضربت أطنابها لغياب الدولة القوية التي تحكم البلاد. واهتم الشيخ بالحديث اهتمامًا كبيرًا، وأخرج لنا اهتمامه بالحديث كتاب " إتحاف الناقد البصير بخصوص صحيح الجامع الصغير". ومن مآثره الجدول المشهور في حساب الفلك لعرض جُدّة، وكان معمولًا به إلا أنه اعترض عليه في سنة

1) باحميش. علاّمة حضرموت وجُدَّة الإمام علي بن أحمد باصبرين، ص71.
2) عصبان. الفرق والمذاهب في حضرموت، ص334.
3) باخيل. إدراك الفوت في ذكر قبائل تاريخ حضرموت، ص3.
4) المعلم. القبورية في اليمن، ص 234.

1361هـ ولم يتحقق إخلاله [1]، كما عمل الجداول في حساب العملات المتداولة بين الناس واستفاد من شيخه مصطفى الذهبي وكان قد حقق ذلك سنة 1255هـ، بمصر فخاض معه في هذا المضمار أيام كان بمصر [2].

والحديث عن الشيخ باصبرين ومناقبه يطول لكن البحث لا يتيح لنا الإطالة، وهكذا من خلال هذه الصفحات تتضح بعض الآثار البارزة من حياة الشيخ علي بن أحمد سعيد باصبرين الذي يعتبر من الشخصيات المهمة والمؤثرة في تاريخ حضرموت.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى على توفيقه إياي على إتمام هذا البحث وأساله أن يتجاوز عما قصر عنه فهمي وغاب عنه ذهني، وبعد:

فقد توصلت إلى نتائج من خلال دراستي لجهود الشيخ علي بن أحمد بن سعيد باصبرين متعددة، وخلال بحثنا تناولنا الكثير من هذه الجوانب المضيئة في حياته. وكانت هذه الرحلة التي أمضيتها في هذه الدراسة قد خرجت بنتائج جديرة أن أشير إليها وأسجل خلاصة لها في هذه الخاتمة ومن هذه النتائج:

1. اهتمام الشيخ علي بن أحمد بن سعيد باصبرين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان متميزًا بالشجاعة يوالي في الله، ويعادي في الله، يدور مع الحق حيث دار لا يخشى في الله لومة لائم.

1) باصبرين. المهمات الدينية، ص28.
2) باصبرين. المرجع نفسه، ص28.

2. سعة اطلاع الشيخ علي بن أحمد باصبرين، فقد كان واسع الاطلاع في فنون عديدة في الفقه والحديث وعلوم اللغة والصرف والفلك وعلوم القرآن.
3. لعب الشيخ علي بن أحمد باصبرين دورًا مهمًّا ومؤثرًا في الحياة الدعوية والسياسية والاجتماعية في حضرموت وخارجها، فخلّف سيرة زاخرة وذكريات نضرة وحافلة بالدعوة والجهاد.
4. سلك الشيخ علي بن أحمد باصبرين مسلك التحرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه فكان مجتهدًا باحثًا عن الحق جادًا في العمل به والدعوة إليه.

وفي الختام وبعد أن تعرفنا على مسيرة الشيخ باصبرين الدعوية والعلمية أوصي بطبع وتحقيق ودراسة مؤلفات الشيخ ليعمّ النفع بها. وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. البكري. عبد الستار بن عبد الوهاب، *فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي*، دراسة وتحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة، ط 2، 1430 هـ - 2009 م.
2. الحداد. علوي بن طاهر، *الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها*، تحقيق/ محمد أبوبكر باذيب، دار الفتح، الأردن، الطبعة الأولى،1438هـ، 2017م.
3. باحميش. أنور علي عمر، *علاّمة حضرموت وجُدّة الإمام علي بن أحمد باصبرين رحمه الله تعالى (1228هـ- 1304هـ) مناقشة فكر- تحديد انتماء- بيان آراء*، مكتبة تريم الحديثة، حضرموت، الطبعة الأولى، 1434هـ، 2013م.
4. باخيل. علي بن محمد بن عبد الله باخيل آل بابطين النَّوَّحي، *إدراك الفوت في ذكر قبائل تاريخ حضرموت، معجم لقبائل البادية وسكان الحاضرة في تاريخ حضرموت*، دار إعمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1429هـ، 20098م.
5. باذيب. محمد أبوبكر، *جُهودُ فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي*، دار الفتح، الأردن، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م.
6. . الزركلي. خير الدين، *الأعلام*، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م.
7. سيد قطب. *في ظلال القرآن*، دار الشروق، بيروت، القاهرة الطبعة السابعة عشرة، 1412 هـ.
8. . باصبرين. علي بن أحمد، *المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية*، اعتنى أكرم مبارك عصبان، مطبعة وحدين الحديثة، المكلا..

9. الطبراني. سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة، الثانية..

10. ابن عبيد الله. عبد الرحمن السقاف، *إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت*، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

11. عصبان. أكرم مبارك، *الفرق والمذاهب في حضرموت*، دار حضرموت للدراسات والنشر حضرموت، المكلا، *الطبعة الأولى، 2010م*

12. العطاس. علي بن حسين، *تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس*، منارة القدس، اندونيسيا.

13. العميري. علي بن سالم، *تراجم علماء جدة من الحضارم*، تحقيق خضر بن صالح بن سند، دار المحمدي.

14. باغيثان. علي سالم بكيّر، *رجال وكتب*، دار حضرموت للدراسات والنشر حضرموت، المكلا.

15. قنيوي. عبد الله أحمد، *شعراء من وادي دوعن*، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت، المكلا، الطبعة الأولى، 2023م.

16. الكتاني. محمد بن جعفر، *الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ.

17. المصلح. خالد بن عبد الله، *النزحام وأثره في أحكام النسك*، مكتبة دار المنهاج

18. المعلم. أحمد بن حسن، *القبورية في اليمن*، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، صنعاء، الطبعة الأولى 1424 هـ، 2003م.

19. مغربي. محمد علي، *أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة*، مطابع دار البلاد،

جدة، الطبعة الثانية، 1415هـ، 1994م.

20. باوزير. سعيد عوض، *الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي*، مطبعة وحدين، المكلا، حضرموت،1432هـ، 2011م.

21. باوزير. سعيد عوض *معالم تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام حتى منتصف القرن العشرين الميلادي*، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المكلا، حضرموت، الطبعة الثالثة، 1438هـ، 2017م.

أثر السلوك الدعوي على الداعية في ضوء القرآن الكريم

د. فايز حسان سليمان أبو عمرة
أستاذ التفسير المساعد
قسم الدراسات الإسلامية وأساليب تدريسها
كلية الآداب -جامعة الأقصى

تاريخ استلام البحث: 2023/06/11م تاريخ قبوله للنشر: 2023/07/04م

الملخص:

استهدفت الدراسة التعرف إلى مدى التزام الداعية بآداب المنهج السليم للدعوة، ومدى استفادة الداعية من أحداث السيرة من خلال القرآن في خدمة الدعوة، والتعرف إلى مدى استفادة الداعية من القصص القرآني في دعوته، وكذلك هدفت إلى بيان جهل الداعية وأثره على دعوته للناس، ومن أهدافها بيان التعصب الفكري والمذهبي عند الدعاة وأثره على الدعوة، واستخدم الباحث المنهج التحليلي من خلال كتب التفسير وأقوال العلماء وتوصل الباحث إلى نتائج من أهمها: أن الداعية لابد أن يكون مخلصًا لما يدعو إليه، صادق اللهجة فيه، وإلا انكشف سره، وافتضح أمره، فإن ثياب الزور تشف عما وراءها، وعند ذلك يكون وبالًا على الدعوة، ولابد للداعية أن يكون على منهج سليم فيما يدعو إليه، وعلى استقامة وأن يكون مخلصًا لعقيدة التوحيد، متجسدًا عليه واقعًا عمليًا، والدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الداعية الصبر على المدعوين، وكظم الغيظ، ولا يتعجل ولا يضيق صدرًا لعدم استجابة المدعوين له، فطريق الدعاة ملبد بالأشواك، وإن من أهم مشكلة تواجه الدعاة هو الغلو في الدين، لذا على الداعية الالتزام بمنهج الوسطية في الدعوة إلى الله تعالى لنشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

الكلمات المفتاحية: السلوك الدعوي- التطرف- الضعف.

The impact of advocacy behavior on the preacher in the light of Holy Quran

Dr. Fayez Hassan Suleiman Abu Amra
Assistant Professor of Interpretation
Department of Islamic Studies and Teaching Methods
Faculty of Arts - Al-Aqsa University

Received: 11/06/2023 Accepted: 04/07/2023

Abstract:

The study aimed to identify the extent of the preacher's commitment to the ethics of the proper approach to the call, and the extent to which the preacher benefited from the events of the biography through Qur'an in the service of the call. Among its objectives is a statement of the intellectual and doctrinal intolerance of the preachers and its impact on the call, and the researcher used the analytical approach through the books of interpretation and the sayings of the scholars. The garment of falsehood reveals what is behind it, and at that time it becomes a scourge on the call, and the preacher must be on a sound methodology in what he calls to, and on integrity and be faithful to the doctrine of monotheism, embodied in it as a practical reality, and the call to Allah Almighty requires patience from the caller to those who are invited, and restraining anger One of the most important problems facing preachers is extremism in religion, so the preacher must adhere to the method of moderation in calling to Allah Almighty to spread the call of Islam, preserve the cohesion of the Muslim community, and call to Islam. Allah's way with wisdom and good preaching and arguing in a way that is best.

key words: Advocacy behavior, extremism, weakness**.**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

تتسم الدعوة الإسلامية بالوسطية لتتوافق مع أحوال الناس، وهذا السلوك يعمل على ترغيب الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، ونبذ الشرك والزيغ والانحراف عن منهج الله القويم، فالدعاة إلى الله تعالى يبلغون عن رب العزة فيما بلغهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيما وصف رب العزة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران:159).

إن الرفق واللين من جانب الدعاة إلى الله تعالى للمدعوين يدل على فقه الداعية، وفهمه لدين الله تعالى، فوعظ أهل الشرك والمعاصي من قبل الدعاة لم يقم على الغلظة والشدة؛ بل الرفق واللين؛ بينما الغلظة والشدة إنما تجب في انتهاك حد من حدود الله تعالى، وقد وجه رب العالمين نبي الله موسى- عليه السلام- أن يذهب إلى فرعون مدعي الألوهية من دون الله تعالى بأن يقول له قولًا لينًا لعله يهتدي، ويستجيب إلى دين الله تعالى، قال تعالى ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (43) فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه: 44).

فالداعية لا بد أن يكون مخلصًا لدعوته صادقًا فيما يدعو إليه، ليكون لقوله أثر على المدعوين، وهذا النهج الذي تربى عليه أنبياء الله تعالى.

إن التزام الداعية بالمنهج السليم، وبعقيدة التوحيد تجعل الداعية على استقامة بعيد عن أهل الزيغ والضلال، متبعًا منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام القائم على هداية الخلق،

وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: 108).

ومن أخطر ما يواجه الدعاة إلى الله تعالى الغلو في الدين، والتزام الداعية بمنهج الوسطية يعتبر من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فحاجة المجتمع إلى دعاة الاعتدال يعمل على حفظ الدين وحفظ الشريعة الإسلامية من الأفكار المنحرفة.

ومما جعلني أكتب هذا البحث ما للعلماء من أهمية وتأثير على المدعوين بشكل خاص، وعلى المجتمعات بشكل عام، فكان عنوان البحث (**أثر السلوك الدعوي على الداعية في ضوء القرآن الكريم**)

أسئلة البحث:

- ما تعريف السلوك الدعوى لغة واصطلاحًا؟
- ما مدى التزام الداعية بآداب المنهج السليم للدعوة؟
- كيف يمكن الاستفادة من أحداث السيرة من خلال القرآن في خدمة الدعوة؟
- ما مدى استفادة الداعية من القصص القرآني في دعوته؟
- ما أثر جهل الداعية على دعوته للناس؟
- ما أثر انحراف الداعية عن المنهج القويم نتيجة التعصب الفكري؟

أهداف البحث:

1. بيان التزام الداعية بآداب بالمنهج السليم للدعوة.
2. بيان ضرورة استفادة الداعية من أحداث السيرة من خلال القرآن في خدمة الدعوة.
3. التعرف إلى ضرورة استفادة الداعية من القصص القرآني في دعوته.

4. بيان أثر جهل الداعية على دعوته للناس.
5. بيان أثر التعصب الفكري والمذهبي والتشدد الديني عند الدعاة على الدعوة.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على تحليل الآيات القرآنية من خلال الرجوع إلى أقوال المفسرين وأقوال العلماء في بيان دور الداعية في نشر الوعي الديني في المجتمع، وبيان أهمية سلوك الداعية كقدوة حسنة للمدعوين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في بيان دور السلوك الدعوي عند الداعية باتباع المنهج السليم، ومدى التزام الداعية بالمنهج السليم، وذلك من خلال استحضار أحداث السيرة النبوية، والبعد عن التطرف والتعصب الديني والمذهبي، وأثر ذلك على الدعوة الاسلامية.

الدراسات السابقة:

أولًا: الحس الدعوي وأثره في خدمة التفسير الهدائي عند سيد قطب في ظلاله، وهذه الدراسة خاصة بتفسير سيد قطب، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، ومن أهم أهداف الدراسة التعرف إلى الدعوة والتفسير الهدائي كذلك الدعوة في ميزان الشرع عند سيد قطب. أهم نتائجها: 1- أن الدعوة إلى الله هي نهج الأنبياء وسير الأتقياء من خلفهم.

2- أن البيئة الأسرية صاحبة الدور الأول والأساس في إنبات حب الإيمان في نفوس أبنائها، وتوثيق علاقتهم بالله تعالى.

ثانيًا: أثر البلاغة النبوية في نفوس المدعوين ومدى استفادة الدعاة من ذلك، د. حسين حامد عمر الديب، مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالقاهرة،واتبع الباحث المنهج الاستقرائي، وهدفت الدراسة إلى تعريف البلاغة، كما هدفت إلى بيان أثر

البلاغة النبوية في نفوس المدعوين في الجانب العقدي .أهم نتائج هذه الدراسة أن السنة النبوية قد حوت قمة الإعجاز مع روعة العبارة، حيث تخلو ألفاظها من اللغو والعبث والزيادة والتكلف بمدلولاتها التشريعية المباشرة وغير المباشرة.

ثالثًا: المنهج العاطفي وأهميته في الدعوة إلى الله (دراسة دعوية لأهم أساليب دعوة الشباب الجامعي في ضوء السيرة النبوية)، حافظ عبد المنان زاهدي، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج العاطفي إلى الله من خلال السيرة النبوية، في تربية الشباب الجامعي، واتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، ومن أهم أهدافها التعرف إلى أهمية ومواطن استعمال المنهج العاطفي في الدعوة الإسلامية.

ومن أهم نتائجها: المنهج العاطفي هو مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على القلب، وتحرك شعور المدعو ووجدانه وتحفزه على استجابة الدعوة.

خطة البحث:

التمهيد: وفيه مطلبان

المطلب الأول: السلوك الدعوي في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الدعوة في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: صلاح السلوك الدعوي للداعية

المطلب الأول: التزام الدعاة بآداب المواعظ والسلوك الدعوي القويم.

المطلب الثاني: التزام الداعية بالمنهج الدعوي السليم.

المطلب الثالث: التزام الوسطية في السلوك الدعوي.

المبحث الثاني: استحضار أحداث السيرة من القرآن الكريم، وأثره على السلوك الدعوي

المطلب الأول: أثر استحضار السيرة على السلوك الدعوي للمدعوين.

المطلب الثاني: القصص القرآني من أهم وسائل السلوك الدعوي.

المطلب الثالث: الفكاهة والطرفة في السلوك الدعوي.

المبحث الثالث: ضعف الحس الدعوي عند الداعية

المطلب الأول: جهل الدعاة بالسلوك الدعوي يضر بالدعوة ويؤخرها.

المطلب الثاني: التعصب الفكري والمذهبي عند الداعية.

المطلب الثالث: أثر انحراف الداعية عن الطريق القويم في الالتزام بالسلوك الدعوي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

وفيه مطلبان

المطلب الأول: السلوك الدعوي في اللغة والاصطلاح

البند الأول: السلوك في اللغة

يقول ابن فارس: "السين واللام والكاف أصلٌ يدل على نفوذ شيء في شيء. يقال سلكت الطريق أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته"[(1)].

وقال الفيروزآبادي "سلك المكان سلكاً وسلوكاً وسلكه غيره"[(2)]

قال الجوهري "السلك بالفتح: مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلك، أي أدخلته فيه فدخل"[(3)].

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 97/2، دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م.

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، (ص: 1218)

(3) الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، 1591/4 دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: 1407 هـ - 1987 م.

وجه السلوك في القرآن ومشتقاتها:

وردت استعمالات مادة (سلوك) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

أولًا: أسلك بمعنى أدخل قال تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ (القصص: 32)، وقوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ (المدثر: 42) بمعنى ما أدخلكم في سقر[1].

ثانيًا: السلك جاءت بمعنى الجعل، قال تعالى: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا﴾ (الجن: 27)، بمعنى يجعل له حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن[2].

ثالثًا: السلك بمعنى التكليف قال تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابًا صعدًا﴾ (الجن: 17) بمعنى عذابًا شديداً شاقاً موجعًا لا راحة معه[3].أي يكلف هذا العذاب الشديد.

رابعًا: السلك بمعنى الترك، في قوله تعالى ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ (الحجر: 12)[4]، أي نترك الشرك في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى[5].

وبالنظر في معنى السلوك من خلال المعنى اللغوي، ووجوه مادة سلك في القرآن

(1) انظر: ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 398/5، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1422 هـ.

(2) انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد، التفسير الكبير، 679/30 دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: 1420 هـ.

(3) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، 243/8، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1420هـ - 1999 م.

(4) انظر: الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (ص: 243- 244) دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة: 1980.

(5) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 4/ 527.

الكريم نجدها تدل على دخول طريق سواء كان ذلك قويمًا أو طريقًا خاطئًا.

البند الثاني: السلوك الدعوي في الاصطلاح

السلوك الدعوي للداعية من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ومن الناحية الاصطلاحية هو السلوك الذي يرضاه الإسلام ولا يخرج عن تعاليم ديننا الحنيف، عرف التهاوني السلوك بأنه: "السعي الذي يقوم به السالك في سيره في طريق الله حتى يصل إلى مقصوده"[1].

ومن خلال ما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية يمكن أن أعرف السلوك بأنه: سلوك الداعية منهجًا قويمًا في رضا الله في دعوته للمدعوين.

المطلب الثاني: الدعوة في اللغة والاصطلاح:

البند الأول: الدعوة في اللغة

قال ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك"[2].

وقال الأزهري: "الدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة"[3].

البند الثاني: الدعوة في الاصطلاح

وقد عرف ابن تيمية الدعوة بتعريف جامع شمل فيها جميع أركان الدين فقال: "الدعوة

(1) التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، 969/1، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.

(2) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 279/2، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

(3) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، 78/3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى: 2001م.

إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[1]

(1) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 157/15، مجمع الملك فهد،1416هـ/1995م.

المبحث الأول: صلاح السلوك الشخصي للداعية

المطلب الأول: التزام الدعاة بآداب المواعظ والسلوك الدعوي القويم

حث سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم باللين والرفق في الدعوة إليه والنهي عن تنفير الناس، وهذا السلوك يرغب المدعوين في قبول الدعوة، وقبول كل ما يصدر من الدعاة، وهذا السلوك المتبع في الدعوة اتصف به أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران:159).

الدعوة تحتاج إلى اللين وعدم الغلظة من الدعاة، والخطاب في الآية الكريمة موجه للنبي صلى الله عليه وسلم في مخاطبة أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فوعظ أهل المعاصي والجهل والرذائل من قبل الدعاة يجب الاقتداء فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن حزم رحمه الله في أهمية التزام الدعاة بآداب المواعظ: "الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والغلظة فقد أخطأ وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم وصار في أكثر الأمر مغريًا للموعوظ بالتمادي على أمره لجاجًا وحردًا ومغايظة للواعظ الجافي، فيكون في وعظه مسيئًا لا محسنًا. ومن وعظ ببشر وتبسم ولين وكأنه مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستفتح من الموعوظ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة، فإن لم يتقبل فلينتقل إلى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، فهذا أدب الله في أمره بالقول واللين. أما الغلظة والشدة فإنما تجب في حد من حدود الله تعالى، فلا لين في ذلك للقادر على إقامة الحد خاصة، ومما ينجع في الوعظ أيضًا الثناء بحضرة المخطئ على من فعل خلاف فعله، فهذا داعية إلى عمل الخير، وما أعلم لحب

المدح فضلًا إلا هذا وحده، وهو أن يقتدي به من يسمع الثناء، ولهذا يجب أن يؤرخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه ويتعظ بما سلف"[1].

والرفق واللين من جانب الداعية إلى المدعوين يدل على فقه الداعية، فالغلظة آثارها سيئة على المدعوين، عن عائشة، قالت: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر. فتنزه عنه ناسٌ من الناس، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشيةً»[2].

ولو نظرنا إلى أسلوب الدعوة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم مع المدعوين في حال وجود أي خطأ أو زلل لم يكن يذكر اسم ذلك المخطئ؛ بل يترفق به فيقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتد قوله في ذلك، حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[3].

(1) ابن حزم، علي بن أحمد، الأخلاق والسير- - تحقيق: عادل أبو المعاطي، (ص: 133- 134)، دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1408هـ=1988م، بتصرف يسير.

(2) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: الفضائل، باب: علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته، (ح: 2356)، 1829/4، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب: الأذان، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة، (ح: 750)، 150/1، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: 1422هـ.

ومن بلاغة القرآن الكريم في الآية الكريمة (فبما رحمة من الله لنت لهم) أن الخطاب جاء بطريقة الالتفات، فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم إن كان من أصحابك ما كان يوم أحد، وهو مما يؤاخذون عليه من تركك في ساحة القتال فلنت لهم وعاملتهم بالحسنى، بسبب رحمة عظيمة أنزلها الله على قلبك، وخصك بها فعمت الناس فوائدها، وهذا من رحمة الله بك وبما حباك به من الآداب العالية والحكم السامية التي هونت عليك المصائب وعلمتك منافعها وحكمها وحسن عواقبها للمعتبر بها، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، لأن الفظاظة هي الشراسة والخشونة في المعاشرة، وهي القسوة والغلظة، وهما من الأخلاق المنفرة للناس لا يصبرون على معاشرة صاحبهما وإن كثرت فضائله، بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه لا يبالون ما يفوتهم من منافع الإقبال عليه، والتحلق حواليه، وإذًا لفاتهم هدايتك، ولم يبلغ قلوبهم دعوتك فاعف عنهم واستغفر لهم فلا تؤاخذهم على ما فرطوا وادعوا الله تعالى أن يغفر لهم وأن لا يؤاخذهم، من الرحمة التي خصك الله بها[1].

فعلى الدعاة أن يتأسوا برسول الله سبحانه وتعالى لأن الله تعالى يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾(الأحزاب: 21)، فدعوة الله تعالى قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم تكن هذه الدعوة مؤقتة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا بزمن الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله تعالى.

فعلى الداعية أن يكون مخلصًا لما يدعو إليه، صادق اللهجة فيه، وإلا انكشف سره، وافتضح أمره، فإن ثياب الزور تشف عما وراءها، وعند ذلك يكون وبالًا على الدعوة، وقد وصف سبحانه وتعالى إبراهيم في دعوته فقال: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا

(1) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 163/4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

يغني عنك شـــيئًا﴾ (مريم: 42)، وقد تلطف معه في الدعوة، فذكره بما بينهما من الرحم، ووشائج النسب، استمالة لقلبه، وتنبيهًا له، ولم يكن منه إلا النصح له لما بينهما من أواصر القربى والنسب.

وبدأ دعوته لأبيه بالتوحيد الذي هو أصـل الدين، وجوهر الشـرائع السـماوية، وعليه تقوم فروع الإسلام، وبه صلاح القلب، وبصلاحه تصلح سائر الجوارح، وتستقيم أحوالها، قال تعالى: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويا﴾ (مريم: 43)[1].

وإخلاص الداعية في دعوته للمدعوين يجعل لقوله أثرا على المدعوين، وهذا النهج تربى عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام فقال سبحانه وتعالى ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله﴾ (هود: 29) فلا بد أن تكون الدعوة خالصـة لرب العالمين ولا يشـوبها أي مصـلحة من مصـالح الدنيا، فلا تدعو من أجل أن يكون لك مكانًا إنما تكون العلاقة مع المدعوين علاقة هداية وإرشاد إلى دين الله تعالى، فمتى يشعر المدعو بإخلاص من يـدعوه يكن ذلـك أحرى في قبول دعوتـه قـال تعـالى ﴿ويا قوم مـا لي أدعوكم إلى النجـاة وتدعونني إلى النار﴾ (سـورة غـافر:41)، وقال تعالى ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾(سورة الشعراء:135)، فالعلاقة بين الداعية والمدعو قائمة على الرفق واللين ولم تكن قائمة على الغلظة بل لا بد أن تدعو إلى سـبيل ربك بالحكمة، وهي الدليل الموضـح للحق المزيل للشـبهة وبالموعظة الحسـنة وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصـحهم بها وتقصـد ما ينفعهم فيها، فمجادلة المدعوين بالقرآن بالتي هي أحســن بالرفق واللين، من غير فظاظة ولا

(1) انظر: عفيفي، عبد الرزاق، مذكرة التوحيد، (ص: 91- 94) وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420هـ

تعنيف[1].

والرفق واللين من الآداب السامية في تبليغ دعوة رب العالمين، وقد أوصى سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بالرفق واللين مع فرعون الذي قال: (أنا ربكم الأعلى) قال تعالى ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (43) فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾(طه: 44)، قال أبو السعود: "فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة"[2] فتعنيف الداعية المدعوين بالسب وبالألفاظ الغليظة يعكس مردودا سلبيا على المدعو، وينفر المدعوين من قبول دعوة رب العالمين، فيكون أثر ذلك محاربة هذا الدين، وكم من أناس أظهروا العداء لدين الله تعالى وعندما عاينوا سماحة النبي صلى الله عليه وسلم دخلوا في الإسلام وأصبحوا دعاة ومحاربين في دعوة رب العالمين .

المطلب الثاني: التزام الداعية بالمنهج الدعوي السليم:

وضع سبحانه وتعالى للأمة وللدعاة منهجًا سليمًا يسير عليه الداعية ولا ينحرف عن الطريق القويم في تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى القائم على العقيدة الصحيحة، فالسالك في هذا المنهج يسير على استقامة السلف الصالح بعيدًا عن طريق أهل الضلال والمغضوب عليهم، قال تعالى ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (الفاتحة: 7) قال الطبري: "فكل حائد عن قصد السبيل، وسالك غير المنهج القويم، فضال عند العرب، لإضلاله وجه الطريق. فلذلك سمى الله جل ذكره النصارى ضلالا لخطئهم في الحق

(1) انظر: الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/ 644، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 هـ

(2) أبو السعود، محمد، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 17/6، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

منهج السبيل، وأخذهم من الدين في غير الطريق المستقيم"[1].

وحتى يكون الداعية على منهج سليم وعلى استقامة عليه أن يكون مخلصًا لعقيدة التوحيد، متجسدًا عليه واقعًا عمليًا، قال تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: 108). أي: فهذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته، إنما يكون ذلك على بصيرة وعلم في دعوة الله وتوحيد الله تعالى، وفي ذلك تنزيهًا، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه[2].

وهذه الدعوة من الله تعالى لرسوله آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وأتباعه وكل الدعاة من بعده، يدعون إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي[3].

قال القاسمي: "ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة، في حال مخالطته ومجالسته لهم، في بيان الواجبات والمحرمات، ونوافل الطاعات، وذكر الثواب والعقاب، على الإحسان والإساءة، ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها، ويزيد بيانًا للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسأل عن شيء من العلم، وهو يعلم أنهم محتاجون

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، 195/1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

(2) انظر: الطبري، جامع البيان، 291/16.

(3) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، 422/4.

إليه، ومضطرون إليه"[1].

إن للداعية أجرًا وشـــرفًا عظيمًا في نشـــر هذا الدين ودعوة العباد إلى الهداية، لأن في ذلك اتباع لمنهج الأنبياء عليهم الصـــلاة والســـلام؛ فالأنبياء دعوتهم قائمة على هداية الخلق لإخراج النـاس من الظلمـات إلى النور، ومن عبـادة الأوثان والهوى إلى عبـادة الله الواحـد القهار، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضـلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[2].

والدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الداعية الصـــبر على المدعوين، وكظم الغيظ، ولا يتعجل ولا يضيق صدرًا لعدم استجابة المدعوين له، فطريق الدعاة مليء بالأشواك، قال تعالى ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ (آل عمران:134)، وفي حديث ابن عمر يحدث، عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم أنه قال: « المؤمن الذي يخالط الناس، ويصـــبر على أذاهم، أعظم أجرًا من الذي لا يخالطهم، ولا يصـــبر على أذاهم » قال: حجاجٌ: «خيرٌ من الذي لا يخالطهم»[3]، فمهمة الداعية التذكير بينما الهداية لله رب العالمين قال تعالى ﴿ليس عليك

(1) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، 233/6، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.

(2) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدًى أو ضلالة، (ح: 2674)، 2060/4.

(3) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (ح:5022)، 64/9، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421 هـ – 2001 م، صحيح الإسناد.

هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (البقرة: 272).

قال الطاهر ابن عاشـــور: "أن ليس عليك أن تهديهم بأكثر من الدعوة والإرشـــاد، دون هداهم بالفعل أو الإلجاء إذ لا هادي لمن يضلل الله، وليس مثل هذا بميسر للهدى"[1]، وقال الطنطاوي: "ليس عليك يا محمد هداية من خالفك في دينك. ولكن الله- تعالى- يهدى من يشـــاء هدايته إلى نور الإيمان، وطريق الحق. وما دام الأمر كذلك فعليك وعلى أتباعك أن تعاملوا غيركم بما يوجبه عليكم إيمانكم من سماحة في الخلق، وعطف على المحتاجين حتى ولو كانوا من المخالفين لكم في الدين"[2].

المطلب الثالث: التزام الوسطية في السلوك الدعوي:

إن أهم مشـــكلة تواجه الدعاة هي الغلو في الدين، لذا على الداعية الالتزام بمنهج الوسطية في الدعوة إلى الله تعالى لنشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، والدعوة إلى ســبيل الله بالحكمة والموعظة الحســنة والجدال بالتي هي أحســن، فالتزام الداعية بآداب الدعوة، وأخلاق الدعاة والمصـــلحين، والبعد عن التنطع والتطرف، يفتح الباب أمام المدعوين للالتزام بدين الله تعالى ومنهجه القويم.

إن الوسطية في نشر دين الله من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، بخلاف معتقدات اليهود والنصـــارى فقد كانوا يحلون ما أحل الله تعالى ويحرمون ما أحل الله تعالى، قال تعالى﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾(التوبة: 31)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله:

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 3/ 70، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
(2) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 623/1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى: 1997م.

"والفرقة الناجية أهل السنة، وهم وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله، ورسوله، وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود، حيث كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا وقتلوا فريقًا؛ بل المؤمنون آمنوا برسل الله، وعزروهم، ونصروهم، ووقروهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، ولم يعبدوهم، ولم يتخذوهم أربابًا ، كما قال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾(آل عمران:79،80)، ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح، فلم يقولوا هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، كما تقول النصارى، ولا كفروا به، وقالوا فيه على مريم بهتانًا عظيمًا، حتى جعلوه ولد بغية، كما زعمت اليهود. بل قالوا: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه"[1].

لذا تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعاة في الدعوة إلى الله، حفاظًا على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع، في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت، وأصبح كل شيء متاحًا؛ فبرزت مشكلات تحتاج للمزيد من العناية والمراجعة، من العلماء والدعاة، لإظهار منهج الوسطية في الدعوة، لفئة الشباب المتحمسين لخدمة دين الله تعالى بالانضمام إلى الجماعات المنحرفة فكريًا[2].

(1) ابن تيمية، تقي الدين، مجموع الفتاوى، 3/370- 371.

(2) انظر: التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، (ص: 119- 121)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،

"وقد تنوعت وسائل الدعوة وأساليبها في عصرنا تنوعًا بالغًا، فلم تعد مقصورة على كلمة تقال، أو نشرة توزع، أو كتاب يؤلف –وإن كان هذا كله مهما–، بل أصبح من أعظم وسائلها أثرًا وأشدها خطرًا المدرسة التي تصوغ عقول الناشئة وتصنع أذواقهم وميولهم، وتغرس فيها من الأفكار والقيم ما تريد، وقد استغل هذه الوسائل أعداء الإسلام من دعاة التنصير وغيرهم؛ لغزو أبناء الأمة الإسلامية، وسلخهم من شخصيتهم، وإضلالهم عن عقيدتهم فأنشأوا المدارس والمستشفيات وغيرها؛ لهذا الغرض الخبيث، وأنفقوا عليها العشرات والمئات من الملايين، وأكثر ما يتعرض له المسلمون وشبابهم خاصة لهذا الخطر حينما يكونون خارج ديار الإسلام"[1].

وقد كانت أساليب الدعوة متنوعة عند علماء السلف فكثيرًا ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل مراعاة لوحدة الأمة وخروجًا من الخلاف والنزاع، فيتركون المندوب ويفعلون الجائز[2].

فدين الإسلام هو دين الوسطية، وعلى شباب الأمة أن تدرك أن الغلو في هذا الدين يهلك النفس، ويهلك المجتمع، فتهلك الأمة بتلك الأفكار الهدامة، فتصرف الناس عن سماحة واعتدال هذا الدين، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن هلاك المتنطعين والمتشددين هلاك للنفس البشرية، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الطبعة الأولى: 1418هـ.

(1) الطيار، عبد الله بن محمد، وآخرون، الفقه الميسر، 122/9، مدار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1432/ 2011.

(2) انظر: العلواني، طه جابر فياض، أدب الاختلاف في الإسلام، (ص: 162)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية، 1987 م.

«هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا"[1]، والهلاك إنما يكون للغالين المجاوزين الحدود في أفعالهم وأقوالهم، مما يؤثر ذلك سلبًا على مجتمعاتهم.

(1) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب هلك المتنطعون، (ح: 2670)، 2055/4.

المبحث الثاني: استحضار أحداث السيرة من القرآن الكريم، وأثره على السلوك الدعوي

المطلب الأول: أثر استحضار السيرة على السلوك الدعوي للمدعوين

الناظر في أحداث السيرة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسيرة تابعيهم يجد فيها الأثر البليغ في دعوة الله تعالى على المدعوين، فأحداث السيرة تجذب أسماع المدعوين وتشد انتباههم لأحداث حصلت مع أشرف الخلق؛ أحداث وردت في القرآن الكريم، وأحداث ذكرها الصحابة الكرام، وهذه الأحداث تفتح الأمل الواسع عند الدعاة وكذلك المدعوين.

إن الداعية عندما يستحضر كيف كان هم وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان قومه، وحرصه عليهم من دخولهم النار، وقد وصف ربنا سبحانه وتعالى المشهد بقوله تعالى: ﴿لعلك باخعٌ نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء: 3)، قال الطبري: "لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به"[1].

إن استحضار السيرة من القرآن الكريم تعد أرضًا خصبة للدعاة لإظهار الأحداث التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل بسببها القرآن الكريم موجهًا ومبينًا للحقائق سواء كان ذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه، أو بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وأهل الكتاب.

فلو تتبعنا غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كيف بيّنها رب العالمين بجميع تفاصيلها كغزوة بدر مثلًا أنزل سورة الأنفال رسمت لنا المشهد بكل تفاصيله، وغزوة أحد، والأحزاب، وفتح مكة، وغيرها من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا تقتصر أحداث السيرة على زمن النبي صلى الله عليه وسلم بل جاء القرآن الكريم بأحوال الأمم السالفة مع أنبيائهم مبينًا وموضحًا كيف كانت أحوالهم.

(1) الطبري، 326/19.

والداعية له دور كبير في التأثير على المدعوين وتصـــبيرهم في حال النوازل والحروب، ونتعلم ذلك من ســنة النبي صــلى الله عليه وســلم فعن خباب بن الأرت، قال: شــكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصــب، وما يصــده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يســير الراكب من صــنعاء إلى حضــرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

يستفيد الداعية من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بتبشير الناس وحثهم على الصــبر ورفع هممهم، وظاهر التمثيل على ما رأيت من العجب، ولكن له باطنًا أعجب من ظاهره، وهذه قمة البلاغة، لأن الحديد لا يأكل ولا يمزع من أولئك الأقوياء بإيمانهم عظمًا ولحمًا وعصبًا، بل هو حديد يأكل حديدًا مثله أو أشد منه، فإن للروح المؤمنة المسلطة على جســمها قوةً تصــنع هذه المعجزة، فيمر الحديد في العظم واللحم والعصــب يســلبها الحياة، ولكنها تسلبه شدته وجلده وصبره.

وكل ما جاء من التمثيل في كلامه – صــلى الله عليه وســلم – ينطوي فيه من إبداع الفن البياني وإعجازه ما يفوت حدود البلغاء، حتى لا تشــك إذا أنت تدبرته بحقه من النظر

(1) البخاري، محمد، صــحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإســلام، (ح: 3612)، 201/4.

والعلم أن بلاغته إنما هي شيء كبلاغة الحياة بل الحياة نفسها[1].

إن لاستحضار أحداث السير بالنسبة للمدعوين فوائد عديدة منها:

1. إن في سماعهم لأحداث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تنمية لحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحبه من أسس الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(2)، فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم أمر قائم في نفوس الناس، على الرغم من وقوعهم في انحراف أحيانًا، وهذا يجعل إصغاءهم ومتابعتهم للمتحدث أشد وأقوى وانتفاعهم أعظم.
2. في سماعهم أحداث السيرة إعانة لهم على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، والإعجاب بشخصيته والتأثر بمواعظه.
3. في سماع المدعوين لأحداث السيرة إقناع للمسلمين بأن أحكام الدين التي جاء بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم حلت للناس مشكلاتهم.
4. السيرة النبوية تمثل التطبيق العملي لمبادئ الإسلام، وتجعل الأمور المجردة أشياء محسوسة ظاهرة، ووقائع في عالم الحس، فهي تجسيد للمعاني الكريمة التي يريد الدعاة أن يقرروها للناس.

(1) انظر: الرافعي، مصطفى صادق، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تحقيق: أبو عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف، (ص: 54- 55)، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى.

(2) البخاري، محمد، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، (ح: 14)، 12/1.

5. السيرة النبوية تعرف الناس قصة حياة أعظم إنسان عرفته الإنسانية صلى الله عليه وسلم، ومن الطبائع البشرية أن السامع للقصة عندما يعجب ببطل القصة يحاول تقليده، والقصة شيء تميل إليه النفس.
6. الناس بحاجة إلى أن يتذكروا ما جاء في سيرته صلى الله عليه وسلم ليقتدوا به، ويعملوا بما جاءهم به من عند الله من الهدى والحق والخير، فواقعهم واقع مؤلم، وكيد الكفرة متعاظم في كل مكان(1).

إن استحضار السيرة تعين الدعاة في هداية الناس ودعوتهم إلى عبادة الواحد الأحد، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلًا يفتح الله على يديه»، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيءٌ، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمر النعم»(2)

إن النفس البشرية تميل إلى سرد القصص لما فيه من ترويح للنفس، وفي ذلك درس للدعاة للتعامل مع المدعوين بقصص حقيقية متعلقة بالسيرة بعيدة عن الخيال الذي يستعمله القُصاص بوعظ الناس بروايات وأحداث ضعيفة لا أصل لها، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية

(1) انظر: تيار الإصلاح، البعد الدعوي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، 1437هـ- 2016م، https://www.noslih.com/article

(2) البخاري، محمد، صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، (ح: 2942)، 47/4.

ما يكفينا من السيرة الحقيقية.

المطلب الثاني: القصص القرآني من أهم وسائل السلوك الدعوي

القصص القرآني من أهم أساليب الدعوة عند الدعاة؛ وذلك لأن الداعية يتكلم بأحداث صحيحة وصادقة ولا تشوبها المشاعر الجياشة وتأليف القصص الخيالية والتي هي من نسج الخيال، ولو نظرنا إلى القُصاص قديمًا وحديثًا سنجد أنهم يستخدمون القصص المختلقة لاستمالة الناس إليهم، والقرآن الكريم فيه من القصص الصحيحة التي تكفي الدعاة وزيادة، ليأخذوا منها العبر والعظات، قال تعالى ﴿إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران: 62).

قال القرطبي: "إن القرآن وما فيه من الأقاصيص، سميت قصصًا لأن المعاني تتتابع فيها، فهو من قولهم: فلانٌ يقص أثر فلان، أي يتبعه"[1].

إن الدعاة إلى الله تعالى يحتاجون إلى الأسلوب الحسن وأن يجددوا أساليبهم الدعوية وأن يختاروا أكثرها قربًا إلى نفوس الناس عامة والناشئة خاصة، لأن بعض الأساليب لدى كثير من الدعاة منتقد، وربما أدت هذه الأساليب إلى غرض مناقض معاكس لما كان يريده الداعية، فكثير من هذه الأساليب ينفر ولا يبشر، ويبعد ولا يقرب، ويغوي ولا يهدي، فما أجدر الدعاة إلى الله أن يراجعوا هذه الأساليب، وأن يتدبروها[2] قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن

(1) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 105/4، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية: 1384هـ - 1964 م.

(2) انظر: محمد بن لطفي، الجانب الدعوي في السيرة النبوية- - موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/aldawah/396.htm

سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل:125).

والموعظة الحسنة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، لأن الداعية مكلف بأن يدعو إلى سبيل ربه بالأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترقق القلوب، وتهذب النفوس، وتقنعها بصحة ما يدعو إليه، وترغب في الطاعة لله تعالى وترهب من معصيته عز وجل، وقوله تعالى: (وجادلهم بالتي هي أحسن) بيان لوسيلة أخرى من وسائل الدعوة السليمة لمجادلة المعاند منهم بالطريقة التي هي أحسن الطرق وأجملها، بأن تكون مجادلتك لهم مبنية على حسن الإقناع، وعلى الرفق واللين وسعة الصدر فإن ذلك أبلغ في إطفاء نار غضبهم، وفي التقليل من عنادهم، وفي إصلاح شأن أنفسهم، وفي إيمانهم بأنك إنما تريد من وراء مجادلتهم، الوصول إلى الحق دون أي شيء سواه[1]، عن أبي موسى، قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[2].

ويرسم رب العالمين للأمة الإسلامية عامة وللدعاة خاصة الطريق في كيفية التعامل مع الكفار، وتنوير بصيرة المدعوين للتعامل مع أعداء الله بمنهج رباني سليم، وقصص لا يشوبها الزيغ؛ بل هو تجسيد لواقع المشركين، فالتعامل يختلف بين المحارب والمسالم، قال تعالى ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾(الممتحنة: 8)، فمن كف أذاه من الكفار، فلم يقاتل المسلمين، ولم

(1) انظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 262/8، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى.

(2) أبو داود، سليمان، سنن أبو داود، كتاب: أول كتاب الأدب، باب: في كراهية المراء، (ح: 4835، 205/7، المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430 هـ – 2009 م، حديث صحيح.

يخرجهم من ديارهم؛ فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي، ولا يحبونه بقلوبهم، لأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبًا للكافر في الإسلام؛ فهما من وسائل الدعوة عند الداعية؛ بخلاف المودة والموالاة، فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه، والرضى عنه.

وتحريم موالاة الكفار لا يعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم؛ وهذا من باب الشراء منهم بالثمن، وليس لهم علينا فيه فضل ولا منة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم؛ فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم(1).

إن مجادلة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم كان قصدًا لإفحامه، وتمويها لتغليطه؛ لذا نبه الله سبحانه وتعالى على أسلوب مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم استكمالًا لآداب وسائل الدعوة كلها. فالضمير في (وجادلهم) عائد إلى المشركين بقرينة المقام لظهور أن المسلمين لا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يتلقون منه تلقي المستفيد والمسترشد، وهذا موجب تغيير الأسلوب بالنسبة إلى المجادلة إذ لم يقل: والمجادلة الحسنة، بل قال: وجادلهم، وقال تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (سورة العنكبوت: 46).

ومن أساليب الدعوة التي كان يسلكها النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا الناس بغير القرآن خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم أساليب يراعي معهم ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة، فقد يكون الكلام حكمة مشتملًا على

(1) انظر: الفوزان، صالح بن فوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (ص: 316- 317)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م.

غلظة ووعيد وخاليًا عن المجادلة، وقد يكون مجادلة غير موعظة، كقوله تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرمٌ عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾(البقرة: 85)، وكما في الحديث «جاء عدي بن حاتم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي: "يا عدي بن حاتم أسلم تسلم" قال قلت: إن لي دينًا، قال: "أنا أعلم بدينك منك -مرتين أو ثلاثًا- ألست تراس قومك؟ " قال: قلت: بلى، قال: " ألست- تأكل-المرباع"؟ قال: قلت: بلى، قال: "فإن ذلك لا يحل لك في دينك»[1][2]، فمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم بأحوال عدي بن حاتم جعلته يدخل في دين الإسلام.

ولو تتبع الدعاة المنهج الرباني في دعوة الطغاة المتكبرين، والمتألهين على الله تعالى لأخذوا الدروس والعبر الكثيرة، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية كيف دعاه موسى لعبودية الله الواحد الأحد حين أمره الله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (43) فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه: 43- 44) فقال له اذهب يا موسى إلى فرعون إنه تجاوز كل حد في الكفر والغرور والعصيان وتعامل معه بالترغيب في الاستجابة للحق، وكن له ناصحًا حكيمًا.

فكان أسلوب موسى عليه السلام مع فرعون على سبيل الإرشاد البليغ: هل لك يا فرعون رغبة في أن أدلك على ما يزكيك ويطهرك من الرجس والفسوق والعصيان؟ وهل لك

(1) ابن حبان، محمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب: تابع كتاب التاريخ، باب: ذكر الإخبار عن فتح الله جل وعلا على المسلمين كثرة الأموال، (ح: 6679، 71/15، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1408 هـ - 1988 م.

(2) انظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، 330/14، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 هـ.

رغبة- أيضًا- في أن أرشدك الى الطريق الذي يوصلك إلى رضى ربك؟ والخشية منه- تعالى- والمعرفة التامة بجلاله وسلطانه؟ وأرشدك إلى معرفة الله، فتعرفه فتخشاه لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة، لأنها ملاك الأمر، فمن خشـــي الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شيء[1].

إن معرفة الداعية بالقصـــص القرآني تعين الداعية في دعوته أعداء الله تعالى حتى ولو كانوا طغاة يدعون الألوهية كفرعون عليه لعنة الله، وكيفية التعامل معهم باللين والرفق بعيدًا عن الغلظة والتنفير، فمعرفة القصص القرآني تجعل لحديث الدعاة قيمة عند المدعوين.

المطلب الثالث: الفكاهة والطرفة في السلوك الدعوي عند الداعية

وسـائل الدعوة كثيرة عند الدعاة، فكل داعية له وسـيلة وطريقة في خطابه للمدعوين، ومن هذه الوسـائل أن يستميل المدعوين إليه باستخدام أسلوب الفكاهة والمداعبة في دعوته تأسيًا بالنبي صـلى الله عليه وسـلم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسـول الله صـلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخٌ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه، قال: كان فطيمًا، قال: فكان إذا جاء رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فرآه، قال: «أبا عمير ما فعل النغير» قال: فكان يلعب به[2].

وكان صـلى الله عليه وسلم يمازح أصـحابه بكلام صـحيح وغير خادش للحياء، فعن

(1) انظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 270/15.، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

(2) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صـالح يحنكه، وجواز تسـميته يوم ولادته، واسـتحباب التسـمية بعبد الله وإبراهيم وسـائر أسماء الأنبياء عليهم السـلام، (ح: 2150)، 3/ 1692، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

سعيد بن المسيب، قال: قلت له: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح؟ قال: نعم أتته عجوزٌ من الأنصار فقالت ادع ربك يدخلني الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخلها عجوزٌ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رجع أتى عائشة فقالت: يا رسول الله، لقد لقيت خالتك من كلمتك مشقةً شديدةً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ذلك كذلك إن شاء الله تبارك وتعالى، إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا»[1].

فلكل مقال مقام؛ فالممازحة ليست على إطلاقها بشكل كبير لافت للنظر مما ينزع هيبة كلام رب العالمين من نفوس المدعوين، كما يفعل بعض الدعاة، ويجعلونها من وسائل الدعوة إلى الله، فتشغل الناس عن ذكر الله، وهي ليست من وسائل الدعوة؛ والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس بالكتاب والسنة، والوعظ والإرشاد، والمجادلة بالتي هي أحسن، وكان يستخدم إنشاد الشعر الجيد النزيه؛ للرد على المشركين والدفاع عن الإسلام، كشعر حسان رضي الله عنه[2].

ضوابط مهمة للدعاة في مخاطبة المدعوين:

ولكي يؤتي هذا الأسلوب ثماره، ويكون موافقًا لما شرعه الله ورسوله من الأساليب والوسائل؛ لابد من التذكير بما يأتي:

أولًا: الاعتدال وعدم الإفراط؛ لأن الإفراط في أسلوب الفكاهة يخرج الدعوة أو الدرس عن هدفه، فيحسن ألا يستخدم إلا لمصلحة تامة، من دفع ملل، أو تأليف القلوب، واجتماع

(1) الكوفي، هناد بن السري، الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، باب: صفة الحور العين، (ح: 24)، 58/1، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى: 1406.

(2) انظر: الفوزان، صالح بن فوزان، شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: 106- 107)، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى 1421هـ - 2005م.

كلمة، فالإفراط به يذهب الحياء، ويجرئ عليك السفهاء.

ثانيًا: الحذر من استخدام هذا الأسلوب في ذات الله ورسوله، أو معاني الإسلام الثابتة، وخاصة في أسلوب تصوير المعاني، وضرب الأمثال؛ مما يدعو العوام إلى الاستهزاء أو الاستخفاف من المادة الدعوية، فيخرج الدرس عن هدفه، وهو إخراج الناس من حيرة الجهل والمعصية إلى نور العلم والهداية؛ بل ويفقد حينها الداعية وزنه وهيبته في القلوب.

ثالثًا: تجنب الكذب والسخرية من الآخرين، أو التحدث في أمور لم تحدث مطلقًا، أو افتعال أحداث ووقائع لم تقع، فمثل هذا وغيره يسوق ثقافة الكذب، ويحدث أنواعًا من الخلل في عقيدة المسلمين.

رابعًا: لا بد للداعية المسلم من العلم أن من يحاورهم سيفهمونه أو هم ممن تعودوا على أسلوبه؛ لئلا يصبح بينهم مهرجًا أو ممثلًا على خشبة مسرح، كما لا يحسن استخدام هذا الأسلوب في غير مقامه، أو لمبتدئ لا يحسن استعماله، فيقع في الإحراج[1].

(1) انظر: مرشد الحيالي، الفكاهة والطرفة في الخطاب الدعوي، 8 شعبان- 1440هـ، الموافق 13 أبريل- 2019م https://www.noslih.com/article

المبحث الثالث: ضعف الحس الدعوي عند الداعية

ضعف السلوك الدعوي عند الدعاة يدل على جهل بالدعوة الإسلامية، وعدم فهم النصوص الشرعية فهمًا سليمًا، فيأخذ الداعية جانبًا من النصوص؛ ويترك جانبًا آخر، مما يجعل الداعية يتعصب لرأيه دون اعتبار الآراء الأخرى.

المطلب الأول: جهل الدعاة بالسلوك الدعوي يضر بالدعوة ويؤخرها

إن وسائل الدعوة متنوعة عند الدعاة لذا لا بد للداعية أن يكون على علم بما يدعو به؛ وبما يحيط من حوله، فجهل الداعية يضر بالدعوة وكأنه يعيش في عالم آخر بعيد عن أحوال الناس، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا عندما بعثه إلى اليمن أن يبتعد عن كرائم أموال الناس ليكون لدعوته وقوله في قلوب المدعوين مكانًا، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»[1]، "ولو جهل الداعية مثل جهل الجاهلين، وقابل الإساءة بإساءة، لعفت رسوم الإحسان واندثرت، ولكنه الصدر الواسع، والاحتساب، والاستغفار لقومه الذين لا يعلمون"[2].

فيجب على العلماء والدعاة ومن يتشبه بهم، أن يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما

(1)صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، (ح: 1458)، 119/2.

(2) الراشد، محمد أحمد، الرقائق، ص:46، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة: 1401 هـ - 1981م

تدعو إليه حال المدعوين، على حسب الزمان والمكان واختلاف أحوال الأمم، وأول ما يجب عليهم في ذلك أن يتعلموا التاريخ الصحيح، وعلم تكوين الأمم، وارتفاعها وانحطاطها، وعلم الأخلاق وأحوال النفس، وعلم الحس والوجدان، ونحو ذلك مما لابد منه في معرفة مداخل الباطل إلى القلوب، ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق، وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والأخروية، ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير، فإن لم يحصلوا على ذلك كله فوزر العامة عليهم، ولا تنفعهم دعوى العجز، فإنهم ينفقون من أزمانهم في القيل والقال، والبحث في الألفاظ والأقوال، ما كان يكفيهم أن يكونوا بحار علم، وأعلام هدى ورشد، فليطلبوا العلم من سبله ويتأسوا بما كان عليه السلف الصالح، والله كفيل أن يمدهم بمعونته، أما وقد انقطعوا إلى ما يعجزهم عن القيام بأمره، فلن يقبل الله لهم عذرًا لجهلهم[1].

ولابد للداعية أن يكون حريصًا كل الحرص في وعظه وخطبه على سلامة مظهره، وعلى سلامة لغته، وعلى صحة الأحاديث التي يتحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن لا يفسر كلام رب العالمين وفقًا لهواه، بل لابد من الاعتماد على أقوال المفسرين لأن الاستخفاف بالمدعوين بعدم التحضير للدروس والخطب جيدًا تنفر المدعوين من الدعاة، وفي ذلك إساءة للدعوة بجهل الداعية.

والبشارة وعدم التنفير عند الدعاة يدل على فهم وفقه الداعية، عن أبي موسى، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، قال: «بشروا

(1) انظر: الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، 414/2، مكتبة وهبة، القاهرة.

ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[1].

وقال ابن حجر: "والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلًا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده"[2].

ففقه الداعية وعلمه بأحوال المسلمين، وأحوال الناس يجعله يتعامل مع القضايا عن علم بما يخدم دعوته.

المطلب الثاني: التعصب الفكري والمذهبي عند الداعية

المراد بالتعصب الفكري هو مجاوزة الحد عند الداعية فيلزم نفسه والآخرين بما لم يوجبه الله عليه، سواء كان ذلك فيما يتعلق بفقه النصوص، أو الأحكام، أو فيما يتعلق بالآخرين.

ولو تتبعنا أسباب الغلو والتعصب الفكري والمذهبي في المجتمعات الإسلامية سنجد أنهم أصحاب العقول المتشددة التي ابتعدت عن الفهم الصحيح لمفهوم الشريعة الإسلامية، وذلك لرسوخ بعض الأفكار في عقولهم وقلوبهم، فانتزاع مثل هذه الأفكار من الصعوبة بمكان، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم خطر هؤلاء الدعاة على المدعوين في الإسلام فقال ﷺ: «إن ما أتخوف عليكم رجلٌ قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان ردءًا للإسلام، غيره إلى ما شاء الله، فانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف،

(1) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، 1358/3، رقم: 1732، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

(2) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 163/1، دار المعرفة – بيروت، 1379

ورماه بالشـــرك " قال: قلت: يا نبي الله، أيهما أولى بالشـــرك، الرامي أم المرمي؟ قال: " بل الرامي»[1].

وهذا الغلو الحاصـل من المعتقدات الفاسـدة عند الداعية خطرها عظيم على المدعوين وقد بين النبي صـلى الله عليه وسـلم خطر ذلك في حديث ابن عباس: قال رسـول الله ﷺ: «وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[2].

قال ابن تيمية هذا الحديث "عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال"[3]، فالجهل بتعاليم الإسـلام وأحكامه وآدابه، وعدم رسـوخ الداعية بأحكام الشـريعة يميل إلى التشديد والتضييق والتوسع في دائرة المحرمات والتكفير، فحذر سبحانه وتعالى من ذلك فقال: ﴿ولا تقولوا لما تصـف ألسـنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ (النحل:116). قال السـعدي: "لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسـكم، كذبًا وافتراءً على الله وتقولًا عليه"، ﴿لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه متاعٌ قليلٌ، ومصـيرهم إلى النار (ولهم عذابٌ أليمٌ) فالله تعالى

(1)ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ح: 81، 186/1، مؤسـسـة الرسـالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993، حسـنه الألباني في الصـحيحة (رقم: 3201).

(2) بن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ح:1851)، 427/2، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م، صحيح الإسناد.

(3) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفة أصـحاب الجحيم، (ص: 328)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة: 1419هـ - 1999م.

ما حرم علينا إلا الخبيثات تفضلًا منه، وصيانة عن كل مستقذر"[1].

ويعتبر التعصب الفكري والمذهبي من أخطر القضايا التي أصيبت بها المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، وأزهقت فيها أرواح كثيرة من المسلمين.

المطلب الثالث: أثر انحراف الداعية عن الطريق القويم في الالتزام بالسلوك الدعوي

الدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الدعاة الإخلاص في القول والعمل حتى يتسنى لهم قبول كلامهم عند المدعوين، فيكون ظاهر كلامهم موافقًا لباطنهم، فعدم قبول الدعاة إلى الله تعالى هو لعدم محبة المدعوين لهم، لاختلاف ظاهر أقوالهم مع أفعالهم.

فالداعية المسلم قدوة صالحة فيما يدعو إليه فلا يناقض بأقواله أفعاله، فالداعية بحاجة ماسة إلى تطبيق ما يدعو إليه حتى يقتدي به الناس، فلا يغش ولا يكذب ثم يعظ الناس بعدم الغش وعدم الكذب، وغيرها من الأوصاف التي تنفر المدعوين من قبول دعوته، وقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأنه حريص على المؤمنين ناصح لهم، قال تعالى ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ (128) فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾(التوبة: 129)، وهذا مما جعل لدعوته قبولًا عند المدعوين.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى " علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما يدعون إليه حقًا، كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة

(1) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص: 456)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق"[1].

ويمكن إبراز أهمية القدوة الحسنة في الدعاة في نقاط عدة:

أولًا: القدوة الصالحة المتمثلة في الدعاة تثبت في نفوس المدعوين قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة.

ثانيًا: إن صلاح الدعاة وحسن سيرتهم المتحلية بالفضائل تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية.

ثالثًا: إن الأتباع والمدعوين ينظرون إلى الداعية نظرة دقيقة دون أن يعلم، فرب عمل يقوم به من المخالفات لا يلقي له بالاً يكون في نظرهم من الكبائر؛ لأنهم يعدونه قدوة لهم، وكذلك يراه الجاهل على أنه عمل غير مشروع أو محرم فيظن أنه على حق، فلا بد للداعية أن يكون على علم بما يقوم به.

رابعًا: بالنظر إلى مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، والجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة، وذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد الداعية إيصالها للناس المقتدين به، ولو نظرنا إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اقتدوا به في لبس خاتم من ذهب[2]، عن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتخذ خاتمًا من ذهب، وجعل فصه مما يلي كفه، فاتخذه الناس، فرمى به واتخذ خاتمًا من ورق أو فضة»[3]،

(1) ابن القيم، محمد، الفوائد، ص: 112، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية: 1393 هـ - 1973 م

(2) انظر: القحطاني، سعيد بن علي، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص: 47- 48، الرياض مطبعة سفير.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 155/7، ح: 5865، كتاب: اللباس، باب: خواتيم الذهب.

قال ابن بطال: ((فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول))[1].

التحذير من مخالفة الدعاة لما يقولون

حذر سبحانه وتعالى الدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن تخالف أقوالهم أفعالهم، فالدعاة أولى الناس بالاستقامة فهم القدوة الحسنة للمدعوين، قال تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة44).

فإرشاد غيرهم للمعروف وأعمال البر وهم منغمسون فيما يدعون إليه من أعظم المفاسد قال الإمام الطبري: "لأنهم وإن اختلفوا في صفة "البر" الذي كان القوم يأمرون به غيرهم، الذين وصفهم الله بما وصفهم به، فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل، ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم"[2].

والآية الكريمة بدأت بالاستفهام الذي هو للتوبيخ لأن الدعاة أرادوا الخير للغير وإهمال النفس من هذا الخير، والخطاب في الآية الكريمة لليهود أي كيف تأمرون أتباعكم وعامتكم بالبر وتنسون أنفسكم وذلك فيه تنديدٌ بحال أحبارهم أو تعريضٌ بأنهم يعلمون أن ما جاء به رسول الإسلام هو الحق فهم يأمرون أتباعهم بالمواعظ ولا يطلبون نجاة أنفسهم[3]، وإن كان الخطاب لليهود فالعبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك جميع الدعاة الذين هم على شاكلة أحبار اليهود، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين عقوبة الدعاة الذين تخالف أقوالهم أفعالهم بالعذاب الشديد يوم القيامة، قال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى

(1) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 275/13، ترجمة: 7298.

(2) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، 9/1 تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000 م

(3) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 474/1، الدار التونسية للنشر - تونس 1984 م.

الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[1]،

فالداعية أول ما يهذب ويؤدب نفسه، ويلتزم بما تعلمه حتى يكون لقوله أثر على المدعوين، قال علي رضي الله عنه: "من نصب نفسه للناس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم" [2].

ومن أهم سمات قبول قول الداعية عند المدعوين التواضع والتحذير من الكبر، فقد جرت سنة الله في الكون أن الله لا يرفع شيئًا من أمر الدنيا إلا حطه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه"[3].

والتواضع صفة عظيمة من صفات الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن التواضع تذلل وتخاشع لله تعالى؛ وقد مدح الله تعالى الدعاة المتواضعين فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ (الفرقان: 63) فيمشون في سكينة ووقار متواضعين غير أشرين، ولا متكبرين، ولا مرحين، فهم دعاة علماء، حلماء؛ وأصحاب وقار

(1) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (ح: 2989)، 2290/4، كتاب: الزهد والرقائق، باب: باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله.

(2) الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، 21/4، (رقم: 38)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى: 1412 هـ.

(3) البخاري، محمد، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب: الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، (ح: 6501)، 105/8، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422هـ.

وعفة، والتواضع فيه مصلحة الدين والدنيا؛ فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء؛ ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة، فمن باب أولى أن تكون هذه السمة في الدعاة إلى الله تعالى، فإذا تواضعوا رفعهم الله في الدنيا والآخرة، وهذا مما يفتح الله به للداعية قلوب الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه منزلة في قلوب الناس، ويرفعه عندهم، ويجل مكانه أما إذا تكبر الداعية على الناس فقد توعده الله بالذل والهوان في الدنيا والآخرة[1]. لذلك توعد سبحانه وتعالى الدعاة الذين تخالف أقوالهم أفعالهم فقال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة: 44). هذه الآية وإن كانت في بني إسرائيل إلا أنها عامة لكل الدعاة لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾، ومن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر: فليس في رتبة الأول، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة[2].

فالداعية الذي يخالف قوله فعله كأحبار اليهود في الرتبة والمنزلة، قال السيد رشيد رضا "الأحبار القارئين الآمرين الناهين ما كانوا يبينون من الحق إلا ما يوافق أهواءهم وتقاليدهم، ولا يعملون بما فيه من الأحكام إلا إذا لم يعارض حظوظهم وشهواتهم"[3].

(1) انظر: القحطاني، سعيد بن علي، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، 1/ 379- 380، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

(2) انظر: السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص: 51) مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ -2000 م.

(3) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 245/1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

فالدعاة الذين يقولون ما لا يفعلون؛ لا حظ لهم، ولا أثر لدعوتهم في المجتمع، وإنما نصيبهم في هذه الدعوة: المقت من الله سبحانه وتعالى، والسب من الناس، والإعراض عنهم، وتنفير الناس من دعوتهم، فالآية الكريمة ترشد إلى أن مخالفة الداعي لما يقول: أمرٌ يخالف العقل، كما أنه يخالف الشرع، فكيف يرضى بذلك من له دين أو عقل[1].

ومما تجب العناية به للدعاة أن يكونوا أسوة حسنة، فحسن الخلق يجذب قلوب المدعوين، فكم من إنسان قليل العلم يهدي الله على يديه أممًا لأنه حسن الخلق، وكم من إنسان عنده علم واسع كثير لكنه جاف سيء الخلق، ينفر الناس منه، وقد ذكر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: 159)، وهذه الرحمة رحمة للداعي وللمدعو، فهي رحمة من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام، ورحمة من الله للخلق الذين يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لو كان فظاً غليظ القلب ما اهتدوا على يديه، فلهذا ينبغي للداعية أن يكون رحب الصدر واسعًا، يأخذ ويعطي ولا يأنف[2]

أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) انظر: ابن باز، عبد العزيز، مجموع فتاوى العلامة، 2/ 343، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(2) انظر: المنجد، محمد صالح، القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب)، تم نسخه من الإنترنت: في 26 ذي القعدة 1430، هـ = 15 نوفمبر، 2009 م.

أولًا: أهم النتائج:

1. حث الدعاة على اللين والرفق في دعوة أهل المعاصي، والنهي عن تنفير الناس، فالغلظة والشدة إنما تجب في حد من حدود الله تعالى، وهذا السلوك الدعوي يرغب المدعوين في قبول الدعوة، وقبول كل ما يصدر من الدعاة.
2. لابد للداعية أن يكون على منهج سليم فيما يدعو إليه، وعلى استقامة وأن يكون مخلصًا لعقيدة التوحيد، متجسدًا عليه أثرها واقعًا عمليًا.
3. الدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الداعية الصبر على المدعوين، وكظم الغيظ، ولا يتعجل ولا يضيق صدرًا لعدم استجابة المدعوين له.
4. إن أهم مشكلة تواجه الدعاة الغلو في الدين، والتعصب الفكري؛ لذا على الداعية الالتزام بمنهج الوسطية في الدعوة إلى الله تعالى لنشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم.
5. السلوك الدعوي من خلال استحضار أحداث السيرة النبوية فيه الأثر البليغ في دعوة الله تعالى على المدعوين.
6. القصص القرآني من أهم أساليب الدعوة.
7. وسائل الدعوة كثيرة عند الدعاة، فكل داعية له وسيلة وطريقة في خطابه للمدعوين.
8. التعصب الفكري هو مجاوزة الحد عند الداعية فيلزم نفسه والآخرين بما لم يوجبه الله عليه، سواء كان ذلك فيما يتعلق بفقه النصوص، أو الأحكام، أو فيما يتعلق بالآخرين.
9. الداعية قدوة صالحة فيما يدعو إليه فلا يناقض أقواله أفعاله، فهو بحاجة ماسة إلى تطبيق ما يدعو إليه حتى يقتدي به الناس، فهو أولى الناس بالاستقامة ليقتدي به غيره.

ثانيًا: أهم التوصيات:

أولًا: أوصي الدعاة لعمل مؤتمر علمي عام يتماشى مع مقتضيات العصر، ويستشرف المستقبل للنهوض بالأمة، وتفعيل دورهم في المجتمع.

ثانيًا: أوصي أصحاب القرار وجهات الاختصاص أن يفعلوا دور الدعاة والعلماء في إصلاح المجتمعات.

أهم المصادر والمراجع:

1. ابن القيم، محمد، *الفوائد*. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية: 1393 هـ - 1973 م.
2. ابن باز، عبد العزيز، *مجموع فتاوى العلامة*. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر:(ب،ت).
3. ابن تيمية، أحمد، *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة: 1419هـ - 1999م.
4. ابن تيمية، أحمد، *مجموع فتاوى ابن تيمية*. مجمع الملك فهد،1416هـ/1995م.
5. ابن حبان، محمد، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1408 هـ - 1988 م.
6. ابن حبان، محمد، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993.
7. ابن حجر، علي، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
8. ابن حزم، أحمد، *الأخلاق والسير*. دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1408هـ=1988م.

9. ابن حنبل، أحمد، *مسند أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001 م.

10. ابن حنبل، أحمد، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.

11. ابن عاشور، الطاهر، *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

12. ابن عطية، عبد الحق، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1422 هـ.

13. ابن فارس، أحمد، *معجم مقاييس اللغة*. دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م.

14. ابن كثير، بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1420هـ - 1999 م.

15. ابن ماجة، بن يزيد، *سنن ابن ماجه*. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

16. أبو السعود، محمد، *تفسير أبي السعود*. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

17. أبو داود، سليمان، *سنن أبو داود*. دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430 هـ - 2009 م.

18. أبو عمرة، فايز، العرابيد،عبد السميع، أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم. *مجلة الجامعة الإسلامية- غزة*، مجلد 25، عدد1 (2017).

19. الأزهري، محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى: 2001م.

20. البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*. دار طوق النجاة، الطبعة الأولى:

1422هـ.

21. التركي، عبد المحسن، *الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله*. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1418هـ.

22. التهانوي، بن علي، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.

23. تيار الإصلاح، *البعد الدعوي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم*. 1437هـ-2016م، https://www.noslih.com/article

24. الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: 1407 هـ - 1987 م.

25. الدامغاني، محمد، *قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم*. دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة: 1980.

26. الذهبي، حسين، *التفسير والمفسرون*. مكتبة وهبة، القاهرة.

27. الرازي، محمد، التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: 1420 هـ.

28. الراشد، أحمد، *الرقائق*. مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة: 1401 هـ - 1981م

29. الرافعي، صادق، *السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية*. دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى.

30. رضا، محمد رشيد، *تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

31. الزمخشري، جار الله، *أساس البلاغة*. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1419 هـ - 1998 م.

32. الزمخشري، جار الله، *ربيع الأبرار ونصوص الأخيار*. مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى: 1412 هـ.

33. الزمخشري، محمود، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 هـ.

34. السعدي، عبد الرحمن، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ -2000 م.

35. الطبري، بن جرير، *جامع البيان في تأويل القرآن*. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000 م

36. طنطاوي، محمد سيد، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى: 1997م.

37. الطيار، بن محمد، وآخرون، *الفقه الميسر*. مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1432- 2011.

38. عفيفي، عبد الرزاق، *مذكرة التوحيد*. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420هـ.

39. العلواني، فياض، *أدب الاختلاف في الإسلام*. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1987 م.

40. الفوزان، بن فوزان، *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*. دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م.

41. الفوزان، بن فوزان، *شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب*. دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى 1421هـ - 2005م.

42. الفيروزآبادي، مجد الدين، *القاموس المحيط*.

43. القاسمي، جمال الدين، *محاسن التأويل*، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1418 هـ.

44. القحطاني، بن علي، *الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة*. الرياض مطبعة سفير.

45. القحطاني، علي، *فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري*. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

46. القرطبي، بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*. دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية: 1384هـ - 1964 م.

47. الكوفي، بن السري، *الزهد*. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى: 1406.

48. محمد، بن لطفي، *الجانب الدعوي في السيرة النبوية*. موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/aldawah/396.htm

49. مرشد، الحيالي، *الفكاهة والطرفة في الخطاب الدعوي*. 1440هـ، 2019م https://www.noslih.com/article

50. المنجد، محمد، *القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب)*، الإنترنت: في 26 ذي القعدة، 1430 هـ = 15 نوفمبر، 2009 م.

51. النيسابوري، بن الحجاج، *صحيح مسلم*. دار إحياء التراث العربي - بيروت

منهج القرآن في بناء الثقة من خلال مواقف من قصة موسى عليه السلام

د. رمزي محمد عبد الله أبو بكر

أستاذ مساعد بكلية الدراسات العليا جامعة العلوم والتكنولوجيا – عدن

عضو هيئة التدريس بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وجامعة العادل- عدن

abohafsabohafs@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/06/23م تاريخ قبوله للنشر: 2023/07/06م

الملخص:

موضوع البحث: (منهج القرآن في بناء الثقة من خلال مواقف من قصة موسى عليه السلام)، يهدف البحث إلى إبراز منهج القرآن الكريم في بناء الثقة وعلاج انكسار المسلمين ومداواة هزيمتهم النفسية، من خلال مواقف من قصة موسى -عليه السلام-، وقد تم فيه استخدام المنهج التحليلي الاستنباطي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أن الثقة مصطلح واسع يشمل معاني متعددة وهي صفة راسخة في النفس مفادها الاطمئنان بإمكانية تحقيق الأهداف المرجوة، دون تردد، وأن قصة موسى -عليه السلام- نموذج يبرز من خلاله منهج القرآن في بناء الثقة في نفوس المنكسرين، وأن فقدان الثقة من أسباب الهزيمة النفسية لدى الأمة الإسلامية اليوم رغم امتلاكها لمقومات العزة، ومهما كانت الثقة بالله فلابد من العمل بالأسباب، ومهما كانت الأسباب ضعيفة فإن الله يتولى تدبير أمرها، وأوصت الدراسة بتكثيف جهود العلماء والدعاة والباحثين، في الاهتمام بقضية إعادة الثقة للأمة المهزومة نفسيًّا، واستكمال دراسة منهج القرآن في بناء الثقة من خلال القصص القرآني.

الكلمات المفتاحية: الثقة، قصة موسى، فرعون، إسرائيل.

Qur'an's approach to building trust through attitudes from the story of Musa, peace be upon him

Dr.ramzi mohammed Abdullah abobakr
Assistant Professor in College of Graduate Studies, University of Science & Technology- Aden
Teaching staff member in Holy Quran & Islamic Sciences University, Ala'del University- Aden

Received: 23/06/2023 Accepted: 06/07/2023

ABSTRACT

Research topic: (Qur'an's approach to building confidence through attitudes from the story of Musa (peace be upon him)), the research aims to highlight Qur'an's approach to building confidence and treating Muslims ' brokenness and healing their psychological defeat, through attitudes from the story of Musa (peace be upon him), and the deductive analytical approach was used, and one of the most important findings of the study: that confidence is a broad term that includes multiple meanings. The story of Moses (peace be upon him) is a model through which Qur'an's approach to building trust in the souls of the broken emerges, and that loss of trust is one of the reasons for the psychological defeat of the Islamic nation today, despite possessing the elements of pride, and no matter how trust in Allah, the reasons must be worked out, and no matter how weak the reasons are, Allah takes care of it. The study recommended intensifying the efforts of scholars, preachers and researchers to pay attention to the issue of restoring trust to the psychologically defeated nation, and completing the study of Qur'an's approach to building trust through Quranic stories.

Keywords: trust, Musa story, Pharaoh, Israel.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

إن القرآن الكريم هو المنهج الأمثل والأعلى لتنظيم شؤون الحياة، وفيه منهج متكامل لعلاج الأمراض التي تصيب الحياة البشرية وتؤدي إلى الانكسار، وأن حياة الأنبياء –عليهم السلام– هي النموذج الأمثل للحياة التي يريدها الله تعالى من البشر، وفي قصة موسى –عليه السلام– الكثير من الدروس والعبر والمواقف التي تلامس قلوب المنكسرين فتجبرها، ولا يخفى على كل ذي لُبٍّ ما وصل إليه حال الأمة اليوم من الضعف والذل والهوان والتبعية، فهي واقعة في فخ "احتقار الذات" أو ما يسمى "بالهزيمة النفسية"، أو "الانكسار" نتيجة فقدان الثقة، لسان حال الكثير منهم: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [سورة البقرة:249]، وعلى الواثقين الناجين من الانكسار أن يأخذوا بأيدي الأمة إلى طريق النجاة، ويعيدوا بناء الثقة للأمة بربها وبدينها ومنهجها، لينقذوها من وحل الانكسار، وذلك من خلال القرآن الكريم.

وقد قمت باختيار هذا الموضوع لإبراز منهج القرآن الكريم في علاج انكسار المسلمين ومداواة هزيمتهم النفسية، وإعادة بناء الثقة، واستنباط هذا المنهج من خلال دراسة تحليلية لمواقف من قصة موسى –عليه السلام– لأخذ العظة والعبرة.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

1. إن الثقة ركن مهم في حياة المسلم، وبفقدها لن يحقق أهدافه في الحياة، فلابد من السعي لبناء الثقة وحمايتها مما يزعزعها.
2. تشابه كبير بين حال الأمة الإسلامية وحال قوم موسى عليه السلام، وقد قص الله

علينا قصصهم لأخذ العبرة، فكان لابد من الوقوف على أخبارهم؛ لأخذ العظات والعبر.

3. الأمة الإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلى من يدلها على طريق العزة، ويعيد لها الثقة، ويبعد عنها العراقيل التي سببت لها الانكسار، فكان اختيار هذا الموضوع محاولة لذلك.

أهدافُ البحث:

1. إبراز منهج القرآن الكريم في بناء الثقة وعلاج انكسار المسلمين ومداواة هزيمتهم النفسية، من خلال مواقف من قصة موسى -عليه السلام-.
2. الاستفادة من قصة موسى -عليه السلام- في أخذ الدروس والعبر التي تنهض بالأمة وتعيد لها عزها ومجدها.
3. السعي في إيجاد علاج لمشكلة الذل والهزيمة النفسة والانكسار لدى الأمة الإسلامية اليوم.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في شعور كثير من أبناء الأمة اليوم بالانكسار والهزيمة النفسية وانعدام الثقة بربهم وبأنفسهم وبما يمتلكون من مقومات العزة، ويمكن معالجة هذه المشكلة في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما المقصود بالثقة، وما منهج القرآن في بنائها؟
2. ما سبب الذل والهزيمة النفسة لدى الأمة الإسلامية اليوم، وهي تمتلك مقومات العز والمجد؟
3. ما مدى فاعلية القرآن في إعادة بناء الثقة في الأمة الإسلامية؟

4. كيف يمكن الاستفادة من قصص القرآن الكريم في إعادة بناء الثقة في الأمة الإسلامية؟
5. ما مدى تأثير قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون وبني إسرائيل في نفوس المنكسرين لإعادة الثقة لهم؟

منهج البحث:

المنهج الوصفي الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع واستقراء الآيات المتعلقة بقصة موسى -عليه السلام- في المواقف محل الدراسة، في القرآن الكريم، ثم **المنهج التحليلي الاستنباطي**، باستنباط الدروس والعبر التي تبين منهج القرآن في بناء الثقة، وذكر ما تشير إليه الآيات من هذه القصص.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لما كُتِبَ عن هذا الموضوع، وجدت مجموعة من الكتب والدراسات العامة التي تدرس قصص الأنبياء -عليهم السلام-، أو تتحدث عن نهضة الأمة، أو تتحدث عن بناء الثقة بشكل عام، منها:

- رسالة ماجستير، في التفسير وعلوم القرآن، من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، غزة. للباحثة/ عطاء طلعت محمد (2016م)، بعنوان: الثقة بالله في ضوء القرآن دراسة موضوعية، كانت أهم نتائجها تعريف الثقة وبيان أهميتها، وذكر دوافع الثقة بالله، ومظاهر الثقة بالله، ومجالات الثقة بالله، وثمار الثقة بالله.
- بحث لسميرة بنت محمد جالية بعنوان: (منهج القرآن في تعزيز الثقة بالنفس) في 25 صفحة، بينت فيه تعريف الثقة بالنفس وأهميتها وعوامل بناء الثقة بالنفس وصفات الواثق بنفسه.

وهما دراستان تناولتا موضوعي الثقة بالنفس والثقة بالله من خلال الدراسة النظرية للموضوع، مع الاستشهاد ببعض النماذج للواثقين بإيجاز، وتختلف دراستنا هذه عنهما بأنها جاءت لإبراز منهج القرآن في بناء الثقة من خلال دراسة عميقة لمواقف من قصة موسى –عليه السلام– تم اختيارها بعناية؛ لما فيها من ارتباط وثيق بموضوع الثقة، واستنباط الدروس والعبر التي تنمي الثقة منها، فلم تتطرق الدراسة لتفصيل تعاريف الثقة وتحليلها، ولم يكن الحديث فيها عن الثقة بإضافتها إلى الله أو إضافتها إلى النفس، باعتبار أن الثقة أمر واحد كلي مهما أضيفت إلى أمور تخصصها، فالواثق بالله واثق بنفسه، وفاقد الثقة فقدها في كل شيء.

هيكل البحث: يتكون البحث من:

- **مقدمة:** وتشمل: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ومصطلحات البحث، وهيكل البحث.
- **تمهيد.**
- **المبحث الأول: أحداث قصة موسى –عليه السلام– مع فرعون ومباراة السحرة،** وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال بعثة موسى –عليه السلام–، وإرساله إلى فرعون.
  - المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال مباراة السحرة، ووعد موسى –عليه السلام– لبني إسرائيل بالاستخلاف.
- **المبحث الثاني: أحداث قصة نجاة موسى –عليه السلام– وغرق فرعون، ودخول الأرض المقدسة،** وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال نجاة موسى -عليه السلام- وغرق فرعون.
- المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال قصة دخول الأرض المقدسة.

تمهيد:

قبل الولوج إلى البحث نتعرف على أهم مصطلحات البحث:

- **منهج**: ورد في قواميس اللغة لكلمة (منهج) أنها تدل على الطريق الواضح المستقيم[1].
- **الثقة**: مصطلح واسع يشمل معاني متعددة، أهمها: التوكل، والاعتماد، والزهد، والاعتصام، والتفويض، والقناعة، والاطمئنان... وغيرها، ومن مفاهيم الثقة التي وقف عليها الباحث ما يأتي:
  - "الثقة: هي التي يعتمد عليها في الأقوال والأفعال"[2].
  - "الثقة: سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم"[3].
  - "الثِّقَة سُكُون يسْتَند إِلَى أَدِلَّة وإمارات يسكن القلب إليها، فكلما قويت تلك الإمارات قويت الثقة واستحكمت، ولاسيما على كثرة التجارب، وصدق الفراسة، واللفظة كأنها -والله أعلم- من الوثاق، وهو الرباط فالقلب قد ارتبط بمن وثق به؛ توكلًا عليه وحسن ظن به، فصار في وثاق محبته ومعاملته والاستناد إليه والاعتماد

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة (361/5).
(2) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات (ص72).
(3) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين (142/2).

عليه، فهو في وثاقه بقلبه وروحه وبدنه"[1].

- "الثقة بالله هي خلاصة التوكل ولبه، فالثقة كالروح، والتوكل كالبدن الحامل لها، ونسبتها إلى التوكل كنسبة الإحسان إلى الإيمان"[2].
- "الثقة بالله ألا تسعى في طمع، ولا تتكلم في طمع ولا ترجو دون الله سواه، ولا تخاف دون الله سواه، ولا تخشى من شيء سواه"[3].
- "والثقة: تعني القناعة المتكررة بصحة الشيء وصدقه"[4].
- "هي التفويض إلى الله والاعتماد عليه في قضاء الحوائج، وتفريج الكروب، والتسليم المطلق بصدق وعده ووعيده، وعظيم قدرته، وإحاطة علمه بكل شيء، والطمأنينة به، والسكون إليه، والإياس والتجرد من الخلق"[5].

ويستخلص الباحث من هذا تعريفاً للثقة بأنها: أساس اليقين، وَلُبُّ التَّوَكُّل، وكمال الاعتماد، ورأس الزهد، وهي: صفة راسخة في النفس مفادها الاطمئنان بإمكانية تحقيق الأهداف المرجوة، دون ريب ولا تردد.

- **القصة القرآنية:** هي إخبار عن أحوال الأمم الماضية في العصور الغابرة، والأزمنة الماضية، والنبوءات السابقة، والحوادث الواقعة، فهي وسيلة من وسائل القرآن

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، (244/1).
(2) التويجري، محمد بن إبراهيم موسوعة فقه القلوب، (2049/2).
(3) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (61/8).
(4) مجلة الوعي، مفهوم الثقة، مجلة الوعي، (1421هـ-2000م)، العدد 156، نشر في النت بتاريخ: 07 /09/2016، على الرابط:.al-waie.org
(5) طلعت، عطاء، الثقة بالله في ضوء القران الكريم (ص13).

الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة [1].

(1) انظر: قطب، سيد، التصوير الفني، (صـــ143)، ومشيل، صابر، القصة القرآنية مفهومًا وأسلوبًا، (صـ46).

المبحث الأول

أحداث قصة موسى عليه السلام مع فرعون ومباراة السحرة.

المطلب الأول: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال بعثة موسى –عليه السلام–، وإرساله إلى فرعون.

تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن كثيرًا، وسأكتفي بذكر شواهد منها.

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ...﴾ الآيات إلى قوله تعالى﴿... فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [سورة طه:9-14].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ...﴾ الآيات إلى قوله تعالى﴿... فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ [سورة الشعراء:10-17].

هذه الآيات العظيمة التي تتحدث عن قصة بعثة موسى –عليه السلام– وتكليم الله له وإرساله إلى فرعون، إنها من أعظم الآيات التي يبرز من خلالها منهج القرآن في بناء الثقة؛ وفيها الكثير من الدروس والعبر.

فهذه آيات بينات تهز وجدان كل من فيه ذرة إيمان؛ لما فيها من عبر وتوجيهات وحكم إلهية، ينبغي للمسلم أن يقف عندها طويلًا ويتأملها ويتفكر في هذا اللقاء المقدس.

قال صاحب الظلال: "إن القلب ليجف، وإن الكيان ليرتجف، وهو يتصور–مجرد تصور– ذلك المشهد.. موسى فريد في تلك الفلاة، والليل دامس، والظلام شامل، والصمت مخيم، وهو ذاهب يلتمس النار التي آنسها من جانب الطور، ثم إذا الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢.....﴾ [سورة

طه:12]"[1].

أيُّ ثقة وأيُّ طمأنينة وأيُّ سكينة ستسري في كيان موسى -عليه السلام-، وهو يسمع: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، ربك يا موسى الذي كنت تدعوه أن ينجيك من ملاحقة جنود فرعون بعد حادثة قتل القبطي، ربك الذي كنت تدعوه وتستغيث به في كل شؤون حياتك فيسمعك ويستجيب لك دون أن تسمعه أنت، ها هو يناديك ويكلمك الآن، فتسمعه ويسمعك.

"فساعة أنْ كلَّمه ربه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ أزال ما في نفسه من العجب والدهشة ... وعلم أنها من الله تعالى، فاطمأنَّ واستبشر أنْ يرى عجائب أخرى؟"[2].

وقد تضمن حديث هذا اللقاء المقدس موضوعات عدة أهما:

معرفة الله تعالى والأمر بعبوديته وحده ونفي ما سواه من الآلهة، الإخبار بالساعة وأنها موعد الجزاء، وتأييد موسى -عليه السلام- بالآيات الدالة على صدقه، والإرسال إلى الطاغية فرعون، وسؤال موسى ربه أن يعينه على الرسالة بإشراك أخيه هارون معه، واستجابة الله له[3].

ولنتأمل في كيف جعل الله -سبحانه وتعالى- نبيه موسى -عليه السلام- واثقًا كل الثقة، فجعله يقتحم أسوار فرعون ويدعوه إلى عبادة الله وترك الكبر والتجبر والظلم، يأمره وينهاه، وذلك من خلال إتمام الصناعة الربانية والتربية النفسية لموسى -عليه السلام-، فنلحظ في قوله تعالى

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن (2330/4).

(2) الشعراوي، محمد متولي، الخواطر (9230/15).

(3) انظر: العيد، سليمان بن قاسم، (1422هـ-2002م)، دعوة موسى -عليه السلام- لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، م 14، (1)، (ص273-274) بتصرف.

لموسى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أن الله تعالى ينمي في نفس موسى -عليه السلام- أمرًا في غاية الأهمية لبناء الثقة في النفس وهي معرفة الذات، (اعرف ذاتك)، فقوله تعالى لموسى -عليه السلام-: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي أنك لست شخصًا عاديًا، فقد وقع عليك الاختيار والاصطفاء الرباني، كما قال الله تعالى له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [سورة الأعراف:144]، ولهذا جاء في كتاب (كيفية بناء الثقة بالنفس): إذا أردت أن تعزز الثقة في نفسك عليك أن تعلم في البداية أن الثقة بالنفس لا تولد مع الشخص وإنما هي مكتسبة ويمكن تعزيزها بل بناؤها حتى من الصفر، وصناعة الثقة تبدأ من تصورك أنت عن نفسك؛ فعليك حتى تبني شخصية قوية واثقة أن يكون تصورك عن نفسك إيجابيًا ومثل هذا التصور الإيجابي يمنحك طموح التغيير، وحافز الفعل والصبر على المصاعب(1).

فهذا أمر مهم جدًا في تنمية الثقة في النفس وهو أن يعرف الإنسان شخصيته ويتعرف على جوانب القوة وجوانب الضعف، وجوانب القصور وجوانب الكمال في نفسه، فموسى -عليه السلام-، عندما يعرف بأن الله اختاره واصطفاه يزداد ثقة بأن الله سيتولى جميع أموره.

ومن منهج القرآن في بناء الثقة في قلب موسى -عليه السلام- البيان العملي التطبيقي لكيفية عمل المعجزات التي أيده الله تعالى بها، (العصا واليد)، لم يخبره الله تعالى أن إذا طلب منك فرعون برهانًا أن تلقي العصا وستعود كذا وكذا، بل علمه ذلك بطريقة تطبيقية عملية، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ

(1) انظر: أبو سالم، أشرف فؤاد محمد، كيفية بناء الثقة بالنفس (ص5).

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [سورة طه:17-21]، ومثلها معجزة اليد: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة طه:22]، وذلك حتى يكون موسى -عليه السلام- واثقًا في نفسه ويعرف كيف يتصرف لاحقًا بهذين البرهانين اللذين قال الله عنهما: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة القصص:32]، فلا شك أن الرؤية العملية تزيد النفس ثقة وطمأنينة.

ومن منهج القرآن في تعزيز معاني الثقة في نفس الداعية المسلم من قضية إرسال موسى وهارون -عليهما السلام-: تطمين الله لهما ونهيه لهما عن الخوف، وإخبارهما بمعية الله لهما معية خاصة، ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة طه:46]، ومن كان الله معه فمن عليه وممن يخاف؟!

فإذا علم المسلم أن الله معه عندها تزداد ثقته ويقينه بالله، فموسى وهارون -عليهما السلام- بمجرد أن قال لهما الله، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، علما علم اليقين أن الله ناصرهما؛ فاتجها إلى فرعون لتبليغه الرسالة دون خوف ولا وجل ولا تردد، مزودان بسلطان من الله تعالى، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [سورة القصص:37]، فلا تنالهما يد طاغية أبدًا، فرعون أو غير فرعون(1).

ولما وصل موسى -عليه السلام- إلى الطاغية فرعون لم يخف من قول كلمة الحق في وجهه، ولم يتمتم بكلام غير مفهوم ولم يأتِ بألفاظ تحتمل التأويل؛ بل قال له بكل وضوح -منطلقًا من ثقته بتأييد الله له-: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأعراف:104]، أي:

(1) انظر: الخميس، عثمان، فبهداهم اقتده (ص356-357).

أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربه ومليكه[1]، "ومن هنا نرى الثقة والشجاعة ورباطة الجأش في شخصية موسى -عليه السلام-، فقد طعن في دعوى فرعون أنه الإله المستحق للعبادة، وطلب منه أن يطلق بني إسرائيل من عبوديته، وهو ما لم يجرؤ على قوله أحدٌ لفرعون من قبل، رغم أنه استعبد الآلاف من الإسرائيليين"[2].

كذلك من منهج القرآن في بناء الثقة من أحداث هذه القصة: حرص موسى -عليه السلام- على إنجاح الدعوة وإيصال الرسالة إلى فرعون بأتم صورة وأوضحها وذلك من خلال طلبه إشراك هارون في الأمر، وكذلك باستجابة الله تعالى طلبه وتأييده بأخيه هارون وبالمعجزات؛ حتى تكتمل ثقته وتشتد همته وتقوى عزيمته، قال الله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة القصص:35]، أي: "سنعزز جانبك، ونقوي شأنك، ونعينك بأخيك الذي سألت أن يكون نبيًا معك، وسنجعل لكما السلطان، أي الحجة الغالبة، والتفوق على عدوكما، فلا يكون للأعداء سبيل للوصول إلى أذاكما، بما نسلطكما عليهم بآياتنا البينات، تمتنعان منهم بها، أنت يا موسى وأخوك، ومن آمن بكما، واتبعكما في رسالتكما الغالبون بالحجة والبرهان"[3].

وفي هذا درسٌ للداعية أن يكون حريصًا على إنجاح الدعوة وبلوغ أهدافها، وذلك بإشراك غيره معه في أعمال الدعوة إذا أحس من نفسه تقصيرًا في متطلبات الدعوة، وعدم قدرته على الانفراد والاستقلال في أعمالها ومتطلباتها، وترك التحاسد وحب الظهور[4]،

(1) انظر: الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل (232/2)، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (454/3).

(2) دويكات، نضال، قصة موسى مع فرعون بين القرآن والتوراة (ص75).

(3) الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير الوسيط (1917/3).

(4) انظر: زيدان، عبد الكريم، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (ص374).

والاعتراف بأفضلية الآخر وكفاءته، اقتداءً بسيدنا موسى -عليه السلام- حين قال: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [سورة القصص:35]، فالتعاون والتكامل الدعوي أدْعَى لنجاح الدعوة، فلو تأملنا اليوم وتفكرنا ما سبب عدم نجاح كثير من الجماعات الإسلامية الدعوية رغم ما يبذلونه من جهود دعوية، لوجدنا أن السبب هو الاستمرار في الخلاف بينهم وبين الجماعات الأخرى واهتمامهم بأمور الخلاف أكثر من اهتمامهم بأمور الدعوة، ولا شك أنه يوجد عند كل جماعة ما لا يوجد عند غيرها من مقومات الدعوة ووسائلها وأساليبها وعلمائها وعلاقاتها وخبرتها، فلو تعاون الجميع واتفقوا وتجاوزوا الخلافات الضيقة، فإنهم سيكونون أفضل، وسيكون تأثيرهم أقوى، وسيكتب النجاح للجميع، وما لم يستطيعوا أن يحققوه في قرون -على اختلافهم- سيتحقق في فترة وجيزة بإذن الله.

ويتلخص منهج القرآن في بناء الثقة من هذه القصة من خلال:

- غرس الثقة بالله، من خلال تقرير وحدانية الله تعالى.
- إرساء عقيدة الإيمان بالله تعالى، والشعور بمعيته، وتأييده لعباده الصادقين.
- غرس الثقة بالنفس من خلال التأكيد على مبدأ (اعرف ذاتك).
- التجربة المسبقة لاستخدام الوسائل.
- بث روح التعاون والعمل الجماعي لإنجاز المهام.

المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال قصة مباراة السحرة، ووعد موسى -عليه السلام- لبني إسرائيل بالاستخلاف.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾...الآيات من سورة الأعراف إلى قوله تعالى: قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأعراف:113-129].

لإبراز منهج القرآن في بناء الثقة من خلال قصة مباراة موسى -عليه السلام- للسحرة، ثمة تساؤلات مثيرة، الإجابة عنها تدل بوضوح على منهج القرآن في بناء الثقة، وهي: كيف استطاع موسى -عليه السلام- إقناع فرعون بأن يناقش في أمر ربوبيته وألوهيته التي يدَّعيها؟! وكيف قبل فرعون النقاش في أمر كهذا؟! هل كان فرعون واثقًا من نفسه فيما يدعيه من أمر الربوبية والألوهية؟! أم هل كان فرعون فعلًا طالب حق حتى يقول لموسى -عليه السلام-: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾﴾[سورة طه:58]؟!

ومن هذه التساؤلات أيضًا: أن موسى -عليه السلام- على علم تام بالسحرة وهيبتهم ومكانتهم في ذلك الزمان، فكيف استطاع موسى -عليه السلام- قبول التحدي الفرعوني بمبارزة أعتى السحرة وأمهرهم؟!

الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في الآتي:

الثقة المطلقة التي زرعها الله تعالى في قلب موسى -عليه السلام- من خلال تمام الصناعة الربانية لموسى -عليه السلام- وإخباره بذلك: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه:39]، ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾[سورة طه:41]، ومن خلال تكليم الله له، وتطمينه في عدة مواضع كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[سورة طه:46] أيضًا: تعريف الله لموسى -عليه السلام- بعلو شأنه ومكانته واختلافه عن غيره من الخلق: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [سورة الأعراف:144]، ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ [سورة طه:13] وهذا أرسى في قلب موسى -عليه السلام- جبالًا من الثقة بالله، والثقة بنفسه وبما يدعو إليه.

أيضًا الأسلوب الدعوي اللطيف الذي استخدمه موسى وهارون في دعوة فرعون؛ امتثالًا لأمر ربهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا

﴿لَّيِّنَا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[سورة طه:44]، هذا الأسلوب جعل فرعون يمتثل لمناقشتهما.

وكذلك قدرة الله زرعت الرهبة في قلب فرعون، فلم يبطش بموسى -عليه السلام- من أول لحظة، بل لما ألجمه موسى -عليه السلام- بالجدال أقصى ما فعله فرعون هو التهديد بالسجن: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الشعراء:29].

قوة المعجزات التي جاء بها موسى -عليه السلام-، ولعل لمكانة موسى -عليه السلام- السابقة في بيت فرعون دور أيضًا، فهو ربيبه وكان ينادى موسى ابن فرعون(1).

وأما عن قبول موسى -عليه السلام- التحدي الفرعوني بمبارزة أعتى السحرة وأمهرهم، فيكمن في معرفة أن ما جاء به موسى -عليه السلام- من المعجزات ليس سحرًا ولا خيالًا ولا افتراء، وإنما هو الحق المبين الذي لا يخالطه شك ولا ريب ولا غموض ولا يملك أحد أدنى حجة تعترضه.

وإن الأمر الذي يدعو إليه موسى -عليه السلام- ليست فكرة تجعله ينال بها ملكًا أو مالًا أو سلطانًا، ولم يدعُ الناس لأن يكونوا عبيدًا له هو -حاشاه-، وإنما لله وحده لا شريك له: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران:79].

وهذا هو ما جعل موسى -عليه السلام- يقف بكل ثقة وشموخ وعزة، ويقبل التحدي الفرعوني بأن يبارز السحرة، ويقبل بنتيجة المبارزة سلفًا، فهو على ثقة تامة بأنهم لن يهزموه أبدًا، فما هو إلا مبلغ عن الله، والأمر أمر الله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [سورة يوسف:21]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة المجادلة:21].

(1) انظر: ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن، تفسير القرآن العظيم (803/13)، الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (584/24)، ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (88/20).

فأعظم ما يشد الانتباه للحديث عن بناء الثقة من قصة مباراة موسى -عليه السلام- للسحرة هو: ثقة موسى -عليه السلام- المطلقة بنصر الله له، المنطلق من ثقته بقوة الحق المؤيد بالعناية الإلهية.

أيضًا إن قبول فرعون ورضوخه لأمر مباراة السحرة والحكم على موسى -عليه السلام- بأنه ساحر جاء من قِبَلِ الملأ الذين يوليهم المناصب والوظائف الكبرى، فهم لما أحسوا بالخطر مما جاء به موسى -عليه السلام- قالوا ذلك، ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف:109-112]؛ لأنه جاء بشيء يشبه السحر في عرفهم، قال سيد قطب: "إنهم يصرحون بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة، إنها الخروج من الأرض.. إنها ذهاب السلطان.. إنها إبطال شرعية الحكم.. أو محاولة قلب نظام الحكم! .. بالتعبير العصري الحديث!"(1).

فكان لابد من المبارزة، ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف:113] قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وحضر فرعون وأمراؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم"(2).

ثم توجه السحرة إلى موسى -عليه السلام- بلغة الواثق من قوته، المتحدي لخصمه: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف:115]، قال صاحب المنار: "أما تخييرهم إياه فلثقتهم بأنفسهم، واعتدادهم بسحرهم، وإرهابًا له، وإظهارًا لعدم المبالاة به، مع العلم بأن المتأخر يكون أبصر بما يقتضيه الحال بعد وقوفه على منتهى شوط

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن (1348/3).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية (295/1).

خصمه"[1].

إن ثقتهم هذه؛ لظنهم أنهم يواجهون ساحرًا مثلهم، "وهم وفرعون لا يعلمون أن الموقف ليس موقف الاحتراف والمهارة والتظليل، وإنما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة التي لا يستطيع الوقوف في وجهها الساحرون ولا المتجبرون وغيرهم"[2].

ولأن موسى -عليه السلام- صاحب حق وداعيًا إليه؛ فقد وعظهم قبل البدء بالمباراة، فكانت موعظة دخلت شغاف القلوب فهزت ثقتهم وزلزلت معنوياتهم، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢﴾ [سورة طه:61-62] قال السعدي: "لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى -عليه السلام-، وارتبكوا"[3].

ثم: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣﴾ [سورة الشعراء:43] جعلهم موسى -عليه السلام- يبدؤون؛ لأنه يثق في ربه ودعوته، وحتى يتمكن من إبطال سحرهم أمام الناس، متأكدًا أن الله تعالى لا يصلح عمل المفسدين[4].

وهذا منهج القرآن في بناء الثقة في نفوس المؤمنين من خلال التأمل في تمام ثقة موسى -عليه السلام- بنصر الله له، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم واثقًا بنصر الله تعالى له، وأنه المدافع عنه وأنه وليه ومنجيه من ذاك العدو المتغطرس المتجبر، وكيف لا يثق المؤمن بالله تعالى وهو

(1) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (56/9).
(2) طنطاوي، محمد سيد، القصة في القرآن (386/1).
(3) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن (508/1).
(4) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير (133/5)، الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن (454/5)، غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل –عليهم السلام–، (303/1).

يخبره -في القرآن- بأن لا يحزن ولا ييأس وأن العزة والعلو له إن حقق الإيمان الكامل به[1]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران:139]، كيف لا يثق بنصر الله من يسمع ويتلو هذه الآيات، ويتأمل هذا الموقف العظيم لنبي الله موسى -عليه السلام- وهو يتحدى كبار السحرة مجتمعين، ثم ينتصر عليهم بنصر الله وقدرته.

ولما ألقى السحرة بسحرهم العظيم، وألقى موسى عصاه، وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، وغلب فرعون وملؤه وانقلبوا صاغرين ذليلين، وألقي السحرة ساجدين مؤمنين بالله ومتبعين لموسى -عليه السلام-، إيمانًا عن علم ويقين ورضا، فهددهم فرعون بالتقطيع من خلاف والصلب وهو أمر لم يسبقه إليه أحد، كما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-[2].

وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأعراف:128]، فالمستضعفون بقيادة موسى -عليه السلام- لا أمل لهم إلا بالله، ولا ملجأ إلا إليه؛ لذا طلب موسى -عليه السلام- من قومه أن يطلبوا العون والتأييد من الله -تعالى-، وأن يتسلحوا بالصبر، فإن صدقوا في إيمانهم، وصبروا على بلائهم، حقق الله لهم الغلبة والنصر، وجعل العاقبة الحسنة لهم؛ لتقواهم[3]، فأمرهم موسى -عليه السلام- بشيئين، وبشرهم بشيئين: أمرهم بالاستعانة بالله تعالى، والصبر على بلاء الله، ووعدهم في أن يورثهم الله تعالى أرض فرعون بعد إهلاكه، وأن العاقبة الحسنى والمصير الأفضل لكل من اتقى الله -تعالى- وخافه، سواء في الدنيا والآخرة[4].

(1) انظر: طلعت، عطاء، الثقة بالله في ضوء القران الكريم (ص140).

(2) انظر: الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل (237/2).

(3) انظر: الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير (55/9-56).

(4) انظر: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (342/14)، الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير (55/9-56).

وهكذا يجب أن يكون حال الداعية أو القائد المسلم مع أتباعه، فلا يتركهم تعصف بهم هواجس الخوف وتهديدات الظالمين، بل يجب عليه رعايتهم وطمأنتهم وتلمس همومهم وحل مشاكلهم، فإن هذا من أعظم ما يزرع الثقة في قلوبهم، وطريق الدعوات شاق لا يواصل السير فيه إلا من امتلأ قلبه ثقة بالعاقبة وصبرًا على الابتلاءات والمكائد.

وفي وعد موسى -عليه السلام- لقومه بالاستخلاف وهلاك عدوهم أعظم درس من دروس بناء الثقة في قلوب المسلمين المستضعفين، والمشردين اليوم من أوطانهم، الذين احتُلت أوطانهم ودمرت بلدانهم وهُجِّروا وأخرجوا من بيوتهم في كثير من بلدان المسلمين، وخاصة أهل فلسطين المحتلة، أن يثقوا في التحرر والعودة والنصر، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأعراف:129].

وهناك كثير من المسلمين فقدوا ثقتهم؛ لضعف توكلهم على ربهم، واعتقادهم بقوة العدو وضعف إمكاناتهم، فأصبحوا يائسين لا ثقة عندهم، والحقيقة أن المسلمين لا تنقصهم العدة والعتاد، فلديهم من الإمكانات المادية والعسكرية، والإرادة القوية، والثقة به، والتوكل عليه -سبحانه وتعالى- ما يستطيعون أن يحققوا به النصر على الأعداء، وقد تمثلت ثقة المسلمين ورأيناها من خلال كثير من المواقف منها ثبات المسلمين في فلسطين، فرغم طغيان العدو وشدة شراسته والحصار والقتل والتشريد والدمار والويلات التي صبها اليهود عليهم، ما كان منهم إلا المقاومة، والتضحية بأغلى ما يملكون.

فلولا ثقة الفلسطينيين بعون الله ونصره لهم، ولولا ثقة هذا الشعب بأن الله ناصره وسيبزغ فجر الإسلام في أنحاء الدنيا، وسترفع رايات النصر خفاقة فوق قباب مساجدنا، لتزعزعوا وانهزموا، لكنها ثقة الواثق بنصر الله، والمستشعر بمعيته، والمدافع عنه، هي التي تلوح

في أنفسهم وتزيدهم قوة وصبرًا[1]، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأعراف:129].

ويتلخص منهج القرآن في بناء الثقة مما سبق من خلال الآتي:

- الثقة فيما تملك من الوسائل والأساليب.
- تربية المسلم على اللين وعدم الشدة والفضاضة.
- الثقة فيما تقول وتعتقد.
- الثقة بصحة المنهج الذي تدعو إليه.
- ذكر نماذج من قصص الواثقين.
- تربية المسلم على الثقة بوعد الله.
- الصبر، والاستعانة المطلقة بالله تعالى.
- النهي عن الخوف عند مواجهة الخصم.
- إخبار الله بمعيته لعباده الصالحين.

(1) انظر: طلعت، عطاء، الثقة بالله في ضوء القران الكريم (ص140).

المبحث الثاني

أحداث قصة نجاة موسى –عليه السلام– وغرق فرعون، ودخول الأرض المقدسة

المطلب الأول: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال نجاة موسى –عليه السلام– وغرق فرعون

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ...الآيات إلى قوله تعالى.. ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الشعراء:52-66].

بين أيدينا هذه الآيات المباركة التي تتحدث عن نجاة موسى –عليه السلام– وهلاك الطاغية فرعون، والتي تعد أنموذجًا جوهريًا لمنهج القرآن في بناء الثقة.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشعراء:52] هذا الأَمْرُ الإلهي من الله –تعالى– لموسى –عليه السلام– بالخروج من مملكة الظلم والطغيان يعطي الثقة للمظلومين والمستضعفين، بأن الله لا يرضى بالظلم أبدًا، ولن يقبل استمراره في أرضه[1]، كما روى الإمام مسلم عن أبي ذر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما روى عن الله –تبارك وتعالى– أنه قال: {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا}[2]، وإن الله ليغار عندما يرى أولياءه وعباده المؤمنين يتحكم بهم ظالم أو كافر[3]، ففي الحديث القدسي: {من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب}[4]، هذه بشارة للمؤمن التقي، وهي أن الله يدافع

(1) انظر: الفقي، إبراهيم، الطريق إلى الامتياز، (ص41).

(2) انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (1994/4)كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، رقم: 2577.

(3) انظر: الشعراوي، محمد متولي، الخواطر (8289/13).

(4) انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (105/8)، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم: (6502).

عنه؛ لأن من عادى ولي الله فهو مبارز لله بالحرب[1].

ولهذا حرم الله البقاء تحت سلطة الكفار وأوجب محاربة الظلم، وأوجب الهجرة من ديارهم ورغب فيها، وقد ورد هذا في سورة النساء مبسوطًا ومجملًا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء:97]، "ففي هذه الآية دعوة مشددة إلى محاربة الظلم والبغي والعدوان"[2].

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة والتي تنمي الثقة: أن الله يرعى المؤمنين ويدافع عنهم ويدلهم على أسباب النجاة، ويحفظهم حفظًا خاصًّا بأوليائه، يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس، فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم[3]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [سورة الحج:38].

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الشعراء:57-59] تحقيق لوعد موسى -عليه السلام- قومَه حين كانوا مستضعفين، فقال لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأعراف:129].

وفيه تسلية لكل المستضعفين الذين أخرجوا من ديارهم، وللمضطهدين في بلدانهم

(1) انظر: الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، شرح الوصية الكبرى لابن تيمية، (6/11).
(2) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن (877/3).
(3) انظر: السقاف، عَلوي بن عبد القادر (وآخرون)، الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية على الإنترنت: dorar.net.

بسبب الاستبداد السياسي، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة القصص:5]، فعندما يقرأ المؤمن هذه الآية تسري في كيانه فتزيده ثقة، وتكون له سكنًا ودواءً؛ ليواصل طريقه الشاق في هذا الزمن زمن الانكسار، وفي هذا العصر الأليم الذي ضاع فيه أبناء هذا الدين –إلا من رحم الله–، ووقعوا في هاوية المادية ونسوا كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ-، ولم يعتبروا بما حصل للطغاة والمفسدين من أمثال فرعون وهامان وجنودهما[1].

فالمتأمل لهذه القصص القرآنية وهي تحكي خروج الجبابرة والطغاة من ممالكهم صاغرين يرى عدل الله وغيرته على عباده المؤمنين المستضعفين، فيزداد ثقة بالله تعالى وبنصره، فيصبر ويحتسب وهو موقن أن الفرج قريب وأن النصر آتٍ لا محاله، وتزداد ثقته عندما يتلو قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة محمد:10]، "هدد الحق تعالى بحال الأقدمين، ودعا كفار قريش والناس قاطبة إلى النظر بقلوبهم في مصير الكافرين المكذبين، كيف أهلكهم واستأصلهم، وأعلن صراحة أن للكافرين في كل عصر وجيل أمثال هذه الفعلة، يعني التدمير، أو أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة، إن لم يؤمنوا، ذلك الإهلاك والهوان بسبب أن الله تعالى ناصر المؤمنين، وأما الكافرون الذين اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر، وتركوا الله تعالى، فلا ناصر لهم ولا معين يمنع عنهم العذاب"[2]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد:11].

﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء:62] في هذه الآية العظيمة يتجلى منهج

(1) انظر: اليوسف، مسلم محمد جودت، التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص (ص9).

(2) الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير (99/26).

القرآن في بناء الثقة في نفوس المسلمين بأن الله معهم ولن يتركهم ولن يتخلى عنهم، فمهما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ومهما ضاقت عليهم أنفسهم، واستنفدت الحيل وضاقت السبل وانتهت الآمال وتقطعت الحبال، فإن الله مع المؤمنين، يدفع عنهم الأعداء، يعافيهم من البلاء، ويشافيهم من الداء، يحفظهم في البأساء والضراء[1]، وإن نصر الله قريب، وإن مع العسر يسرًا، وكلما ضاقت انفرجت، وقد يتأخر النصر والفرج؛ لأمر يريده الله؛ وليعلم الله مدى ثقة العباد بربهم، وحتى ينتهي تعلقهم بجميع الأسباب ويبقى الأمل الوحيد بالله تعالى، عندها يتنزل النصر ويأتي الفرج بأمر الله، فعندما تضيق الدنيا على الإنسان المؤمن يأتي الفرج[2].

وفي هذه الآية يتبين أيضًا تمام الثقة عند موسى –عليه السلام– ووصوله إلى منتهى الثقة بالله تعالى، بعد تدرج على مراحل خلال حياته، فعند أول لقاء لموسى –عليه السلام– مع ربه حين أمره بإلقاء العصا، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [سورة النمل:10]، وفي الموقف الثاني عندما رأى سحر السحرة، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة طه:67]، ولكن في هذه المرحلة الأخيرة لم تهتز له شعرة ولم يتوجس ولم يتردد، ولكن قال بكل ثقة: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء:62].

وموسى –عليه السلام– لم يقُلْ: ﴿كَلَّآ﴾ اعتمادًا على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتمادًا على ربه الذي يكلؤه بعينه، ويحرسه بعنايته، فالواقع أنه لا يعرف ماذا يفعل، ولا كيف يتصرف، لكن الشيء الذي يثق فيه أن الفرج والخلاص من هذا المأزق آتٍ لا محالة فعين الله

(1) انظر: القرني، عائض بن عبد الله، لا تحزن، (549/1).
(2) انظر: حطيبة، أحمد، تفسير الشيخ أحمد حطيبة، (2/378).

ترعاه[1]، ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾، "كلا، في شدة وتوكيد، كلا لن نكون مدركين، كلا لن نكون هالكين، كلا لن نكون مفتونين، كلا لن نكون ضائعين: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء:62]، بهذا الجزم والتأكيد واليقين، وفي اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون"[2]، فجاء الفرج من رب رحيم إلى موسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[سورة الشعراء:63]، وفي هذا الفرج وانفلاق البحر جرعة ثقة عظيمة بمعية الله وعظمة الله وأن الله على كل شيء قدير، وأنه المالك المتصرف المدبر لأمور الكون، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

وفي أمر الله لموسى -عليه السلام- بضرب البحر، توجيه بأنه مهما بلغت قوة توكلك على الله ومهما كانت ثقتك بالله فلا بد من العمل بالأسباب، مهما كانت الأسباب ضعيفة فإن الله يتولى تدبير أمرها، فحقيقة التوكل أن تفعل السبب ثم تعتمد بعد فعلك السبب في حصول مطلوبك على الله جل وعلا، فلا يعتمد الإنسان على علمه، ولا على قوته، ولا على ماله أو سلطانه أو غير ذلك، بل يعتمد على ربه جل وعلا[3]، فلا يمكن لعصا أن تشق البحر ولا أن تجمد الماء لولا قدرة الله تعالى، يقول محمد رشيد رضا: "ولا تحصل حقيقة

(1) انظر: الشعراوي، محمد متولي، الخواطر (10578/17)، طلعت، عطاء، الثقة بالله في ضوء القران الكريم (ص192).

(2) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن (2599/5).

(3) ابن قيم، محمد بن أبي بكر، الروح (255/1)، الغنيمان، عبد الله بن محمد، شرح فتح المجيد، (5/26).

التوكل إلا بالسير على سنة الله تعالى في نظام الأسباب والمسببات"[1].

إذن ونحن المسلمين لا بد أن ندرك طبيعة هذا الأمر ونعمل جادين لنصرته مع الثقة بتأييد الله ونصره للعاملين في سبيله، ولكن البعض ينتظر من هذا الدين —ما دام منزلًا من عند الله– أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب ودون اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقاتهم الفطرية، ولواقعهم المادي، في أية مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم، وحين لا يرون أنه يعمل بهذه الطريقة؛ تقعد بالناس شهواتهم وأطماعهم وضعفهم ونقصهم، دون تلبية هتاف هذا الدين، أو الاتجاه معه في طريقه.

حين يرون هذا فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها —ما دام هذا لدين منزلًا من عند الله– أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته، أو يصابون بالشك إطلاقًا! وهذا كله ناتج عن عدم إدراك حقيقة هذا الدين[2].

فهذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياتهم بقدر ما يعملون لأجله ويجاهدون في سبيله ويدعون إليه وفق حدود الطاقة البشرية والفطرة الإنسانية، ومع هذا فهو مؤيد من عند الله ولن يرضى الله أن يخبو نوره أو ينطفئ ما دام هناك من يعمل لأجله، ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [سورة التوبة:32].

﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [سورة الشعراء:65-66] هذه الآية –وعشرات الآيات التي تتحدث عن هلاك الطغاة والظالمين ونصرة المستضعفين– تطرق مسامع القلوب بأن الحق مهما استُضعف فإن الغلبة له، وأن الباطل والظلم مهما انتفش فإن له نهاية، ونحن نرى اليوم حال المسلمين في كثير من أقطار الأرض في ذل واستضعاف

(1) انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (230/6).

(2) انظر: قطب، سيد، هذا الدين، (ص5-6).

وانكسار، يعانون ويلات الأنظمة القمعية والسياسات الاستبدادية والمؤامرات الإقليمية والدولية، قتل وتشريد واعتقالات واغتيالات لرموز الأمة وعلمائها، واضطهاد وتنكيل بالأقليات المسلمة في كثير من أقطار الأرض، ومع هذا كله يجب أن لا نيأس ونحن نقرأ قصة نجاة موسى -عليه السلام- وغرق فرعون، فإن ما يحدث اليوم ليس بأكثر مما فعله فرعون ببني إسرائيل، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة إبراهيم:42]، يجب أن نتأمل هذه القصص القرآنية ونقف عندها طويلًا لتزيدنا ثقة، فننفض عن الأمة غبار الذل والانكسار وننهض من جديد، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة فاطر:17].

ولمزيد من الثقة بنصر الله للمؤمنين وبإهلاك الظالمين فقد ترك الله لنا آية عظيمة شاهدة على ذلك، حيث أنجى الله فرعون ببدنه، أي: بجسد لا روح فيه[1]، وجثته ما تزال موجودة في متحف الآثار المصرية بالقاهرة[2]؛ ليكون عبرة للمعتبرين على مر الأزمان والدهور، وفرعون عندما أيقن بالهلاك ورأى الموت، قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة يونس:90]، ولم يقبل الله منه إذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف، والتوبة بعد المعاينة لا تنفع، كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر:85]،[3]، فكان الرد الإلهي على فرعون أن قال الله تعالى له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يونس:91].

(1) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (380/8).

(2) انظر: الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير (260/11).

(3) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير (102/6)، الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير (260/11)، القِنَّوجي، محمد صديق خان، فتح البيان (116/6).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [سورة الشعراء:67]، وفي هذا الحدث العظيم، تسلية للمستضعفين، ورسالة إلى الطواغيت والجبابرة: أن كُفُّوا عن بغيكم وارفعوا أيديكم وسياط جلاديكم عن ظهور الضعفاء، اعتبروا بما حل بأكبر طاغية، فلا يزال لديكم متسع من الوقت للتوبة ورد الحقوق والكف عن الظلم والبغي والمؤامرات، قبل أن يقال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

ويتلخص منهج القرآن في بناء الثقة مما سبق من خلال الآتي:

- معرفة عدل الله وعدم رضاه –سبحانه– ببقاء الظلم، وتربية المسلم على ذلك.
- الثقة بأن الله يرعى المؤمنين ويدافع عنهم ويدلهم على أسباب النجاة، ويحفظهم.
- بث روح الثقة في ساعة الشدة.
- الثقة المطلقة بتدبير الله لأسباب النجاة.
- الاعتماد على الله لا على الأسباب.
- الثقة بأن هذا الدين مؤيد من عند الله ولن يرضى الله أن يخبو نوره أو ينطفئ ما دام هناك من يعمل لأجله.

المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الثقة من خلال قصة دخول الأرض المقدسة.

قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ...﴾ الآيات من سورة المائدة إلى قوله تعالى﴿... قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المائدة:21-26].

الثقة بالله هي لباب السكينة، وبلسم الانشراح، ودواء القلق؛ وذلك لأنها تورث

الطمأنينة والوقار والسكون على قلوب العباد عند اضطرابهم من شدة المخاوف، فالثقة توجب زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والثبات(1).

وفي أمر موسى –عليه السلام– قومَه من بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة وتحذيرهم من التردد والتراجع، وفي رفضهم ونكولهم، وكذلك موقف الرجلين في حثهم على الدخول وطمأنتهم وبث الثقة فيهم، في هذا كله صور عظيمة توضح منهج القرآن في بناء الثقة.

وقد تنوعت أساليب القرآن في زرع الثقة ورعايتها في القلوب، ومما ورد في هذه القصة من تلك الصور والأساليب: النهي عما يضاد الثقة، وهو النكوص والارتداد، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المائدة: 21]، فالارتداد دليل على عدم الثقة، قال الآلوسي: "ويحتمل أن يراد بالارتداد صرف قلوبهم عما كانوا عليه من الاعتقاد صرفًا غير محسوس، أي: لا ترجعوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى"(2).

وكذلك التحذير من عاقبة النكول الارتداد وانعدام الثقة بأمر الله تعالى، بقوله: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المائدة: 21].

ومن تلك الصور والأساليب القرآنية في بناء الثقة، في هذه الآيات بيان للشخصية الانهزامية فاقدة الثقة؛ وذلك للحذر منها، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المائدة: 22]، تردد وتلكؤ وجبن وخوف وانعدام ثقة وانهزام نفسي، وما أكثر أمثال هذه النفسيات في زماننا اليوم.

(1) انظر: طلعت، عطاء، الثقة بالله في ضوء القران الكريم (ص28).
(2) الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني (277/3).

وفي المقابل بروز الشخصية الإيجابية الواثقة: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة:23] فيا لها من ثقة! ويا له من موقف عظيم لهذين الرجلين اللذين أنعم الله عليهما بنعمة التثبيت والثقة بوعده تعالى، ومعرفة مقام أوامره تعالى[1].

وهنا تظهر صورة وأسلوب من أساليب منهج القرآن الكريم في بناء الثقة، وذلك من خلال سرد موقف هذين الرجلين اللذين أنعم الله عليهما؛ للاقتداء بهما وأخذ الدروس والعبر من هذا الموقف، فالأمة اليوم تمر بمواقف ضعف وخوف وتردد وانكسار، وهي بحاجة ماسة إلى من يثبتها ويطمئنها ويحيي فيها معاني الثقة؛ لتكسر حاجز الخوف من الأعداء ومما يمتلكون من أسلحة مطورة وأعداد ضخمة من الجيوش، فما أحوج الأمة اليوم إلى من يحيي فيها هذا المنهج القرآني، ويبين لها نصوص القرآن وقصصه التي تزرع الثقة في القلوب وتنميها وترعاها، وما أحوج الأمة اليوم إلى من يقرع مسامع قلوبها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [سورة آل عمران:139]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [سورة آل عمران:175]، وقوله تعال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾ [سورة محمد:35]، وقوله تعالى: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر:13].

والواثقون دائمًا مبادرون ومتفائلون ولا يعرفون اليأس؛ لهذا كان قول الرجلين الواثقَين: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة

(1) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل (101/4)، رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (276/6) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط (108/4).

المائدة: 23] ولقد علما بأنهم غالبون من خلال وُثوقِهم بإخبار موسى -عليه السلام- بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [سورة المائدة: 21]، وقيل: عَلِمَا ذلك بغلبة الظنّ، وما عهداه من صُنْعِ الله تعالى بموسى -عليه السلام- من قهر أعدائه[1].

إن الله تعالى لم يذكر هذه المواقف عبثًا، ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [سورة يوسف:111]، إنها مواقف تظهر صورًا لمنهج القرآن في بناء الثقة من خلال استنهاض الهمم في وقت الانكسار وإعادة الثقة للنفوس المهزومة.

ولقد فهم الصحابة الكرام هذا المنهج القرآني، فطبقوه واقعًا عمليًا، «فهذا أنس بن النضر، عم أنس بن مالك -رضي الله عنهما-، في يوم أحد عندما أشيع بأن رسول الله -ﷺ- قد قتل، انتهى إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله -ﷺ-، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله -ﷺ-، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل -رضي الله عنه-»[2]، وقد كان لموقفه هذا أبلغ الأثر في استنهاض الهمم في وقت الانكسار وإعادة الثقة للنفوس المهزومة.

إن مهمة الدعاة اليوم والعلماء والمصلحين تتمثل في استصلاح نفوس الأمة من شبح الخوف من الأعداء، ومن ذل الاستبداد السياسي الجاثم على صدر الأمة، فإن كثيرًا من

(1) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، (99/1)، والأنصاري، زكريا بن محمد فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، (137/1).

(2) انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية (83/2)، والحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية (334/2).

النفوس قد ألفت هذا الذل فرضيت به وتعايشت معه كأمر واقع، يقول المراغي: "إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستعباد تذهب أخلاقها، ويذهب بأسها، وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتأنس بالمهانة، وإذا طال عليها الأمد أصبحت تلك الصفات غرائز وطباعًا خلقية لها، فإذا خرجوا من بيئتهم ورفع عنهم نير الظلم والاستعباد حنُّوا إلى ما كانوا فيه، وتاقت نفوسهم إلى الرجوع إليه، وهذا شأن البشر في جميع ما يألفون، ويجرون عليه من خير وشر"(1).

وإن الوضع العام الذي تعيشه الأمة اليوم من ذل واستبداد وانكسار وانهزام نفسي وتفرق وضعف وهوان، لا ينكره إلا مكابر معاند، ولا يرضاه إلا جبان خواف قد انتكست فطرته وطبع عليه بطابع الذل والمهانة.

وإنه لمن الواجب على الباحثين اليوم والمفسرين أن يبرزوا هذا المنهج القرآني في بناء الثقة ويبلغوه لأبناء الأمة كما يجب؛ حتى يصل إلى أصحاب النفوس المهزومة، ليحيوا فيها معاني الثقة، ولتعرف الأمة الصفات الحقيقية للعدو الأبرز لها وهم اليهود الجبناء، أحفاد الذين قالوا لموسى -عليه السلام-: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [سورة المائدة: 24] فهم جبناء حقًا، "وهم لم ينتصروا على المسلمين ويحتلوا بيت المقدس في عصرنا بشجاعتهم، وإنما بذنوبنا وتفرق كلمتنا وحبل من الناس، فإنه إذا عصى الله من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه"(2)، وإلا فالحقيقة أنهم جبناء أذلاء، قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ﴾ [سورة الحشر:14]، "إن جبلة يهود لتبدو هنا على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل؛ ذلك أنهم أمام

(1) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي (94/6).
(2) شيبة، عبد القادر، قصص الأنبياء القصص الحق (ص242).

الخطر فلا بقية إذن من تجمل ولا محاولة إذن للتشـــجع، ولا مجال كذلك للتمحل... فهم يريدونه نصرًا رخيصًا، لا ثمن له، ولا جهد فيه، نصرًا مريحًا يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى! ولكن تكاليف النصر ليست هكذا كما تريدها يهود! وهي فارغة القلوب من الإيمان!"[1].

ولا شـــك أن أمة كهذه لا تســـتحق أن تتمتع بنعيم الاســـتقلال، وتحيا حياة العز والكرامة، وتكون ذات تصرف مطلق في شئونها، ومن ثم لم تقم لها دولة بعد[2].

ولننظر إلى ختام هذا الموقف كيف كان عاقبة من لم يطع الله ورسوله، وكيف نهاية من ألف حياة الذل، ولم تتطلع نفسه للحرية، ولم يُرد أن يكلف نفسه أبسط العناء أو يبذل شيئًا من الجهد للوصـــول إلى المعالي، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ســـورة المائدة:26] أي: "يا موســـى إن الأرض المقدسة محرمة على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسيرون خلالها في الصحراء تائهين حيارى لا يستقيم لهم أمر، ولا يستقر لهم قرار، فلا تحزن عليهم بسبب هذه العقوبة فإننا ما عاقبناهم بهذه العقوبة إلا بســـبب خروجهم عن طاعتنا، وتمردهم على أوامرنا، وجبنهم عن قتال أعدائنا، وسوء أدبهم مع أنبيائنا"[3].

"هكذا أســـلمهم الله –وهم على أبواب الأرض المقدســـة– للتيه، وحرم عليهم الأرض التي كتبها لهم، والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة وحتى ينشـــأ جيل غير هذا الجيل، جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود..

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن (870/2).

(2) انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي (92/6)، طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط (108/4).

(3) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط (112/4).

جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب"[1].

"فبعد أن هلك الجيل الذي عاش الذل والهوان أيام فرعون في تيه صحراء سيناء والعقبة، نشأ جيل الصحراء من بني إسرائيل في بيئة الحرية القاسية، فطلبوا من نبي لهم من بعد موت موسى -عليه السلام- في ساعة من ساعات النشاط وصفاء الذهن أن يبعث لهم ملكًا للجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة:246]؛ فانظر إلى التباين بين بيئة الحضارة التي تخرج نفوسًا ذليلة، وبيئة الحرية في الصحراء القاسية"[2].

فما أجمل هذا المنهج القرآني الذي من تدبره امتلأت نفسه ثقة واشتاقت إلى العيش في ظلال الحرية، ولو كلف ذلك ذهاب الأنفس والأرواح، وتحمل المتاعب والصعاب وشظف العيش، وفرت نفسه من حياة الذل والاستعباد ولو مع الراحة ونعيم العيش.

وقد أحسن الصحابة الكرام فهم هذا المنهج القرآني، الذي نمَّى في نفوسهم الثقة، وكسر منهم حواجز الخوف، ورباهم على الشجاعة والطاعة لله ولرسوله -ﷺ-، فقد جاء في السير: «أن رسول الله -ﷺ- استشار الناس قبيل بدر، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن (871/2).

(2) سليم، محمد أمين، بنوا إسرائيل في ضوء الإسلام (77/1).

الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه»[1].

ويتلخص منهج القرآن في بناء الثقة مما سبق من خلال:

- النهي عن التردد والشك والنكول والتراجع.
- الأمر بالإقدام، والعزم على ذلك.
- ذكر نماذج الواثقين.
- العمل على استنهاض الهمم في وقت الانكسار.
- بيان سوء عاقبة عدم الثقة.
- معرفة آثار البيئة التي يتربى فيها الإنسان وانعكاساتها على قراراته وأفعاله وتصرفاته.
- التربية بقسوة العيش، وترك الرفاهية وحياة الترف.

(1) انظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، (48/1)، ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية (615/1)، وابن حبان، محمد بن حبان، السـيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (163/1)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (34/3)، وغيرها من كتب السير.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضـــله وبنعمته تتم الصـــالحات، وفي الختام خرج البحث بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولًا: النتائج:

1. الثقة مصطلح واسع يشمل معاني متعددة فهي: أساس اليقين، وَلُبُّ التَّوَكُل، وكمال الاعتماد، ورأس الزهد، وهي صـــفة راســـخة في النفس مفادها الاطمئنان بإمكانية تحقيق الأهداف المرجوة، دون ريب ولا تردد.
2. أن قصة موسى –عليه السلام– نموذج يبرز من خلاله منهج القرآن في بناء الثقة في نفوس المنكسرين؛ وذلك من خلال مواقف كثيرة.
3. أن الغالب في مواقف الأقوام من أنبيائهم هو الصـــد والتكذيب والعناد، ومعرفة الداعي لهذا الأمر يعطيه دافعًا لمواصـــلة الدعوة ويزيد الثقة في قلبه، ويعلم بأنه هكذا تقابل الدعوات فلا ييأس مهما كانت العراقيل.
4. أن سـبب الذل والهزيمة النفسـة لدى الأمة الإسـلامية اليوم، رغم امتلاكها لمقومات العزة، هو فقدان الثقة.
5. أن في معرفة خاتمة وهلاك الطغاة والظالمين الذين وقفوا في وجوه الأنبياء، كالحال في نهـاية فرعون؛ لأعظم الـدروس والعبر التي تبني الثقـة في النفوس بأن الحق مهمـا استُضعف فإن الغلبة له، وأن الباطل والظلم مهما انتفش فإن له نهاية.
6. أنه مهما بلغت قوة التوكل على الله، ومهما كانت الثقة بالله فلا بد من العمل بالأسباب، ومهما كانت الأسباب ضعيفة فإن الله يتولى تدبير أمرها.

ثانيًا: التوصيات:

أوصت الدراسة بتكثيف جهود العلماء والدعاة والباحثين، في الاهتمام بقضية إعادة الثقة للأمة المهزومة نفسيًّا، واستكمال دراسة منهج القرآن في بناء الثقة من خلال القصص القرآني.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، (1419هـ) *تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم*، ط3، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

2- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، (1417هـ)، *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*، ط3، صحَّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت.

3- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، (1984هـ) *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، الدار التونسية للنشر، تونس.

4- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، (1422هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ط1، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

5- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، (1399هـ-

1979م)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

6- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1416هـ-1996م)، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، ط3، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

7- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*، دار الكتب العلمية، بيروت.

8- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (1408هـ- 1988م)، *البداية والنهاية*، ط1، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، (1419هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

10- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، (1375هـ- 1955م)، *السيرة النبوية لابن هشام*، ط2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

11- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (1420هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

12- أبو سالم، أشرف فؤاد محمد، المرشد الاجتماعي بمعهد الإدارة العامة إدارة خدمات المتدربين، *كيفية بناء الثقة بالنفس*، المملكة العربية السعودية.

13- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، (1394هـ- 1974م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، بجوار محافظة مصر

14- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (1415هـ)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ط1، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

15- الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، زين الدين أبو يحيى السنيكي، (1403هـ- 1983م)، *فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن*، المحقق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1.

16- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ) *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

17- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (1405هـ)، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

18- التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، *موسوعة فقه القلوب*، بيت الأفكار الدولية.

19- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (1403هـ-1983م)، كتاب *التعريفات*، ط1، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت— لبنان،

20- حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، *تفسير الشيخ أحمد حطيبة*، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

.

21- الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (1427هـ)، *السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)*، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

22- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (1415هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، ط1، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

23- الخطيب، عبد الكريم يونس، *التفسير القرآني للقرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة.

24- الخميس، عثمان بن محمد (1431هـ- 2010م)، *فبهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء –عليهم السلام–*، ط1، دار إيلاف الدولية، الكويت، الجهراء.

25- دويكات، نضال عباس جبر(2006م)، *قصة موسى مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة، رسالة ماجستير*، في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

26- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، *شرح الوصية الكبرى لابن تيمية*، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .http://www.islamweb.net

27- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

28- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (1413هـ- 1991م)، *أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل*، ط1، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية،

الرياض.

29- رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (1990م) *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

30- الزحيلي، وهبة مصطفى، (1418هـ)، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق.

31- الزحيلي، وهبة مصطفى، 1422هـ، *التفسير الوسيط للزحيلي*، ط1، دار الفكر، دمشق.

32- زيدان، الدكتور عبد الكريم زيدان، (1419هـ-1998م) *المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

33- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1420هـ-2000م)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ط1، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

34- السقاف وآخرون، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر، *الموسوعة العقدية*، موقع الدرر السنية على الإنترنت.dorar.net.

35- سليم، محمد أمين سليم، (محرم 1395هـ-يناير 1975م)، ط7، بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، *الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة*.

36- الشعراوي، محمد متولي، *تفسير الشعراوي الخواطر*، مطابع أخبار اليوم.

37- شيبة، عبد القادر شيبة الحمد، (1434هـ-2013م)، *قصص الأنبياء القصص الحق*، ط4، مكتبة فهد الوطنية، الرياض.

38- طلعت، محمد، واللوح خليل، (2016م)، *الثقة بالله في ضوء القرآن دراسة*

موضوعية، عطاء، رسالة ماجستير، في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، غزة.

39- طنطاوي، د. محمد سيد شيخ الأزهر (1996م)، *القصة في القرآن الكريم*، ط1، دار نهضة مصر.

40- طنطاوي، محمد سيد، (1998م)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

41- العيد، سليمان بن قاسم، (1422هـ-2002م) دعوة موسى -عليه السلام- لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة، (*مجلة جامعة الملك سعود*)، م 14، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، الرياض المملكة العربية السعودية.

42- غلوش، أحمد أحمد، (1423هـ-2002م)، *دعوة الرسل - عليهم السلام -*، ط1، مؤسسة الرسالة.

43- الغنيمان، عبد الله بن محمد، *شرح فتح المجيد*، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net .

44- الفقي، إبراهيم، (1430هـ- 2009م)، *الطريق إلى الامتياز*، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع.

45- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (1418هـ)، *محاسن التأويل*، ط1، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.

46- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (1384هـ- 1964م) *الجامع لأحكام القرآن*، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.

47- القرني، عائض بن عبد الله، *لا تحزن*، مكتبة العبيكان.

48- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، (1412هـ)، *في ظلال القرآن*، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

49- قطب، سيد قطب، (1421هـ-2001م)، *هذا الدين*، ط14، دار الشروق.

50- قطب، سيد، (2004م)، التصوير الفني، ط17، دار الشروق القاهرة.

51- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (1412هـ- 1992م)، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، عني بطبعهِ وقدم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

52- مجلة الوعي، مفهوم الثقة، (*مجلة الوعي*)، (1421هـ-2000م)، العدد 156، نشر في النت بتاريخ: 07/09/2016، على الرابط: al-waie.org.

53- المراغي، أحمد بن مصطفى، (1365هـ- 1946م)، *تفسير المراغي*، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

54- مشيل، صابر، (2009)، *القصة القرآنية مفهومًا وأسلوبًا*، *المجلة الجامعة*، العدد الحادي عشر، جامعة السابع من إبريل، صبراتة.

55- المصري، أبو سعيد المصري، *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي*، نقلاً عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، نقلها وأعدها للشاملة/ أبو سعيد المصري.

56- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله* -ﷺ-، (1409هـ- 1989م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

57- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، *المغازي*، ط3، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت.

58- اليوسف، مسلم محمد جودت، *التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص*، حلب سورية.

59- http://www.saaid.org/Doat/moslem

Contents:

No.	The research	The researcher	Page No.
1.	The Civil State in Islamic Jurisprudence Definition and employment	Dr. Qaid Haidar Saleh Al – Walidi	15-52
2.	Generalization and specification in Holy Quran "Adwaa Al-Bayan" exegesis by Al-Shanqeeti as a case in point	Dr. Aziza bint Miqd Al-Otaibi	53-85
3.	Economic benefits conflict with values and principles in the light of some provisions of Holy Quran	Abdulah Abobakr Salim Al-Mehdhar	86-118
4.	Authoritarian practices that hinder civic education in school Reality (Ma'rib city schools as a model)	Dr. Yahya Mohsen Al-Yarimi	119-171
5.	Sheikh Ali bin Ahmed Basbreen. His Scientific life and His advocacy efforts[1228 – 1304 H /1814 – 1887] Historical study	Dr. Abdulaziz Bin Saeed Bin Salim Bazarah	172-211
6.	The impact of advocacy behavior on the preacher in the light of Holy Quran	Dr. Fayez Hassan Suleiman Abu Amra	212-260
7.	Qur'an's approach to building trust through attitudes from the story of Musa, peace be upon him	Dr.ramzi mohammed Abdullah abobakr	261-307

Journal of
HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

A refereed scientific journal issued by: HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY - YEMEN

Consultation Body

Prof. Dr. Abulhaq Abdldym Al-Qadhi
Prof. Dr. Abdullah Othman Al-Mansouri
Prof. Dr. Hassan Abduljaleel Al-Abadlah
Prof. Dr. Saleh Abdullah Al-Dhabiani
Prof. Dr. Abdulrahman Ibrahim Al-Khamisi
Prof. Dr. Ahmed Saleh Qatran
Prof. Dr. Ali Yousuf A'ati
Prof. Dr. Mohammad Hatem Al-Mikhlafi

Editing Body

General Supervision

Prof. Dr. Ghalib Abdulkafi Al-Qurashi

Chief of Editing

Prof. Dr. Yahya Moqbel Al-Subahi

Director of Editing

Prof. Dr. Abdulhaq Qanem Al-Qarithi

Editor – in – chief

Prof. Dr. Mohammed Sarhan Al-Mahmoodi
Prof. Dr. Asma Qhalib Al-Qurashi
Prof. Dr. Abdullah Ahmed Bin Othman

Editorial Secretary

Eng. Shawqi Saleh Ba-Mafroosh

All correspondences to be titled to director of editing on the following address

Journal of HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY-Yemen

algarizi2012@gmail.com mob. +00967 771161908

Website: www.uqs-ye.info

E-mail: journals@uqs-ye.info

Republic of Yemen
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

Journal of

HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

Volume (18) Issue (1)

June 2023

Journal of
ISSN : 2617 -5894
HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY
A refereed semi-annual scientific journal
Issuued by: HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY
Volume (18) Issue (1)
June 2023

The Civil State in Islamic Jurisprudence Definition and employment.
Dr. Qaid Haidar Saleh Al –Walidi

Generalization and specification in Holy Quran "Adwaa Al-Bayan" exegesis by Al-Shanqeeti as a case in point. Dr. Aziza bint Miqd Al-Otaibi

Economic benefits conflict with values and principles in the light of some provisions of Holy Quran. Abdulah Abobakr Salim Al-Mehdhar

Authoritarian practices that hinder civic education in school Reality (Ma'rib city schools as a model) Dr. Yahya Mohsen Al-Yarimi

Sheikh Ali bin Ahmed Basbreen. His Scientific life and His advocacy efforts [1304 – 1228 H /1814 – 1887], Historical study Dr. Abdulaziz Bin Saeed Bin Salim Bazarah

The impact of advocacy behavior on the preacher in the light of Holy Quran
Dr. Fayez Hassan Suleiman Abu Amra

Qur'an's approach to building trust through attitudes from the story of Musa, peace be upon him. Dr.ramzi mohammed Abdullah abobakr